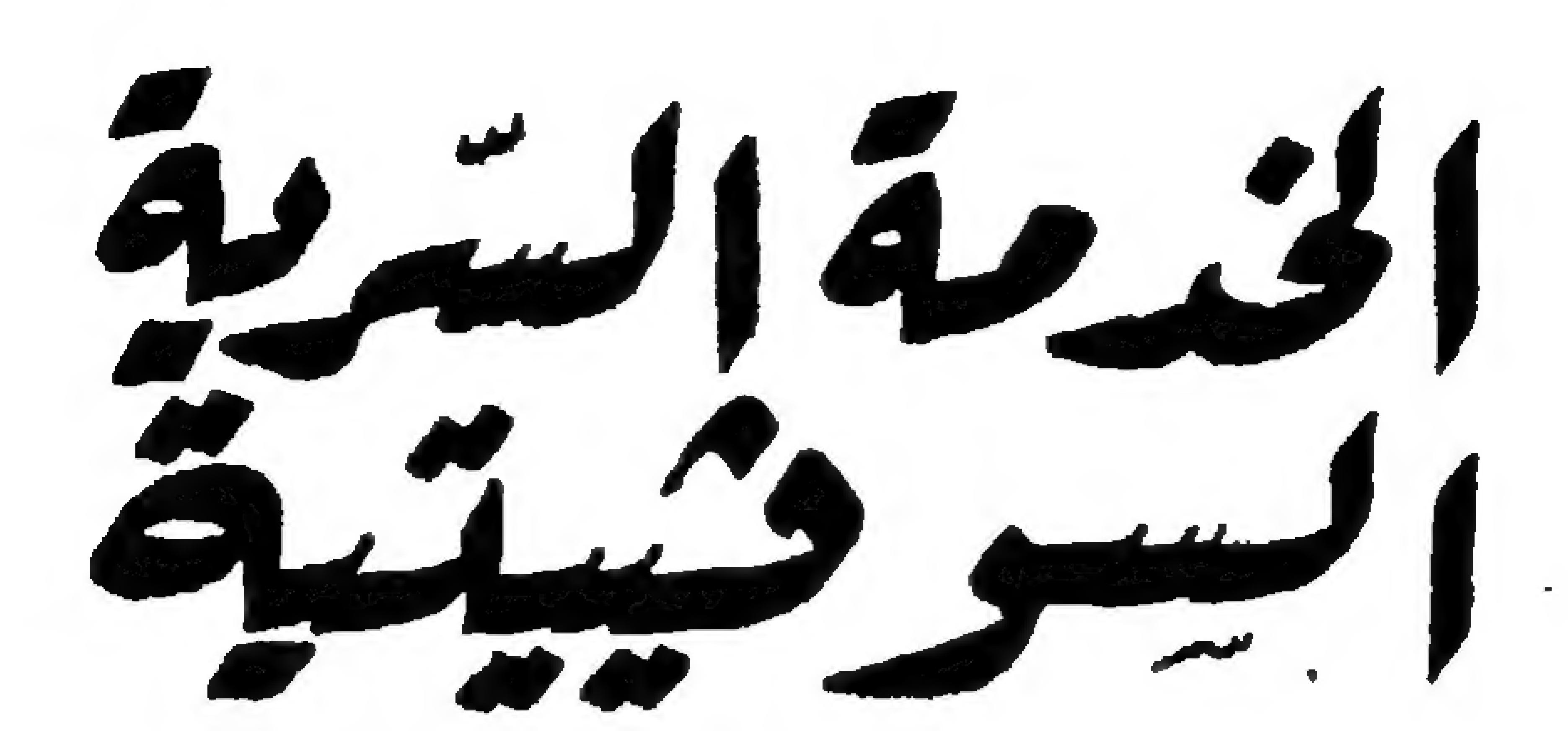
الخدمة السّرية السوفييتية

THE SOVIET SECRET SERVICE

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/القطب محمد القطب طبلية

القاهرة



الخدمة السّرية السوفييتية

بقلم

أوتو هيلبرون

The Soviet Secret Service

By:

OTTO HEILBRUNN

١٩٦٤

هذا الكتاب ومؤلفه :

كتاب يكشف عن أساليب الصورة الجديدة من صور الحرب في الطابع الذي ابتدعته الشيوعية واستخدمته في الحرب العالمية الثانية مطورة منه مع سير الحرب حتى أعدت الطابع الذي يصلح لحرب المستقبل في العالم المتجه للاستخدام الذرى في كل شيء من صناعات السلم الى صناعات الحرب ، ومن ادارة محركات محطات القوى الكهربائية بالانشطار الذرى ، الى الغواصة التي تسير لأيام وشهور تحت سطح البحر وأسفل الكتلة الجليدية في القطب دون ما حاجة لامدادها بالوقود ، ذلك لأن المحركات تدور بالانشطار الذرى فضلا عن استخدامها أسلحة ذرية من الصواريخ عابرة القارات تطلقها حيثما كانت على أى غرض يحدد لها .

والفكرة في هذا فكرة الاعداد « للحرب التي لا مسرح قتال محدد لها » .

ولكي يعرض المؤلف أوتو هولبيرون هذه الصورة التي انتهى اليها نتيجة لاستنتاجات معنى بها ، كان من الضروري أن يقدم عدة صور أى عدة حوادث هي التي طبقت فيها المراحل المختلفة في تطورها لتستكمل الطابع النهائي الفعال طابع « الطابور السادس السوفييتي » .

المؤلف

الدكتور أوتو هيلبرون

OTTO HEILBUNN

كان قبل عصر هتلر عضوا في اتحاد القضاة الألمان ، وكان مستشارا مساعدا في وفد الولايات المتحدة في « محاكمات نورمنبرج » لمحاكمة مجرمي الحرب ، وبذلك خدم بالتبعية تحت اشراف وزارة الحرب البريطانية في محاكمات «مانستين» ، وقد مكنه هذا من استجواب قادة وكبار موظفي الرايخ واطلع على أرشيف بريطانيا والولايات المتحدة والمانيا بالنسبة للحرب في الشرق وهو الآن من رعايا بريطانيا بمنحه الجنسية البريطانية .

له كتاب آخر بالاشتراك وسم بعنوان « حرب العصابات الشيوعية » نال جائزة مجلة « كومبات فورسس » ، وطبع الكتاب في بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا والمانيا والنرويج .

ومع أن هذه الصور تغطى بعض منـاطق الحرب فى أوروبا فتعرض فى الفصل الخامس سقوط فرنسا مثلا أو « تعرض للجاسوسية فى سويسرة » وتقدم تنظيما للتضليل فى الحرب السياسية بانشاء لجنة الاحرار الالمان .. الا أن كل هذه الصور تقدم فى الواقع أعمال منظمات شـيوعية هى التى تقف وراء الحوادث وتعمل بتوجيه موسكو ولخدمة قضيتها وتأتمر بأمرها .

وقد تكون بعض هذه الصـور جاءت فى كتب أخرى من الـكتب التى صدرت ضمن سلسلة مطبوعاتنا عن المخابرات وعن الجاسوسية ومكافحتها بصورة أكثر افاضة ، ولكن هيلبرون يقدمها هنـا فى ضوء الهدف الذى اختطه لكتابه وهو هـدف عرض « الترتيب أو التخطيط الاسـتراتيجى السوفييتى » والذى أفرد له الفصل الأول من كتابه ، وهو دراسة طيبة نود أن يحظى باهتمام القراء ودراستهم .

وتقوم هذه الاستراتيجية « على أسـاس حملات عسكرية يقوم بهـا المدنيون على مسافات بعيدة من جبهـات القتال ، وعلى اسـاس مؤامرات وجاسوسية وتسرب وأعمال تخريب ، وقوات مقاومة ، وتجمع هذه كلها ـ أو بمعنى أدق تعتبر هذه كلها ـ الاسلحة التى تستخدم فى الحرب الساخنة القادمة » .

والشىء الذى أود أن أشير اليه هنا هو أن هيلبرون يشير الى اعترافات النقيب خوخولوف من رجـال الامن السـوفييتى والذى كان يعمل طوال الحرب العالمية الثانية بين قوات المنـاضلين المدنيـين فى مؤخرة الجيـوش الالمانية ، وكذلك الى ما قاله الرفيق بتروف كاتب الشـفرة الروسى فى استراليا ، ولقد عرض الاول صورة كاملة لمؤامرة اغتيال الزعماء السياسيين الذين يعارضون الشيوعية ويسدون طريقها ، وتحدث الثانى عن تنظيم الطابور الشيوعى فى الدول التى تقع فى المخطط الشـيوعى للسـيطرة على العالم ، وما جاء فى أقوال كلا الرجلين لا يجوز بحال ما الاستهانة به وما أعد لمؤمرات التصفية فى ألمانيا الغربية وما نظم للطابور السـادس

فى استراليا يمكن أن يصلح فى كل مكان من العالم لا يستعد أهله لمواجهة المفاجأة ولتوقيها لا بالنسبة للخطوط الامامية فحسب ·· بل وبدرجة أكبر وأعظم بالنسبة للساقة أى المؤخرة ·

« ان أسلحة الحرب فى مسرح القتـال غير المحدود وفى الطـابع الذى تستخدمه الشيوعية أو تعد العدة لاستخدامه وقت الحرب لهو من أقوى الاسلحة المدمرة ، ولا يمكن أن يأمل العالم لخارج نطاق الكتلة الشيوعية بالانتصار على هذا الطابع الخطير الا بالتأهب له بعد تفهمه تفهما جيدا » .

ومن أجل هذه المعرفة ·· ولتيسير هذا التأهب الضرورى ، كان هذا الكتاب الذى نقدم ترجمته العربية اليوم ..

الخدعة السوفييتية :

١

دراسة تمهيـــدية

ذات يوم ، كانت تقاليد الفروسية ـ التقاليد التى تحولت لتكون عرفا دبلوماسيـا ـ تتطلب أن تعلن الدولـة المهاجمـة الحرب على الدولـة التى ستهاجمها قبل بدء العمليات العدائية ، وبعد فاصل زمنى مناسب تلتقى القوات المتضادة فى مسرح الحرب ، وتقرر المعركة الأخيرة مصير الحرب ٠

على أننا قد اعتدنا اليوم فكرة المعتدى فى أنه لم يعـد من محل لهـذا الاعلان لبدء الحرب ، ولكننا مع هذا لازلنا نتعلق بفكرة أن المعارك والحروب انما يتقرر مصيرها فى مسرح الحرب ؛ صحيح أنه حتى فى الحروب القديمة كان المتقاتلون يحاولون تحقيق النصر الاستراتيجى بوسائل خارج مسرح الحرب وبخاصة بوساطة الحصر الاقتصادى والتدمير الاسـتراتيجى والحرب السيكلوجية ، ولكن مع هذا لازالت القرارات النهائية لا تتم الا فى مسرح الحرب ٠

ومع هذا يبدو أن فكرة جديدة للحرب تتطور أو هى بسبيل التطور بمعنى أصح ، وتقوم هذه الفكرة على أسـاس حمـلات عسـكرية يقوم بها المدنيون على مسافات بعيدة من جبهـات القتـال ، وعلى أسـاس مؤامرات وجاسوسية وتسرب واعمال تخريب وقوات مقاومة ، كما يبدو ان هـذه كلها هى الاسلحة التى ستستخدم فى الحرب الساخنة القـادمة[١] وتكون مسارح العمل لهذه الاسلحة فى الجبهة الداخلية وعلى خطوط المواصـلات والمناطق الخلفية ، وهذه الصورة من صور الحرب ، انما هى فى أبسـط تعريف ، الحرب التى لا مسارح قتال معروفة لها ، حرب قد تقرر معاركها قبل لحظات عن بدئها، وهى معارك يجب أن يضعف العدو قبل أن تبدأ هى٠

---

١ ـ مقال جوليان امرى « المقاومة » فى مجلـة القرن التاسـع عشر وما بعدها مارس ١٩٤٩ (تغير اسم المجلة بعد ذلك الى اسم مجلة القرن العشرين) يرجع كذلك الى كتاب ج٠ بورنهام « هزيمة الشيوعية القادمة » لندن سنة ١٩٥٠ ٠

ولقد سمعنا أخيرا الكثير عن التسرب الشيوعى لداخل ادارات الحكومات الغربية ، عن الطابور الخامس وعن منظمات المخابرات فى الخارج التى تعد وتنظم للقوات المدنية المقاتلة فى حالة اشتعال الحرب ، كما سمعنا عن الاضرابات التى ينظمها الشيوعيون فى الصناعات الحاسمة الاهمية ، ولكن هل أدركنا أن كل هذه الصور من النشاط مجتمعة معا انما تكون الطابع الجديد للنظريات الجديدة للحرب ؟

على أن قوات الوطنيين والطابور الخامس (حصان تروادة) ليست هذه أو تلك من اختراع السوفييت ، ولكن السوفييت قد افترضوا هذه الخيوط ليشكلوها فى نسيج جديد من اصطناعهم ، ليشكلوها فى صورة : « الحرب التى لا مسارح لمعاركها » ، وتبعا لأفضليتهم هنا فى هذا اللون من القتال فانهم يستطيعون أن يعوضوا تعرضهم فى ميدان القتال .

وقد أشارت التيمس اللندنية فى عددها السابع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٥٤ عند ما خفف السوفييت من تقييدهم لسرعة الاسلحة الذرية الى أنهم : « بالنسبة للوقاية ضد الحرب الذرية فقد بقيت السلطات السوفييتية ملتزمة جانب الصمت ، **ولم يمكن الوصول من المصادر السوفييتية شيئا عن نوع الدفاع الذى يعدون العدة له ولا عن التطور فى الاسلحة الدفاعية من أى نوع خاص** »

وقد وجد الجيش الاحمر مرة من قبل أنه من المستحيل عليه أن يكيف نفسه مع مطالب الدفاع ، وقبل أن يبدأ الغزو الالمانى للروسيا سنة ١٩٤١ كونت هيئة أركان الحرب الالمانية لنفسها فكرة ــ ربما كانت صحيحة ــ وهى أن الجيش الروسى يتخذ مواقع هجومية على طول الحدود ، وقد ضللت هذه الظاهرة الغريبة هيئة أركان الحرب الالمانية وظنت أن الروس يعتزمون غزو ألمانيا ، ولا يوجد الا أقل شك فى أن هيئة أركان الحرب الالمانية قد شكت فى هذا باخلاص ، ولكن هذا التقرير من جانب الالمان كان تقريرا خاطئا ، فان القواد الالمان عندما اجتازوا الحدود المشتركة ودخلوا أرض الروسيا لم يجدوا أى علائم على استعدادات اعتدائية ، وكان كل أفراد السفارة الالمانية فى موسكو مقتنعين بأنه ليس لدى الروسيا أية نية لمحاربة ألمانيا ، ولم يكن لستالين أى رغبة من الاشتراك فى الحرب الى جانب بريطانيا فى ذلك الوقت ، فكيف فى ضوء كل هذه البيانات والادلة بقى رئيس هيئة أركان الحرب السابق لالمانيا يعتقد حتى سنة ١٩٤٨ أنه استطاع سنة ١٩٤١ أن يسبق نوايا الروس ؟

لقد أشير فى الكتابات الالمانية عن الحرب الى أن الروس قد شعروا بخيبة أمل لان زيارة مولوتوف لبرلين فى خريف سنة ١٩٤٠ قد جاءت بتحرك محدود ضد رومانيا . ومع أن تفكير مثل هذا ـ (التفكير فى غزو ألمانيا) ـ ولا يمكن أن يعتبر مستحيلا الا أنه لا دليل مادى يثبته ، ولكن فى اذا كان مثل هذا الدليل لم يوجد فلماذا اذا وزع الروس قواتهم للهجوم على مسافة بعيدة فى بولندة ٠

والواقع أننا يجب أن ننظر الى حل آخر لهذا اللغز ، فكقاعدة عامة يبحث الروس دائما عن التوجيه ـ الذى يتبعوه ـ فى كتابات وتعاليم ماركس ، وهم بطيئو حل المشكلات التى لم تعرض لها هذه التعاليم خشية التحول أو الخروج عنها ، ولهذا فهم سادة فن الحرب الباردة فى السياسة بوساطة التسرب والتآمر ، فقد اجمل هذا فى احدى وصايا ماركس ولم يغفلوا عن هذه الوصية قط ومن ثم يستخدمونها دائما ، فالشيوعي « يجب أن يكون مستعدا دائما لاستخدام الخديعة ، المكر ، اختراق القانون ، اخفاء الحقيقة » ولكن كان الاستدراج أو الاغراء والاغواء غريبا عليهم ، ولو كانوا قد عرفوا كيف يطبقونه وعاملوا أسراهم من الالمان وسكان ألمانيا الشرقية معاملة كريمة لكانت ألمانيا كلها تحولت الى الشيوعية ولما لم يكونوا يستطيعون القيام بعلاج سيكلوجى لم يرد فى تعاليم « السيد » (يقصد ماركس) فقد فقد السوفييت أكبر فوز سياسى كان فى متناول أيديهم ٠

على أن هذا الامر ليس وقفا على « النظرة السياسية » بل أنه لنفس هذا السبب توجد عوامل معطلة فى استراتيجيتهم العسكرية ، لقد كان الروس قبل الحملة الالمانية غير معتادين على مطالب الدفاع ، وكان قادتهم العسكريون قد دربوا على أساس محاولة اختراق جبهات العدو ، وقد حاولوا مواجهة الهجوم بقوات معدة بدورها للهجوم ، وقد سببت عدم قدرتهم على العمل أو على التفكير فى طابع دفاعى أن وصلوا الى حافة هاوية الهزيمة ، وقد تعلموا فقط بتجارب غالية الثمن فى ميدان المعركة ، وبرزت حقيقة أن اخطاءهم الاولية ترجع الى التحديد أو النقص الذى وضح فى « عقيدتهم » التى رسمتها الماركسية العقيدة التى يدينون بها ، فماركس لم يفكر اطلاقا فى « الشيوعية » عندما تقف موقف الدفاع ، ومرة أخرى قد يكون الروس لا يعدون أى تدابير دفاعية ضد الحرب الذرية ٠

وقد يمكن من الضرورى أن نذكر بمناسبة الحديث عن الحرب الذرية، أن الجيش الاحمر أكثر تعرضا لهجوم ذرى مضاد من أى جيش فى العالم ،

وفى مؤتمر صحفى في منتصف سنة ١٩٤٥ ذكر رئيس هيئة أركان الحرب للامبراطورية أن المشكلة الاساسية فى الحرب الذرية هى معرفة كيف يمكن ارغام العدو على أن يحتشد فى تجمعات تكون اهدافا جيـدة لاسلحتنـا الذرية دون أن نكون نحن بدورنا هدفا لاسلحته ٠

ومن الواضح أن الحرب الذرية لا تعني أن المعارك الكبيرة قـد انتهى أجلها ، ولكنها تعنى أن بناء القوات للمعركة قد تغير أساسياً عن ذى قبل، وتبعا لهذا فان الروس يجب أن يعيدوا النظر فى « تكنولوجية المعركة » بصورة أساسية أكثر مما يجب هذا بالنسبة للغرب ٠

ولقد كان نجاح الروس فى الحرب الاخيرة بسبب الافضلية فى القوى البشرية وفى عتاد الحرب فقبيل المعركة حشد الروس مشاتهم ودباباتهم ومدفعيتهم فى نقاط الهجوم بقدر غير معروف ، ثم اخترقوا خطوط الالمان بضغط الجموع ، ولو فشلت المحاولة الاولى تبعتها محاولات ثانية وثالثة ورابعة ، ومن الظواهر البارزة دقة ملاحظة الحشد الكبير فى كل مرة وعلى طول الوقت ، فلو استخدمت الاسلحة الذرية فى أى حرب قادمة مستقبلا لوجب أن يحرر الاستراتيجيون الروس أنفسهم تماما من هذا الاسـلوب الذى لم يعد لهم مكان (الاسلوب الذى يختلف مع طابع العصر) أسلوب بناء القوات وحشـدها هذا الاسـلوب الذى أطلق عليـه الالمان الاسـم « Schwerpunktbildung » ٠

والمشكلات التى تواجه الجيش الاحمر بهذه المناسبة كثيرة وذلك بسبب أنه عليهم أن ينفضوا أيديهم من الوسيلـة الوحيـدة التى يكسبون بهـا المعركة ٠

* * *

على أن الروس قد استخدموا ـ أثناء الحرب العالمية الثانية ـ قوات العصابات على نطاق واسع فى مؤخرة الالمان ، وجعلوا من هذه العصابات قوة سريعة الحركة تتوافر لها القدرة على توجيه ضربات قوية عنيفة (٢) ،

---

٢ ـ ريكسون وهيلبرون فى كتاب *Communist Guerrilla Warfare* الصـادر بلنـدن الطبعـة الثانيـة ١٩٥٤ ـ بينويورك ١٩٥٤ باوسـلو ١٩٥٤ ، بباريس ١٩٥٥ ثم بفرانكفورت ١٩٥٦٠

فلما أن انتهت الحرب كونت كل دولة من الدول الضالعة مع السوفييت لواءاتها من قوات العصابات وفى نفس الوقت أضحت حرب العصابات فى الشرق هى الطابع العادى للقتال •

ولهذا فانه من المتوقع فى حال قيام حرب عالمية أخرى أن يحاول الروس أن ينزعوا عن الجبهة أهميتها الكبرى بتنفيذ عمليات سرية مدمرة فى المؤخرة على أوسع نطاق مستطاع ، وفى هذا اللون من القتال يمكن أن ترقق جبهتهم الى حد أنها لن تمثل اذ ذاك جبهة مثالية للاسلحة النووية، وبدلا من هذا سيحاول السوفييت ان يحشدوا قوات المدنيين المناضلين فى مؤخرتنا حيث لا يمكن لاسباب واضحة أن تستخدم الاسلحة النووية ضدها •

وهذا على ما يبدو هو ردهم على الحرب الذرية •

وفى ضوء هذا يمكن أن نقرأ ما قاله خوخولوف على ما جاء فى جريدة التيمس اللندنية يوم ٢٣ من ابريل سنة ١٩٥٤ :

« عرض على الصحفيين بمكتب المندوب السامى للولايات المتحدة قرب بون روسى ذكر أن اسمه الكبتن خوخولوف وهو عميل ارهابى ، وقد قال بانه هو والمانيين قد صدرت لهم الاوامر باغتيال مسيو أوكولوفيتش وهو روسى يضاد الشيوعية ويعيش فى فرانكفورت •

وقال الكابتن خوخولوف أن ضميره قد منعه من تنفيذ الجريمة ، وقد ذكر الرجل كل تاريخ حياته فى الوكالة السوفييتية التى يعمل بها والتى كانت مسئولة أيام الحرب عن المدنيين المناضلين فى مؤخرة الجيوش الالمانية ويبدو أنه عندما انتهت الحرب نصح الرجل الذى كان يتولى رياسة هذه الوكالة بالابقاء على كبار ضباطها وعلى العملاء الذين يعملون بها **للاعداد للمناضلين المدنيين مستقبلا فى حالة قيام الحرب، وكان من الخطة أن يرسل العملاء الى البلاد الاجنبية ليكونوا على استعداد للعمل حال أن يطلب منهم هذا •**

وقد أكد من هذا التصريح ما قاله مسيو بتروف (كانت الشفرة الروسى الذى استسلم للغرب (راجع كتاب «مدرسة للجواسيس » اصدار

المجموعة) على ما جاء فى جريدة التيمس اللندنية عدد ٨ من يوليو سنة ١٩٥٤ ، قال بتروف للجنة التى شكلت لبحث الجاسوسية السوفييتية فى ملبورن يوم ٧ من يوليو ، أن :

« الطابور الخامس الذى أرسل الى استراليا الرفيق كيسليتسين احد رجال الخدمة السرية السوفييتية سنة ١٩٥٢ لاعداده يمارس نشاطه منذ ذلك الوقت فى ترتيب كل ما يجب عمله عند الحاجة .

وكان دور كيسليتسين الرئيسى نقل العملاء غير القانونيين من الخارج الى استراليا لتنظيم الطابور الخامس .

* * *

ولا يجب اطلاقا أن ينظر باستهانة الى هذا الذى كشف عنه بتروف وخوفولوف مهدئين انفسنا بفكرة أنه لا يمكن أن يحدث هنا بسبب أن الروس لن يمكن أن يستطيعوا تعبئة قوات من المناضلين المدنيين فى مؤخرتنا هنا بالقدر الذى فعله الروس فى الروسيا فى الحرب الماضية ، أن الخط الامامى للقتال فى حرب المستقبل لن يكون بعيدا جدا عن البلاد التى لم تقدم حتى الان الدليل على حصانتها من التسرب الشيوعى ، وفى تلك المناطق عدد كبير من مطارات حلف شمال الاطلنطى وانابيب البترول وغيرها من المنشئات ، وعلى مقربة منها سيعد احتياطى حلف شمال الاطلنطى أو تنزله السفن الى السواحل ، ولا يوجد أقل شك فى أن مخابرات السوفييت ستعمل وسط صفوفنا لجمع المعلومات عن هذه الاهداف المعرضة بدرجة كبيرة لهجمات المناضلين المدنيين ولعمليات التخريب التى تجىء بأحسن النتائج ، وليس من الضرورى أن تكون هذه الاهداف أهدافا عسكرية ، فان الاضرار بمنشئات الامداد بالقوى أو فى وسائل النقل والتخريب فى منشئات هذه أو تلك يمكن أن يعطل من تعبئة الاحتياطى كما يعطل من الانتاج لمواد الحرب .

ويقوم تقدير القيمة من جانب حلف شمال الأطلنطى على ثلاثة افتراضات:

١ ـ على السوفييت قبل أن يبدأوا الحرب يجب أن يبنوا قوتهم بقدر كبير وقد يكون علينا أن نعيد تقديراتنا للاحتياجات لعملية البناء فى الجبهة المضادة (اذا) و (عندما) تتواجد علائم تدل على استعدادات لبناء وحشد قوات فى مؤخرتنا .

٢ ــ ستسمح منطقة بنــاء وحشــد القوات بتعبئــة وتحريك قوات الاحتياطى الى المواقع المحدودة لها ٠

وستمكن هذه الصورة الجديدة من صور الحرب أن تعطل التعبئة وأن تسبب اضطراب الجداول الزمنية ٠

٣ ــ ستكون القوات المضادة هدفا للاسلحة النووية ٠

على أنه فى الصورة الجديدة من صور الحرب ستحاول القوات المضادة الى غاية ما يمكن أن تشكل الحشود اللازمة للهجوم ليس على خطها الامامى المعرض بل على الخط الآمن فى مؤخرة قواتنا ٠

وليس من الضرورى اعادة النظر فىتقدير قيمة الافتراضات الاساسية لحلف شمال الاطلنطى ولكن من الضرورى أن تعرض الدراسات الخاصــة بتقدير الامكانيات والطاقة لضغوط الاتجاهات الفنية الجديدة واثرها على الحرب التقليدية والحرب النووية ٠

والواقع أننا لا يجب أن نسحب تقديراتنا الختامية لنوايا السوفييت على أساس تثبيت نظرتنا وحدها على الخط الامامى المقــابل وعلى النقــاط المقابلة الذى والتى تواجهنا فى الشرق بل أن نشكل تقديراتنا للموقفءعلى أساس دقة مراقبة التطورات فى ساقتنا (مؤخرتنــا) وبخاصــة لان أى هجوم أمامى مفاجىء سيكون له تأثير بعيد المدى لو صحب بحرب سرية فى مؤخرتنا ، فاذا ما راقبنا مثل هذه التطورات بعناية استطعنا أن نحذر الامر من قبل وأن نستطيع اضعاف عامل المفاجأة ، ولو أدرك العدو هذا فانه ــ على الاقل ــ قد يرجع عن هجومه الذى وضع تخطيطه ، **وما نحتاجه اذن هو أن يتوافر لحلف شمال الاطلنطى جهاز مخابرات واسع الانتشار بالقدر الذى يمكن من تغطية مثل هذه التطورات فى مؤخرتنا ٠**

ولكن بغض النظر عما يمكن أن يكون لهذه الاسلحة التى ستجىء مع الصورة الجديدة من صور الحرب ، مهما يكون لها من خواص ، فانها تلعب دورا حاسما فى خطة السوفييت للحملة ، ومن ثم فانه لا مناص من دراسة تفصيلية للاسلحة وصور استخدامها فى الماضى ٠

واخيرا ، فمما لاشك فيه ، أننا سنواجه فى المستقبل تهديدا بحرب ساخنة ، وهذه الفكرة للحرب التى لا مسارح قتال لمعاركها ، لفكرة ثورية ولهذا فمن الضرورى أن نستطيع نحن أيضـا القيـام بمثل هـذه الحرب نفسها •

* * *

ولقد كتبت هذه الكلمات اثر اجتماع الاربعة الكبار فى جنيف فى يوليو سنة ١٩٥٥ ، ولقـد مكن مؤتمر جنيف من تخفيف التوتر الدولى واضعف من خطورة الحرب الساخنة كما قلل من خطورة الحرب الباردة ولكن المخاوف والاخطار لم تنته بعد •

اننا فى الغرب نؤمن مخلصين « **بالديموقراطية** » ، ولا نستطيع الا أن نعترف بأن الزعماء الروس يؤمنون مخلصين هم أيضا « بالشيوعية » ، والغرب يعمل من أجل « **السلم** » ، والشرق يتبنى « **التعايش السلمى** » ، ومن الضرورى أن ندرك بأنه توجد ثغرة واسـعة بين هاتين النظريتين ، ونحن ندرك تماما المعنى الصحيح « للتعايش السلمى » •

ويجب ملاحظة أنه فى حادثتين جرتا أخيرا اسـتعرض الماريشـال بولجانين سياسة التعـايش السلمى عنـدما افتتح مؤتمر تشـكيل حلف « الناتو » فى الاتجاه العكسى أى الحلف المضاد له من جانب الدول الشرقية بوارسو يوم ١١ من مايو سنة ١٩٥٥ فقد قال :

« ان المبدأ الثابت (الذى لايتبدل) للسياسة السوفييتية الخارجيـة هو مبدأ لينين للتعايش السلمى لمختلف النظم الاشتراكية[٣] » •

وبعـد ثلاثة أيام رضيت روسيـا أن تحضر مؤتمر جنيف ، ووقعت معاهدة الحلف الشرقى ، وقال الماريشال بولجانين أن هذه المعاهدة :

قد تمت بروح مبدأ لينين القوى مبدأ التعـايش السـلمى بين الدول التى تختلف وتتباين نظمها الاشتراكية [٤] •

---

٣ ــ التيمس اللندنية عدد ١٢ من مايو سنة ١٩٥٥ •

٤ ــ نفس المرجع عدد ١٦ من مايو سنة ١٩٥٥ •

فماذا هو هذا المبدأ الثابت غير المهتز .. مبدأ لينين للتعايش السلمي؟

لقد عرضه لينين فى تقريره للجنة المركزية للمؤتمر الثامن للحزب الشيوعى سنة ١٩١٩ وقد اعتبر هذا الحديث من «الكلاسيكيات» المأثورات منذ ذلك التاريخ وقد جاء فيه :

« نحن نعيش ليس فى مجرد دولة واحدة بل فى نظام من الدول ، ووجود الجمهورية السوفييتية الى جانب الدول الامبريالية لوقت طويل مسألة لا يمكن التفكير فيها فواحد أو الآخر يجب أن ينتصر فى النهاية ، وقبل هذه النهاية لا معدى من حدوث عدة مصادمات بين الجمهورية السوفييتية وبين الدول البورجوازية ، ومعنى هذا أنه اذا ما أرادت الطبقة الحاكمة أى (البوليتاريا) أن تثبت أقدامها فمن الضرورى أن تثبت وتدلل على طاقتها ، وأن تفعل هذا بوساطة تنظيمها العسكرى » .

ومرة ثانية فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ خطب لينين فى سكرتارية الحزب بموسكو فقال :

« ان الشيء الجوهرى الاساسى فى المسألة بعامة ـ من وجهة نظر الاعتبارات السياسية ـ هو القاعدة التى لا نعتبر سادتها من الناحية النظرية فحسب بل وطبقناها عمليا والتى ستبقى هى القاعدة الاساسية لعملنا حتى تنتصر الاشتراكية اخيرا وتغطى العالم كله ، هذه القاعدة هى أن ننتفع باى خلاف أو تضاد بين أى دولتين رأسماليتين ، بين اى حكومتين من الحكومات الرأسمالية فنحرض احداهما على الاخرى ، وما دمنا لم نكمل بعد غزو كل العالم وما دمنا من الناحيتين العسكرية والاقتصادية أضعف من العالم الرأسمالى فاننا يجب أن نتبع هذه القاعدة وأن نعرف كيف ننتفع من التضاد والتنابذ بين الامبرياليين (٥) » .

ومن هذه الفكرة تطورت النظرية (اللينينيــة ـ الستالينيــة) عن احتمالات التعايش الســلمي المؤقت الذى يستمر : « الى أن تنضج ثورة البوليتاريا فى أوروبا أو الى أن يتقاتل الرأسماليون فيما بينهم (٦) » .

---

٥ ـ المختار من اعمال لينين « طبع لندن سنة ١٩٣٧ المجلد ٨ ص ٢٧٩ .

٦ ـ خطبة ستالين فى المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعى السوفييتى فى ٢ من ديسمبر سنة ١٩٢٧ راجع « النظرة العالمية السوفييتية » *Soviet World Outlook* طبع واشنطون سنة ١٩٥٤ ص ٢٢٦ .

وهكذا يكون « التعايش السلمى » نوعا من ايقاف اطلاق النار ، تدبير له طابع مؤقت توجده بالضرورة النسبة بين القوات فى المعسكرين ، ومن ثم يكون هذا اذن هو المبدأ الذى وافق عليه الماريشال بولجانين ، ويكون من التسرع تقبل أن ما اعتبره ثابتا موطد القدم في مايو سنة ١٩٥٥ قد أغفله وتنكر له بعد شهر واحد فى جنيف، من التسرع القول بهذا وبلاشك فانه عندما عاد من جنيف في ٤ من أغسطس ١٩٥٥ القى خطبة فى المجلس السوفييتى الاعلى قال فيها :

« **ان السياسة الخارجية السوفييتية توجه فى مبادئها الاصلية بفكرة لينين عن التعايش السلمى وعن التعاون بين الدول ذات النظم السياسية المختلفة** (٧) » ٠

وهنا لا معدى لنا من الخروج بامرين :

أولهما : أن فترة التعايش السلمي يمكن أن تمتد الى مالا نهاية ـ واذا فقط ـ استطاع الغرب المتحدة أن يحتفظ بالنسبة بين القوات فى الكتلتين ، وهذه فكرة قد أكدها مستر هارولد ماكميلان وزير خارجية بريطانيا لمجلس العموم يوم ٢٧ من يوليو سنة ١٩٥٥ ، (وقد تكون هناك رغبة ملحة لبذل الجهود لازالة التوتر في كل الاتجاهات **وفى جو غير ناضج للتفاؤل** ، « **ولو فعلنا هذا لفقدنا كل شىء** ») ٠

والنقطة الثانية التى يجب أن ندركها هو أنه حتى فى ضوء فكرة « التعايش السلمى » فان الشيوعية الدولية قد تتابع نشاطها ، فالحرب ـ في الواقع ـ من وجهة نظر لينين يمكن تجنبها بالقيام بالتآمر داخل المعسكر المضاد ، ولقد أكد فى تقريره الموسوم بعنوان « ملاحظات عن واجب وفدنا الى لهاى » :

« ومن الضرورى أن توضح بأن الوسيلة الوحيدة المستطاعة فى حرب « النزال والمداورة » هى الاحتفاظ « بالبقاء » وبتشكيل « منظمات غير قانونية » في الخارج ، منظمات تجمع كل الثوار فى القوات المسلحة للقيام بنشاط مضاد للحرب (٨) » ٠

---

٧ ـ التيمس اللندنية عدد ٥ من اغسطس سنة ١٩٥٥ ٠

٨ ـ . ضروريات اللينينية *The Essentials of Leninism* طبع لندن سنة ١٩٤٧ ج٢ ص ٨٢٢ ، وقد قال هذا فى مؤتمر لهاى الدول للسلم فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ ٠

ولم يكن من المستطاع فى جنيف تبادل أى وجهات نظر عن هذه الموضوعات ، ولا أن توضع كمراجع للبحث فى مؤتمر وزراء الخارجية القادم ، وعلى حين أن الوفد الامريكى فى مؤتمر جنيف قد أوضح اهتمام أمريكا بنشاط الشيوعية الدولية (٩) فان الماريشال بولجانين أوضح بدوره أن الوفد السوفييتى ليس مستعدا لمناقشة نشاط الشيوعية الدولية(١٠).

ان الكثيرين من الناس يتوقعون أن توقف الشيوعية الدولية نشاطها (١١) ولكن حتى يصلنا الدليل على العكس فقد يكون من الحكمة والتبصر تقبل فكرة أن منظماتها للسلم وللحرب ـ وبخاصة الاخيرة منها ـ ستبقى قائمة ، فان نشاطها لاتحرمه نصوص القانون الدولى على ماسيوضح فى الفصل الحادى عشر من هذا الكتاب ، وليس من سبب ـ مهما كان العامل لان ينزل الروس عن هذا السلاح القوى الفعال ، ولكن السبب الذى لاجله يجب أن يعنى الناس فى الغرب بهذا السلاح هو ما قاله لينين نفسه عنه :

---

٩ ـ حديث الرئيس ايزنهاور فى تقريره الاذاعى للامة الامريكية ٢٥ من يوليو سنة ١٩٥٥ وفى خطبة الرئيس الافتتاحية لمؤتمر جنيف قال ان الشيوعية الدولية « تعمل فى كل العالم للتآمر ضد الحكومات القانونية ولتتبع الامم لسيطرتها ، ولا نستطيع ان نتجاهل عدم الثقة الذى اوجده مثل هذا النشاط فى امتى وفى كل مكان فقد زاد انعدام الثقة من التوتر الدولى ».

١٠ ـ التيمس اللندنية ١٩ من يوليو سنة ١٩٥٥ .

١١ ـ تحولت نظرة السوفييت اخيرا الى حد اعتبار الحرب الباردة صغيرة جدا الى حد ان الدبلوماسية السوفييتية قد حلت مكانها وعملت حيث فشلت تكتيكات الحرب الباردة، فقد كان الشيوعيون فى النمسا بلا قوة ولكن الدبلوماسية نجحت فى تحييد تلك البلاد ، وكذلك فشلت الشيوعية فى يوجوسلافيا ولكن الدبلوماسية السوفييتية حققت الآن اول نتائجها فان الماريشال تتو على ما تقول الصنداى تليمس فى عدد ٣١ من يوليو سنة ١٩٥٥ قد استخدم نتائج مؤتمر جنيف ليجمد حلف البلقان ففى آخر اذاعة له قال (ان المرحلة العسكرية هى الآن مرحلة ثانوية الطابع) ولهذا فانه سيكون ضد سياسة يوجوسلافيا ان « تقوى هذا الحلف العسكرى » ان هذا يبدو تسليما لموسكو باول النتائج لاضعاف نشاط الغرب العسكرى ، وكذلك فان الدبلوماسية نجحت فى المانيا الغربية من حيث اخفقت الحرب الباردة .

« ان كل فرد ليوافق على أن جيشا لم يدرب على استخدام كل الاسلحة وكل أساليب الحرب التي يتملكها العدو والتي يستخدمها لهو جيش معدوم الحكمة يجرم عن حق أفراده ، ومالم نسد كل وسائل وأساليب الحرب لواجهنا هزيمة حاسمة منكرة (١٢) » .

أو لايضاح نفس الفكرة فى كلمات أكثر انطباقا على اتجاهات الغرب، ففى جنيف احتفظ الغرب باصرار لفكرة أن (الاستقرار والامن يتوقفان على عدم قيام الحوف الامر الذى يستند بدوره الى توازن القوى (١٣) وهذا التوازن يتوقف على الغاء كل أسلحة الحرب) .

ان أسلحة الحرب دون مسرح للحرب فى الطابع الذى تستخدمه الشيوعية فى وقت الحرب من أقوى الاسلحة المدمرة ، ولا يمكن أن يطلب قيام حرب أخرى فى هذا الطابع ، ولا يمكن أن نأمل فى تجنب قيام هذه الحرب الا لو تأهبنا تماما لها .

ومن ثم فان القصد من هذا الكتاب هو تحقيق هذا الهدف بالكشف عن أساليب هذه الصورة الجديدة من صور الحرب ، ان ما كسبه السياسيون فى جنيف لا يمكن الاحتفاظ به الا بعنف الرجل العسكرى مقترنا بجهد الامة .

---

١٢ ـ لينين « شيوعية الجناح الايسر » *Left Wing Communism* فى (المختار من اعمال لينين) طبع لندن سنة ١٩٤٧ مجلد ٢ ص ٦٢٩ .

١٣ ـ التيمس اللندنية عدد ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٥ .

المـادة للحوادث السوفييتيـة

The Soviet Case Material

- ⊙ عملية مثالية فى الجاسوسية : الأوركسترا الحمراء •
- ⊙ مبتدئون فى عملية التسرب : الثلاثة الحمر •
- ⊙ المزيد للحصول على المعلومات : عمليات استكشاف •
- ⊙ سقوط فرنسا •
- ⊙ دراسة الحرب السياسية : لجنة الألمان الأحرار •
- ⊙ خطة للتخريب •
- ⊙ نموذج للثورة : ميلاد دولة تابعة •
- ⊙ منظمة جديدة للحرب •

٢

عملية مثالية فى الجاسوسية

الاوركسترا الحمراء — ١٩٤١ ـ ١٩٤٣

صدرت بعدد الثالث من نوفمبر سنة ١٩٥٣ لجريدة الديلى تلغراف اللندنية الرسالة التالية واردة من لوسرن بسويسرة ٠

« قال رجل ألمانى المولد اسمه رودولف روسلير Rudolph Ruessler فى السادسة والخمسين من عمره اليوم فى محكمة لوسرن أثناء محاكمته كجاسوس سوفييتى أنه قد نظم « خدمة مخابرات » لتشيكوسلوفاكيا بين سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٥٣ ، وقد اتهم بالجاسوسية ، وقد جاء فى بيان الادعاء أنه استخدم أرض سويسرة قاعدة لارسال معلومات سرية عن قوات الاحتلال البريطانية والامريكية وعن التحصينات فى ألمانيا الغربية وبين قوات الحلفاء فى الدانيمارك الى الخدمة السرية التشكية » ٠

« وقد اعترف روسلير أنه أرسل تقاريرعسكرية واقتصادية وسياسية ولكنها تقارير أخذت من وثائق فى متناول يد كل فرد ، وقد وجد أحد التقارير المصورة تصويرا مصغرا Microfilm داخل علبة من العسل، وفى التقرير مشروع مطارات للسلاح الجوى البريطانى فى منطقة ويستفاليا بشمال الرين » ٠

وفى السادس من نوفمبر سنة ١٩٥٣ نشرت الديلى تلغراف رسالة أخرى من مراسلها جاء فيها :

« حكمت محكمة سويسرية اليوم ١١/٥ على رودولف روسلير بالسجن اثنى عشر شهرا لتجسسه لحساب تشيكوسلوفاكيا على دول الحلفاء الغربيين » ٠

وكون روسلير الجاسوس للروسيا أثناء الحرب العالمية الثانية يواجه حكما بالسجن يوم ٥ من نوفمبر سنة ١٩٥٣ من محكمة لوسرن الجنائية

بعد أن ثبت للمحكمة الفدرالية أنه قد أرسل جانبا من المعلومات التى حصل عليها الى « الاوركسترا الحمراء » أى الى الخدمة السرية السوفييتية ، لمسألة لها أهميتها ، فقبل ست سنوات كانت سويسرة فى الانباء بسبب ضبط شبكة للجاسوسية كانت تعمل فى سويسرة أيام الحرب ، وقد قالت جريدة Der Bund « الرابطة » التى تصدر ببرن نقلا عن مراسلها فى لوسرن يوم ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٤٧ :

« بدأت الاجراءات فى المحكمة صباح يوم الثلاثاء لعرض قضية للجاسوسية ترجع الى السنوات ١٩٤١/١٩٤٣ ، والمتهمون ستة يحاكم متهم ثلاثة غيابا هم الكسندر رادو وهو كاتب شفرة من أصل مجرى ومكانه الحالى غير معروف وزوجته هيلين رادو ثم آلان‌فوت مهندس بريطانى غير معروف مكانه الحالى ، أما الذين مثلوا أمام المحكمة فهم أدموند تشارلس هامل المولود سنة ١٩١٠ فى نوارمونت من أعمال ولاية (برن ـ جورا) ويعمل خبيرا فى الراديو بجنيف وزوجته أولجاهامل ثم مرجريت بوللى (الان مرجريت شوارتز بوللى لتزوجها من شوارتز) والمولودة سنة ١٩١٩ وتعيش حاليا فى باسل » ٠

« ويهتم المجلس العسكرى الكسندر رادو العميل للاتحاد السوفييتى بأنه نظم بسويسرة فى المدة من أبريل سنة ١٩٤١ الى أكتوبر سنة ١٩٤٣ شبكة للجاسوسية لصالح السوفييت وأنه قد قام باتصلات لاسلكية على موجة قصيرة من جنيف الى لوزان ، وقد جند عملاء مأجورين وعينهم لنقل المعلومات التى يحصل عليها هو » ٠

« وقد وجدت أجهزة الارسال اللاسلكية عند الزوجان هامل فى جنيف وعند مرجريت شوارتز بوللى ، كما اكتشف جهاز الارسال السرى الذى كان يستخدمه آلان فوت فى لوزان » ٠

وفى الثانى من نوفمبر سنة ١٩٤٧ نشرت « دربوند » الحكم الذى صدر فى القضية ، وقد أدين المتهمون الثلاثة بالجاسوسية العسكرية ضد دولة أجنبية هى ألمانيا وأدين اثنان بالعمل فى خدمة دولة أجنبية هى الاتحاد السوفييتى ٠

وهكذا انتهت قصة « الاوركسترا الحمراء » فى سويسرة ٠

ولكن التقارير عن قصة « الاوركسترا الحمراء » فى ألمانيا ، وفى غرب أوروبا التى يحتلها الالمان تقول بأن ٧٨ عميلا روسيا قد أعدموا سنة ١٩٤٣ فى ألمانيا وحدها ، وان كان هذا الرقم غير مؤكد على التحقيق لان البعض يصل به الى (٤٠٠) أربعمائة (١) » ·

على أننا لا نعرف على التحديد بداية القصة ولكن من الواضح أنه قبل أن تبدأ الحملة الروسية كانت شبكة الجاسوسية السوفييتية قد ثبتت أقدامها فى كل بلاد غرب أوروبا وبقيت تعمل حتى سنة ١٩٤٣ ، وكانت الشبكة موزعة توزيعا واسعا ولها فروع فى برلين ولهاى ، وبروكسل وباريس ومارسيليا ونيس ، وكان مركزها بسويسرة فى جنيف مع فروع فى لوزان ولوسرن وبيرن وباسل (٢) ، ويقال بأنه كانت هناك شبكة أخرى فى السويد (٣) ، ويعرف التشكيل كله باسم « الاوركسترا الحمراء » أو « روت كابيللى » Rote Kapelle وهو اسم أطلقه الالمان على هذه المنظمة الكبيرة لان كلمة « موسيقيون » كانت هى التسمية التى تطلق على عمال اللاسلكى بها وكان الفرع السويسرى يطلق عليه « الثلاثة الحمر » (Rote Deri) بسبب أن الالمان كشفوا عن ثلاثة من عمال اللاسلكى بالشبكة ·

وقد حققت هيئة مكافحة الجاسوسية فى ألمانيا أول نجاح لها فى ديسمبر سنة ١٩٤١ عندما اكتشفت وأغلقت محطة للارسال فى بروكسل، وأمسكت بجهاز ارسال آخر فى صيف سنة ١٩٤٢ (٤) ، وفى نوفمبر سنة ١٩٤٢ عندما بدأت معركة ستالينجراد كانت « الاوركسترا الحمراء » فى ألمانيا وغرب أوروبا الذى يحتله الالمان قد أحدق بها تماما ، ولكن حلقة

---

١ - *Pual Lever Kuehn, German Military Intelligence, London 1954, P. 176*

٢ - *W. F. Flicke, Agentenfunken nach Maskov, Kreuzlingen 1954, P. 72*

Alexander Foote, Handbook for Spies, London, 1949

٣ - *Lever Kuehn, op. cit, P. 175*

٤ - *Lever Kuehn, op. cit., P. 176*

« الثلاثة الحمر » كانت لا زالت تتابع العمل ، ولربما تكون قد استخدمت كمورد للمعلومات الهامة التى ترد من بعض عملاء المنظمة والذين أفلتوا من قبضة الالمان (٥) .

على أن البوليس السويسرى بعد أن قام ببعض اعتقالات قليلة الاهمية فى تاريخ سابق استطاع أخيرا أن يصفى حلقة (الثلاثة الحمر) فى قرابة نهاية سنة ١٩٤٣ ، ففى أكتوبر أغار على محطة ارسال فى جنيف أثناء قيامها بالارسال ، وأغلقت المحطة الثانية وحدها لقيام البوليس بتعقب أفرادها ، وفى نوفمبر أمكن ضبط المحطة الثانية بلوزان ووجد بها عدا الجهاز المستخدم جهاز احتياطى ، كما قبض على العميل الذى يتولى أمر الخلية الالمانية (٦) ، على أن الكسندر رادو العميل الرئيسى فى سويسرة والذى حوكم غيابيا سنة ١٩٤٧ لم يقبض عليه قط ولكن الحلقة توقفت عن العمل تماما .

ولكن لاشك فى أنها سببت اضرارا كبيرا للالمان ، وكما سنرى ، فقد فوجىء الالمان بوجود شبكة الجاسوسية هذه ، ولم يكونوا على استعداد لمقاومتها ، والواقع أنه من السهل بعد الحادث أن نصف أنفسنا بالحكمة وأن نوجه النقد للمنظمة الالمانية لمكافحة الجاسوسية ، ولكن الاصح هو أن نقدر بعدل وأمانة أنه لم يكن فى استطاعة أى خدمة سرية فى أوروبا أن تقدر وجود مثل هذه الشبكة الواسعة فى ذلك الوقت ، ولهذا فانه من الضرورى أن ندرك نحن (فى الغرب) بأن نظام الجاسوسية السوفييتية قد تطور تطورا واسع المدى منذ ذلك التاريخ ، وأننا يجب أن نكون على استعداد لمواجهة تهديده والعمل ضده فى أى وقت .

ولهذا كانت الصعاب التى تواجه الالمان عديدة وكانت لها أسباب كثيرة مختلفة متباينة ، فقبل بدء الحرب الروسية الالمانية لم تستخدم شبكة الجاسوسية السوفييتية الاجهزة اللاسلكية بل كان أفرادها يرسلون رسائلهم بالرسائل ، والرسل الذين يستخدمون وسائل حديثة لمواصلات سرية يصعب الكشف عنهم ، وحتى ولو أمكن الكشف عن واحد أو أكثر من الرسل الذين يبدو أنهم يعملون فرادى فمن المستحيل معرفة الراسل

---

٥ — *W. F. Flicke, op. cit., P. 204*

٦ — *cf. W. F. Flicke. op. cit. pp. 307, 312 and 332*

ولا المرسل اليه ، والامر الثاني أنه عندما بدأ القتال وبدأ الجواسيس الروس استخدام الاجهزة اللاسلكية كانت كل الرسائل بالطبيعة بالشفرة ولو أمكن معرفة مكان المرسل اليه (متسلم الرسالة) لامكن تقدير مدى اهمية الرسالة ، ولكان من الممكن أن توجه أجهزة الالتقاط وضبط الاتجاه وتعمل أجهزة حل الشفرة ثم تجيء بعد هذا الاجهزة التي تعمل لتحديد موقع والتي تعمل في مرامي قريبة لتضييق الدائرة حول أجهزة الارسال ، ولكن لما كانت هذه الاجهزة تغير أماكنها كما تغير التردد والموجات التي ترسل عليها واشارات الاستدعاء فان الامر يتطلب مراقبة مضنية مجهدة لاسابيع حتى يمكن الوصول الى جهاز الارسال ، ولكن مع هذا فانه من غير الممكن القيام باعتقال الاشخاص والقبض عليهم ذلك لان الشخص الوحيد الذى يتنكب في القضية هو الشخص الذى يكون قائما بالعمل على الجهاز ، واعتقاله يعتبر انذارا لمن يستخدمونه وبذلك فانهم يعملون مستخدمين جهازا آخر في مكان بمنجاة من الرقابة .

صحيح قد يمكن وضع كل شخص يدخل أو يخرج من المنزل تحت رقابة لامكان الوصول الى الرؤساء الذين يتولون أمر الشبكة ، ولكن الاهم من هؤلاء هم مصادر المعلومات ، ولو أمكن الوصول الى هؤلاء واعتقالهم لامكان تصفية الشبكة تماما ،وعملية الكشف عن شخصيات هؤلاء الرؤساء عملية تتطلب الحيلة والخديعة ذلك لان الرسائل التى ترسل بالراديو لا تشير الى هؤلاء الا بأسماء كودية .

* * *

والواقع أنه يجب أن نلاحظ بأنه في بدء الحرب كانت الهيئات الألمانية التى تعمل في ضبط أجهزة الارسال ضمن هيئة مقاومة الجاسوسية Funkabwehr تفتقر الى الافراد والى المهمات ، وحتى في نهاية سنة ١٩٤١ كان لدى الالمان ستة أجهزة لضبط الاتجاه بعيدة المدى ولم تكن تعتمد على معاونة محطات الجيش والسلاح الجوى والاسطول كما كان لدى الهيئة الالمانية لمكافحة الجاسوسية أجهزتها القصيرة المدى لضبط الاتجاه وأجهزتها لحل رموز الشفرة ولكنها كانت أصغر من العمل ضد هذا التوزيع الواسع المدى لشبكة الجاسوسية السوفييتية ، ولقد بدأت الحرب في يونيو سنة ١٩٤١ ، ولكن لم تستطع قوات مكافحة الجاسوسية قبل أكتوبر أو نوفمبر أن تكتشف بأن الرسائل مرسلة الى « المدير » بموسكو، ولم تعرف قبل ديسمبر أن هناك ٣ محطات ارسال تعمل في منطقة

جنيف ـ لوزان (٧) وهكذا تكون هذه الهيئة قد احتاجت ستة أشهر لتحصل على معلومات تمهيدية وفى هذه الستة شهور كانت مئات الرسائل قد أرسلت ٠

ومنذ ذلك التاريخ كانت الهيئة الالمانية لمكافحة الجاسوسية تواجه أكثر العراقيل الخطيرة المعطلة لعملها ، الا وهى ، هذه الحلقة للجاسوسية السوفييتية الموجودة بسويسرة ، ولما كانت سويسرة على الحياد فان قوات المكافحة الالمانية لا تستطيع العمل ضدها علانية ، صحيح أن الالمان يمكن أن يطلبوا من البوليس السويسرى الفدرالى كبح جماح أفراد هذه الشبكة ، وطبقا للقانون السويسرى يمكن اتهام هؤلاء الافراد بأعمال الجاسوسية ، وباختراق النظم والتعليمات التى تقضى بالمحافظة على حياد سويسرة ، وحياد سويسرة يحرم استخدام المحطات اللاسلكية ، ولكن يبدو أن الالمان لم يطلبوا من البوليس السويسرى أى عمل ، وعندما كشف البوليس السويسرى وحدة ـ دون طلب من أحد ـ هذه المحطة اكتفى باغلاقها والقبض على كل أعضاء الشبكة المعروفين ، وكان كل ما بقى الالمان هو أن خلية من (الاوركسترا الحمراء) قد تعطلت ٠

وعلى ما يبدو فان الالمان قد أدركوا بأن الاتصال رسميا بالسويسريين لن يؤدى الى الكشف عن الخلية الالمانية التى تقدم المعلومات للشبكة ولهذا فانهم بعد أن عرفوا احدى عضوات الشبكة حاولوا التسرب لداخلها ، ولكنهم لم يحققوا أى نتائج حاسمة (٨) ٠

وقد أمكن القبض على بعض أعضاء الخلية الالمانية فى حملة التطهير التى قامت في سنة ١٩٤٤ أثر محاولة لاعتداء على حياة هتلر (٩) ولكن هذا تم بالصدفة ودون أن يكونوا موضع شك فضلا عن أن يكون ضدهم أى دليل على انغمارهم فى خضم الجاسوسية السوفييتية ٠

ومرة ثانية يمكن بسهولة أن نجد خطأ آخر للقوات الألمانية لمكافحة الجاسوسية ، فقد كان من الافضل أن يطلب من البوليس السويسرى غلق

---

٧ ـ *W. F. Flicke* نفس المرجع ص ٢٨/١٥/٧ ٠

٨ ـ *A. Foote* نفس المرجع ص ٨٧ ٠

٩ ـ *W. F. Flicke* نفس المرجع ص ٢٤٣ ٠

الشبكة التي تعمل في سويسرة في نهاية سنة ١٩٤١ بدلا من أن يطلب هذا في نهاية سنة ١٩٤٣ ، وقد كان هذا يمكن من القضاء على مركز تجميع ونقل المعلومات ، صحيح أن الالمان كانوا على صواب في محاولتهم كشف الحيلة الموجودة في ألمانيا عن طريق التسرب لداخل خلية سويسرة ، ولكنهم فعلوا هذا متأخرين ، فان عميلهم لم يبدأ العمل الا في أكتوبر أو نوفمبر سنة ١٩٤٢ ٠

وهنا نستطيع أن نتعلم درسا آخر ، ففي أي حرب مستقبلا سيكون للسوفييت شبكاتهم للجاسوسية في البلاد المحايدة كما يكون لهم في بلاد العدو ، وللاسباب التي سبق ذكرها يمكن لعمـلاء الغرب بتسربهم لداخل الشبكات في البلاد المحايدة أن يصلوا لمعرفة الخلايا والشبكات التي تعمل في بلادهم ، وهنا يجب ملاحظة أن الخلايا والشبكات التي يعدها السوفييت في سويسرة يجند أعضاؤها من الحزب الشيوعي السويسري ، وهذه هي التي يجب التسرب لداخلها حتى قبل بدء الحرب ٠

ولقد كتبت عدة كتب عن حملات الحرب الماضية ، ولكن ما كتب عن الحملات الروسية بالانجليزية أو بالفرنسية شيء ليس بالكثير ولعل سبب هذا أن قوات الحلفاء لم تشترك في هذه الحملات ولم يكن من السهل الوصول الى الوثائق والمستندات ،ولكنها مع هذا تعتبرمن الناحية العملية مادة جيدة للمطالعة ، **على أن هذه المراجع كلها قد خلت من شيء له أهميته ، فقد اغفلت كلها الجاسوسية الروسية والتأثير الكبير الذى كان لها على مجرى الحوادث ، ولهذا فان الغرب** لم يبدأ حتى ادراك ما كان للجاسوسية الروسية من أثر في بدء العمليـات وفي مختلف مراحلهـا ، **ولقد اثبت الروس في الحرب الماضية أنهم سادة الجاسوسية بالتسرب ، كمـا أوضحوا كذلك معرفتهم بخطط الالمان وتوزيعهم لقواتهم بغاية الدقةوالى غاية ما يمكن من التفاصيل، وأخيرا فقد أثبت الروسمعرفتهم بكيفية استخدام ما يتوافرلهم من معلومات في مسرح الحرب ٠**

ولكن من هم هؤلاء الذين قاموا بالتسرب ؟ !!

الواقع أنه لا يوجد دليل كامل للافراد بل ولن يمكن أن يتواجد ، وان كان مما يدهش الفرد أن يعرف بأنهم كانوا كثيرون لدى الروس ليقوموا بمثل هذه الاعمال ، وقد ذكر الدكتور ليفر كويهن Lever Kuehn عدد قليل من هؤلاء اذ يقول :

« كان القسم الفرنسي يعمل تحت اشراف ضابط مخابرات روسي وقد نجح في ايجاد صلة قوية بينه وبين عدد من الموظفات اللاتى تعملن في مكتب القائد العام فى فرنسا المحتلة ، ولكن الروسي وكبير معاونيه قد اعتقلا قبل أن يستطيعا القيام باضرار لها خطرها ووزنها (١٠) » .

ويذكر الدكتور ليفير كهوين أيضا العملاء في وزارة الطيران ووزارة الخارجية ووزارة الاقتصاد موضحا أن قيمة المعلومات التى أرسلت الى موسكو كانت كبيرة ، (١١) ، وقد أضاف مستر فوت Foote الى هذا بيان العملاء الذين كانوا فى القيادات العليا فى الاسطول الألمانى وفى الفيرماخت Wehrmach » (١٢) .

ولا تترك تقديرات مستر فليك Flicke أقل شك أنه كانت هناك اتصالات أيضا مع شخص ما له مكانة كبيرة فى رياسة حزب النازى ، بل وكذلك دون قصد مباشر مع الجانب السويسرى ومع المخابرات العسكرية السويسرية التى كانت لها اتصلات أيضا بألمانيا (١٣) ، وقد حصلت شبكة الجاسوسية السوفييتية فى سويسرة على بعض المعلومات من الجنود الالمان الذين يتعالجون فى المصحات الالمانية في دافوس Davos بسويسرة ، ويجب ذكر هذا لعرض الصورة الكاملة لجهود هذه الشبكة (١٤) .

وكانت أسماء بعض هؤلاء المتسربين معروفة والبعض الآخر مجهولا ، وكان بعضهم يعرفون أنهم يعملون في خدمة السوفييت وكان آخرون يؤمنون بأنهم يعملون فى قوات المقاومة ضد هتلر ، ولكن لم يكن من سبيل لان يشك أفراد الشبكة السويسرية فى عملهم كانوا يعرفون تماما ماذا يفعلون ومن يخدمون ، وكان يعملون فى النظام العادى للجاسوسية ، قليل من الاتصال بين العملاء المختلفين ، ويقوم الاتصال عن طريق الرسل والوسطاء كلما أمكن تنفيذ هذا .

---

١٠ ـ ليفير كهوين نفس المرجع ص ١١٦ ـ ١١٧ .

١١ ـ ليفير كهوين نفس المرجع ص ١٧٦ .

١٢ ـ *A. Foote* نفس المرجع ص ٨٣/٨١ .

١٣ ـ فليك نفس المرجع ص ٢٢٥/١٩١/١٤٩ .

١٤ ـ فليك نفس المرجع ص ١٣١ .

وكانت «الاوركستر الحمراء» تخضع لسيطرة مباشرة من موسكو ، تحت امرة مدير المخابرات الحربية ، وكان هو أيضا يسطر على شبكة الجاسوسية فى كندا بالاضافة الى شبكة سورج فى اليابان ، على أن ما كشف عنه الستار فى استراليا أوضح أن الشبكات التى كانت تنظم بتدبير السفارات كانت تعمل مستقلة وحدها ، ولكن كانت هناك بعض استثناءات ولسبب خاص ، فعندما تولى الدكتور سورج العمل فى اليابان أوضح بأنه يريد أن يكون اتصاله بالسفارة الروسية لاقل ما يمكن (١٥) ، ومن ثم فقد ترك أمر شبكة « للاوركسترا الحمراء » ، وكذلك لم تكن للروسيا سفارات فى ألمانيا ولا فى أوروبا المحتلة منذ سنة ١٩٤١ وما بعدها ، فكان من الضرورى أن ترجع أمور الشبكات التى بها للمخابرات الحربية السوفييتية ، وكذلك لم تكن بين الروسيا وسويسرة أية علاقات دبلوماسية منذ أن قطعت العلاقات سنة ١٩٢٤ ؛ وقد أعيدت هذه العلاقات فى سنة ١٩٤٦ ولهذا من المتوقع مستقبلا أن تتبع الشبكة التى بها نظام الشبكات فى كندا أو استراليا (١٦) .

وكان « المدير » فى موسكو يتصل مباشرة بمختلف المديرين المقيمين الذين يمثلون « الاوركسترا الحمراء » كل فى منطقته ، فكان فى سويسرة « رادو » وفى برلين « كورو » ،وفى بروكسل « كنت » وفى باريس « جلبرت »، وكان هؤلاء العملاء المقيمون مسئولين عن شبكاتهم وهم الذين يوجهونها تبعا لمطالب موسكو ، كما كانوا مسئولين عن تقدير قيمة المعلومات التى ترد وعن اعداد الرسائل الشفرية التى تتضمن هذه المعلومات وارسالها الى موسكو ، كما كانوا يتولون مسائل التمويل ، وكان لكل من الشبكات كفاية ذاتية وكقاعدة عامة فانها لا تتصل بالشبكات الاخرى ، ولكن هذه القاعدة قد اخترقت سنة ١٩٤٤ عندما طلبت سويسرة معونة مالية من شبكة كندا ، وقد ثبت هذا فى التحقيقات التى قامت بها لجنة التحقيق الملكية بكندا .

والمدير المقيم هو الذى يعين رجال الاتصال وعمال اللاسلكى ، ورجال الاتصال هم الذين يجنـــدون « مصـــادر المعلومات » الذين يرســلون اليهم المعلومات عن طريق « رسل » أى عن طريق أفراد ينقلونها Courier ،

---

١٥ ـ الميجر جنرال تشارلس ا. ويلوبى فى كتابه « سورج : جنسوس سوفييتى » طبع لندن سنة ١٩٥٢ ص ٣٨ .

١٦ ـ كان للسوفييت شبكة جاسوسية فى صوفيا ببلغاريا تتولاها السفارة السوفييتية هناك ، راجع « مذكرات » لفرانز فون بابن طبع لندن سنة ١٩٥٢ ص ٤٧٤ .

ويمكن لرجال الاتصال أيضا أن يعملوا مع عمال اللاسلكى (١٧) ، ولكن ليس هذا بقاعدة عامة فان « كنت » فى بروكسل كان أحيانا يتصل اتصالا مباشرا بمصادر معلومات من الرعايا الالمان (١٨) .

والعادة أن يحتفظ بالشفرة دائما فى مكان آمن ، ولا يعرفها أحد غير « المدير المقيم » Resident Director أى الرجل الذى يتولى أمر الشبكة وبالطبع تعرفها موسكو أيضا ، ولكن مستر فوت يقول أنه كانت له شفرة خاصة بالاضافة الى الشفرة التى كان يستخدمها المدير المقيم فى سويسرة ، ولا توجد شفرتان متماثلتان ، وفى كندا كان لكل قسم من أقسام السفارة الشفرة الخاصة به لا يعرفها أى قسم آخر .

وعلى حين أن شبكة « الثلاثة الحمر » (الاسم الذى أطلقه الالمان على شبكة سويسرة) كانت منذ بداية الحملة الروسية ـ اليابانية تعتمد دائما على أجهزة الارسال والاستقبال التى تعمل على الموجة القصيرة للارسال والاستقبال لارسال الرسائل والمعلومات وتلقى التعليمات ، فان سورج فى اليابان قد استخدم بالاضافة الى أجهزة اللاسلكى مجموعة من الرسل ، وكان الرسول المسافر من اليابان يلتقى برسول قادم من موسكو فى مكان ما خارج الجزر اليابانية ، وتتبادلان ما معهما من رسائل ثم يعود كل منهما وجهته الخاصة ، وقد استخدمت شبكة « الثلاثة الحمر » هذه الطريقة أيضا ، بل واستخدمت حتى البريد العادى فى أيام السلم التى سبقت قيام الحرب بين ألمانيا والروسيا ، وقبل انقطاع المواصلات العادية عبر الاراضى الألمانية .

وقد يكون نشاط روسلير Rœssler فى تشيكوسلوفاكيا مطابقا لهذا تماما فهو لم يكن يتصل بالسفارة الا فيما ندر ، كان يتلقى تعليماته من الرجل الذى كان فيما بعد عضده المدافع عنه ، كان رجلا سويسريا اسمه شنيبر Schnieper وكان شنيبر يسافر الى براج وفيينا لمقابلة العملاء التشيك ، وكما قالت جريدة « نيوزوريخ تسيتونج » فى عددها الثالث من نوفمبر سنة ١٩٥٣ أنه ـ أى روسلير كان « يحصل على حاجة من المعلومات أثناء الحديث مع معارفه ، وكان على ما يبدو يقوم بزيارات منتظمة لالمانيا ،

---

١٧) فوت نفس المرجع ص ٥٢ .

Dr. M. Rœder, Die Rote Kapelle, Hamburg 1952, P. 21

وكان مصدره الرئيسى للمعلومات من المطبوعات السويسرية والاجنبية من كل الانواع وكانت لديه مجموعة مرتبة بعنـاية تحتوى على عشرين الف قصاصة من الصحف ،وكانت كل هذه القصاصات عن موضوعات عسكرية، ويمكن القول بأن بينها الكثير مما يعتبر سريا جدا ولم يكن يجوز نشره ، ومما لا شك فيه أن روسلير قد اكتسب خبرة عسكرية من حياته الصحفية ومن سابق أعماله فى المخابرات وأن هذا قد مكنه على أن يستخرج نتائج مؤكدة نتيجة بحوثه فى هذه المطبوعات » •

وعلى ما تقول النيوتسيتونج فان روسلير كان يكتب تقاريره بخط يده وكان شنيبر يكتبها بالآلة الكاتبة والعادة أن يأخذها بعد ذلك الى فولف Volf (نقيب وسكرتير الملحق العسكرى التشكى) فى برن حيث يتسلم نقود ثمنا لهذه المعلومات ، وبعد ذلك يلتقط شنيبر للتقارير صورا مصغرة بآلة تصوير خاصة ثم يرسلها داخل خطابات الى عنوان فى براج أو أن يرسلها فى طرود غذاء الى عنوان آخر فى دوسيلدورف ، وكلا العناوين من عناوين التغطية لاشخاص لا يحوطهم الشك وتستخدم عناوينهم كصناديق بريد لشبكات جاسوسية ، وفى حادثتين أخفيت هذه الافلام فى برطمان عسل وفى « تينة » من الفاكهة المجففة •

ولسوء الحظ أن صاحب العنوان الذى أرسله الطرد فى دوسيلدورف رفض تسـلمه ومن ثم فقد أعيـد الى سويسرة ولمـا كان العنوان عنوانا مصطنعا غير حقيقى فقد فتحت السلطات السويسرية الطرد وهكذا أمكن اكتشاف الافلام المصورة •

وبالاضافة الى الخطط الخاصة بالمطارات لطائرات السلاح الجوى الملكى فى ويستفالياو التى سبق الحديث عنها ، فقد كشفت الصحيفة السويسرية أيضا عن : **معلومات المدربين الامريكان الذين كانت لهم سابق خبرة بكوريا والذين جاءوا الى ألمانيا للمناورات ،وكذلك المعلومات الخاصة بتنظيم القوات الجوية الامريكية فى بريطانيا ، والقوة الحقيقية للجيش الفرنسى ، والشىء الذى يستثير الدهشـة هو أنه عنـدما روجعت هذه المعلومات بوساطة المختصين وضحت حقيقتها ودقة تفاصيلها ، وكان العجيب بعد هذا كله أن المصدر الذى استقى منه روسلير كل هذه المعلومات انما كان مطبوعات منشورة سواء من الصحف أو من الدوريات أو من الكتب •**

ولم يكشف الستار عما كان سيفعله أصحاب عناوين التغطية التى أرسلت لها الخطابات والطرد الذى رفض صاحبه تسلمه ، ولكن المفروض أن هذا كله كان سيسير فى الطريق العادى بوساطة الحقائب الدبلوماسية حتى يصل وجهته الحقيقية .

* * *

على أن « الاوركسترا الحمراء » لم تثب الى الضوء فجأة فقد أنشئت قبل غزو ألمانيا للروسيا بكثير ، وقد أدت خدمات جليلة للسوفييت على ما سترى فى الفصل التالى من الكتاب ، ولا شك فى أن «الاوركسترا الحمراء» أو التنظيم الذى خلفها يقف الآن على أهبة الاستعداد للعمل عند قيام الحرب .

ولقد دلت التحقيق على أن الشبكات السوفييتية نفذت حتى الى داخل المجلس الاعلى للدفاع القومى فى فرنسا ، وأن هذا يرجع الى سنة ١٩٥٤ ، والمجلس القومى هو الهيئة التى تناقش أكثر المسائل سرية فى الدفاع الفرنسى ، ويتشكل المجلس من رئيس الجمهورية ، وأعضاء من الحكومة ثم رؤساء هيئات أركان الحرب للاسلحة الثلاثة ، وفى سبتمبر سنة ١٩٥٤ أعلن أن هناك تسرب خطير لمعلومات عما يدور فى جلسات المجلس ، وقيل بأن محاضر الجلسات قد تسربت الى الحزب الشيوعى ، وفى ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ اتهم موظفان كبيران من موظفى مكتب السكرتير الدائم للمجلس بأن المعلومات قد تسربت عن طريقهما ، وبعد ذلك أعلن أنهما قد اعترفا بمسئوليتهما فى تسرب هذه المعلومات .

وفى جاء فى عدد جريدة التيمس اللندنية لليوم الثانى من أكتوبر سنة ١٩٥٤ : « .. وقد جاء فى التقرير أن كلا الرجلين قد عملا فى البداية بدافع من عقيدتهما السياسية ، أى الشيوعية ، ولقد كان هدفهما معارضة استمرار قيام الحرب فى الهند الصينية وكذلك احتمال قيام حرب ذرية ، **وقد أوضحا أنهما لم يتصلا اتصالا مباشرا بالحزب الشيوعى، بل أن الموظف الاول نقل المعلومات للموظف الثانى دون التفكير فى أى كسب مادى ، ولكن الثانى باعها نقدا لشخص ثالث ، ولكن كيف تصرف الرجل الثالث فى هذه المعلومات ، هذه هى النقطة التى لا يعرفها الحزب الشيوعى ولا البوليس ، ومرد الامر الى الرجل الذى اختفى دون أن يترك أثرا وراءه »** .

وفي عدد التيمس لليوم الرابع من أكتوبر ١٩٥٤ جاء « أمكن اعتقال الرجل الثالث وقد اعترف بأنه نقل هذه المعلومات التى تلقاها الى رجال (البوليس) بعد أن كان قد عرضها على الحزب الشيوعى » ٠

على أنه بعد أيام قليلة رجع الموظف الاول والرجل الثالث عن بعض الموضوعات الهامة التى جاءت فى أقوالهما ، وأنكر مسيو دوكلوس Duclos رئيس الحزب الشيوعى الفرنسى أن الرجل الثالث قد مد الحزب الشيوعى بأى معلومات ٠

ومع هذا فان الحقيقة تظل قائمة بأن التسرب قد حدث وأن المعلومات قد نقلت لاشخاص تهمهم هذه المعلومات ، ولكن من هم ؟ ! ٠

* * *

على أنه بالنسبة لالمانيا وسويسرة فان قضية روسلير يمكن أن تعتبر كمجرد مقدمة ، وقد يبدو غريبا أن رجلا كان أثناء الحرب يعمل بنجاح فى الجاسوسية السوفييتية يتحول أثر انتهاء الحرب ليعمل لصالح التشك ، ولكن حدث مثل هذا أيضا فى السويد ، ففى سنة ١٩٥١ و ١٩٥٢ كشفت السلطات السويدية عن شبكة جاسوسية سوفييتية وفى كلا القضيتين وضح أن لرجال السفارة الروسية اليد الطولى ولهذا طلبت السويد ابعادهم وأبعدوا ، ولكن فى مارس سنة ١٩٥٥ كشفت السويد عن شبكة جاسوسية أخرى ، وفى هذه المرة احتجت السويد لدى حكومتى رومانيا وتشيكوسلوفاكيا ، وكان لهذه القضية أهميتها ذلك لانها دلت على أن الدول التابعة للكتلة السوفييتية تتولى قيادة منظمات الجاسوسية فى بعض بلاد الغرب ٠

على أن قضيتى روسلير لها قيمتها ، ففى سنة ١٩٤٥ قد حوكم أمام محكمة المنطقة لنشاطه فى الجاسوسية السوفييتية ولكنه أفلت من قبضة القانون (بما لا يزيد عن قيد شعره بسبب الاجراءات) ، ولكنه فى محاكمته سنة ١٩٥٣ أمكن كشف الستار عن التشك الذين يستخدمونه ، ولكن كان هناك فى البيانات ما يستوقف النظر ، فان شنيبر زميل روسلير اتفق معه بعد لقائهما الاول أن يلتقيا عند التمثال المقام لذكرى الجيش الاحمر فى فينيا ، ولكن اللقاء لم يتم ، وبعد أيام ذهب شنيبر الى مسكن أحد أصدقائه الذى يعرف أنه له صلات بالتشك ، وقد ذهب به زوج أبنة هذا

الصديق الى القائد الروسى للمنطقة (١٩) وقد أكد شنيبر أن هذا كان بقصد التحقق من امكان الوثوق به لسابق خدمته للروس (٢٠) ٠

ولعل القارىء يذكر أن روسلير كان قد قام بزيارات منتظمة لالمانيا ، ولكن لم يمكن كشف من هم أولئك الذين كان يذهب للقائهم وهكذا ظلت هذه الحلقة من قضية مفقودة ، ولم يمكن معرفة ما اذا كان هؤلاء الألمان قد أفلتوا من حركة التطهير الواسعة التى لحقت بمحاولة الاعتداء على حياة هتلر فى سنة ١٩٤٤ ٠

لقد حدثت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية محاكمات كثيرة فى عدد كبير من دول غرب أوروبا كان كل المتهمين فيها من الجواسيس الشيوعيين ٠

ومن الضرورى أن نذكر بأن « الاوركسترا الحمراء » كان لها أسلوبها الخاص فى الحصول على المعلومات بالاتصالات الشخصية بأفراد يتولون أعمالا رئيسية فى بلاد العدو ، ومع ما سبق أن ذكرناه فان كانت « الاوركسترا الحمراء » قد أوقفت نشاطها فلا شك أن المنظمة التى خلفتها على استعداد للعمل ٠

ان الجاسوسية عن طريق التسرب هى سلاح موسكو السرى القوى فى هذه الحرب التى لا مسرح قتال لها ٠٠٠

---

١٩ ـ نيوزيورخ تسيتونج عدد الثالث من نوفمبر سنة ١٩٥٣ ٠

٢٠ ـ نفس المرجع عدد الخامس من نوفمبر سنة ١٩٥٣ ٠

٣

مبتدئون فى عمليات التسرب

« الثلاثة الحمر » ١٩٤١ ـ ١٩٤٣

عندما هاجم الألمان الروسيا فى ٢٢ من يونيو سنة ١٩٤١ فوجىء الجيش الروسى تماما ، على أن مدى هذه المفاجأة يتضح من مراجعة يوميات القائد العام كولونيل جنرال هالدر الذى كتب فيها عن هذا :

٢٢ من يونيو ١٩٤١ (الأحد) (اليوم الاول للمعركة ضد الروسيا) « تدل تقارير الصباح على أن كل الجيوش (عدا الجيش الحادى عشر) قد بدأت الهجوم تبعا للخطة ، وقد أمكن تحقيق مفاجأة العدو تكتيكيا على طول خط القتال ، فقد كانت كل المعابر على نهر « بوج » سليمة ولا تدافع عنها أى قوات ، ويتضح أن العدو قد فوجىء من حقيقة أننا قبضنا على الجنود فى أسرتهم ، وأن الطائرات كانت مغطاة فى المطارات ، وأن قوات العدو التى فوجئت بهذا قد راحت تسأل رياستها فى الخلف عما تفعله ، وقد يمكن تقدير أثر المفاجأة من هجوم قواتنا المدرعة فى كل القطاعات ، وتدل تقارير الاسطول على أن العدو قد فوجىء أيضا فى البحر » ٠

« ان الصورة العامة للهجوم فى اليوم الاول يمكن اجمالها فيما يلى : » « فوجىء العدو بالهجوم الالمانى ، ولم تكن قواته فى مواقع تكتيكية للقيام بالدفاع ، وكان الجنودفى منطقة الحدود موزعين بدرجة كبيرةفى معسكراتهم، والحدود نفسها فى أغلب القطاعات لم تكن محروسةجيدا [٢١] » ٠

على أن أحدا لم يكن أكثر اندهاشا بالمفاجأة التى لحقت بالروس أكثر من الألمان أنفسهم ، فلأسابيع كانت هناك شائعات عن الهجوم الالمانى المقبل ، وكان الالمان يراقبون بقلق رد الفعل من جانب ستالين ، وكان

---

٢١ ـ « يوميات هالدر » الجزء السادس فبراير ـ اغسطس سنة ١٩٤١ ص ١٦١ ٠

الألمان قد لاحظوا بعد غزوهم للبلقان تشردا من جانب الروس نحوهم ، ولكنهم لاحظوا مع الاطمئنان أن نجاحهم فى البلقان أدى الى عودة الروس لسابق عهدهم بهم .

وفي السادس من يونيو سنة ١٩٤١ جاء في تقرير مخابرات الاسطول الألماني أن السياسة الروسية « تتجه ــ كما كانت الحال من قبل ــ لقيام علاقات طيبة جدا بينهم وبين الالمان » ، وجاء في تقرير اليوم التالى : « توضح كل الاحوال على أن ستالين ــ مولوتوف يبذلان غاية جهدهما لتجنب الى اصطدام بالالمان » ، وفي يوم ١٤ من يونيو قالت وكالة تاس : « ان ما يقضى على الشائعات التى تنتشر عن قرب قيام حرب بين ألمانيا والروسيا هو هذه الصلات الودية بين الجانبين » ، وفي الخامس عشر من يونيو أى قبل الهجوم باسبوع واحد ، جاء فى تقرير مخابرات الاسطول : « ان ستالين على استعداد للتسليم والاذعان (٢٢) » .

على أن الشائعات عن الهجوم الالمانى القادم جاءت من مصدرين اثنين طبقا لتقارير المخابرات للاسطول الالمانى :

١ ــ **١١ أكتوبر سنة ١٩٤٠** : عند دخول الألمان أرض رومانيا حاولت انجلترا بتقارير مزعجة التأثير على الروسيا وتغيير اتجاهها نحو الألمان .

٢ ــ **٢٤ أبريل سنة ١٩٤١** : يقول تقرير من الملحق البحرى فى موسكو أن الشائعات تنتشر فى الروسيا عن خطر قيام حرب بين ألمانيا والروسيا وأن هذه الشائعات يغزيها المسافرين من ألمانيا عبر أراضى الروسيا ، **ويقول السفير البريطانى أن الحرب ستقوم يوم ٢٢ يونيو** .

ولكن الواقع أن السفير البريطانى فى موسكو قد حذر ستالين فعلا الا أنه لم يحدد تاريخ الغزو الالمانى ولابد أن يكون التحديد قد جاء من مصادر أخرى .

---

٢٢ ــ الوثيقة *C-170* ملف عن العلاقات الالمانية الروسية وجد ضمن ملفات القيادة العليا للاسطول الالمانى ، وقد طبع فى المجلد السادس من كتاب « التآمر والاعتداء النازى » .

على أنه بعد عدة تحذيرات أولية انتهت لجنة المخابرات المشتركة الى « وجود علائم جديدة تدل على أن هتلر قد أجمع أمره على مهاجمة الروسيا (٢٣) » ٠

وتوجد هنا نقطة أخرى طريفة تستحق الذكر فقد جاء فى تقرير مخابرات الاسطول الالماني عن يوم ١٥ من يونيو : « ان الدوائر العسكرية فى موسكو تقف ضد أى سياسة للمطاوعة والتفاهم » ٠

فكيف يمكن اذن أن يكون الجيش الاحمر قد فوجىء بالهجوم الالمانى ؟ ، بل كيف يمكن أن يكون ستالين نفسه قد فوجىء ، وبخاصة لانه تلقى تحذيرا من رئيس الوزراء ؟ ،وقد عرض السير ونستون تشرشل للموضوع فى المؤتمر الذى عقد بموسكو فى أكتوبر سنة ١٩٤٢ ٠

ويقول تشرشل فى المجلد الرابع من كتابه عن (الحرب العالمية الثانية) طبع لندن سنة ١٩٥١ ص ٤٤٣ :

وفي احدى محادثاتي الاخيرة مع ستالين قلت له ؛ لقد حدثنى لورد بيفربروك بأنه عندما كان فى بعثة الى موسكو فى أكتوبر سنة ١٩٤١ انك سألته : « ماذا كان تشرشل يقصد عندما قال فى مجلس العموم أنه قد حذرنى من الهجوم الالماني الذى يقترب » ؟ ، الواقع أننى قد فعلت ، وكنت أشير الى البرقية التى أرسلتها لك فى أبريل سنة ١٩٤١ ، ثم قدمت له البرقية التى بعثتها لكريبس ليقدمها له ، وعندما قرئت البرقية على ستالين وترجمت له ، هز ستالين كتيفيه ، وقال أنه فعلا يذكرها ، وهو لم يكن فى حاجة لتحذير من أحد ، فقد كان يعرف أن الحرب قائمة ولا محاولة ، ولكنه كان يعتقد بأنه قد يمكن أن يبعدها لستة شهور أخرى » ٠

ولكن كيف يمكن أن يحقق ستالين الحصول على هذا الوقت دون أن يفعل شيئا ؟ هنا يبدو لنا أن ستالين فى الواقع قد أساء تفسير آمانيه وآماله ، فهو ولا شك يعلم أن الجيش الاول قد توزع على طول الحدود ، ولكن الجيش الروسي نفسه قد توزعت قواته على طول الحدود ، وما دامت ليس لدى الروس أية نية للهجوم والاعتداء ، فمن الخطأ تقدير أن الجيش الالمانى

---

٢٣ — « الحرب العالمية الثانية » لونستون تشرشل المجلد الثالث طبع لندن سنة ١٩٥٠ ص ٣١٨ ٠

يعتزم بدوره الهجوم ، بل أن وجهة نظر ستالين كانت أن الجيش الالماني انما اتخذ هذه المواقع الهجومية لا لغرض غير الدفاع تبعا لخطأ تقدير هيئة أركان الحرب الالمانية بأن الروس يعدون للهجوم ، وفي ضوء هذا التفسير وحده نستطيع أن نتفهم ما فعله ستالين بالبقاء في هدوء اكتسابا للوقت .

ثم أنه كان من الصعب أن يتقبل ستالين تحذير بريطانيا جديا ففي ذلك الوقت كانت بريطانيا جد معنية باجتذاب الروسيا للقتال في جانبها ، ولكن طيران هيس الى بريطانيا وهبوطه في اسكتلنده بعد شهر واحد من هذا التحذير لابد وأن تكون قد أثارت شكوك ستالين ، وكان من الممكن أن يبدو له الامر على أساس أن بريطانيا وألمانيا تعدان معا مؤامرة واسعة النطاق ضد الروسيا ، ولم تستطع الحوادث التي تلت هذا أن تهز من اعتقاده ، حتى أنه في سنة ١٩٤٤ سأل ونستون تشرشل عن حقيقة الدوافع لزيارة هيس ، ويقول ونستون تشرشل عن هذا :

« ... ماذا هي حقيقة بعثة هيس ... ، ولقد شعرت أنا (سير ونستون) بأنه يؤمن بوجود مفاوضات لمؤامرة تشترك فيها بريطانيا وألمانيا لتقوما معا بعملية مشتركة لغزو الروسيا ، ولمعرفتي بذكائه فقد أدهشني أن يكون سخيفا في هذه المسألة الى هذا الحد (٢٤) » .

ويبدو أن ستالين في ضوء اعتقاده هذا قد راح يبني تفكيره ويضع تخطيطه ، على أن المؤامرة الانجليزية ـ الالمانية تحتاج بعض الوقت لتستكمل عوامل تنفيذها وهكذا أدى تتبعه للحوادث بمنطقه هو الى الاعتقاد في صواب كل تقديراته الاستراتيجية من ثم أنه لا يمكن أن يحدث هجوم ألماني في ذلك الوقت ، وعلى أية حال فان في مناقشته للامر مع مستر هاري هوبكنز في أغسطس سنة ١٩٤١ أوضح له بأنه لم يعتقد قط أن هتلر سيهاجم الروسيا (٢٥) .

---

٢٤ ـ ونستون تشرشل نفس المرجع ص ٤٩ .

٢٥ ـ روبرت شيرود في كتابه « روزفلت وهوبكنز » طبع نيويورك سنة ١٩٤٨ ص ٣٣٥ وكذلك كتاب « أوراق البيت الابيض » لهاري هوبكنز المجلد الاول طبع لندن سنة ١٩٤٨ ص ٣٣٧ .

على أن الاهم من هذا التحذير فان المعلومات الحاسمة التى بعثها « الثلاثة الحمر » الى ديكتاتور موسكو لم تقابل بأى عمل مضاد ، والواقع أن ستالين قد تسلم من هذه الشبكة ليس فقط معلومات عن التاريخ الذى حدث فيه الهجوم فعلا فحسب ، بل بعثت اليه الشبكة بمعلومات دقيقة عن توزيع الجيش الالمانى للمعركة ، وعن القوات التى فى القطاعات : الشمالى والأوسط والجنوبى ، عن العدد الحقيقى للفرق فى كل قطاع وعن الفرق المدرعة من البانزر ، وعن نوايا القيادة العامة ، واتجاه الهجوم والأهداف فى كل مرحلة ، وأسماء القادة حتى قادة الفيالق (٢٦) •

وبعد يومين اثنين من قرار هتلر النهائى ، حصلت شبكة سويسرة على هذه المعلومات ، وجاءت الى سويسرة فى البريد الدبلوماسى جاء بها ضابط من القيادة العليا (٢٧) ، وأرسلت فورا الى موسكو •

وهنا قد يكون من الضرورى أن نذكر بانه لاكثر من سنتين طوال بقيت الرسائل تتبادل بين شبكة سويسرة وبين موسكو جيئة وذهابا ، ومن غير الممكن ايضاح الاهمية الكبيرة التى كانت لهذه الرسائل ، صحيح أن عددا من هذه الرسائل قد يكون فى ملفات المخابرات الالمانية بواشنطون « ولكن هذه للاستخدام الحكومى فقط » ، وهناك بعض الرسائل فى ملفات وأوراق قضية الجاسوسية بالمحاكم السويسرية « ولكن ملفات المحكمة لم تنشر ولا يمكن أن تسلم لاى شخص ثالث لفحصها وتقدير قيمة ما بها من معلومات ، وأخيرا توجد مجموعة منها قد حلت شفرتها فى ملفات أرشيف منظمة مكافحة الجاسوسية فى ألمانيا ، ومن ثم فان الروس وحدهم هم الذين يعرفون القصة كاملة •

من الجميل حقا اعادة كتابة تاريخ الحملة الالمانية على الروسيا فى ضوء هذه الملفات ، والمعلومات التى وصلت الروس من شبكة « الثلاثة الحمر » ومن « الاوركسترا الحمراء » ومن شبكة سورج التى كانت فى اليابان ثم من المناضلين المدنيين الذين كانوا يعملون وراء خطوط الالمان فى مؤخرتهم

---

٢٦ ـ و• ف• فليك نفس المرجع ص ٨٦/٨٩/٩٥ •

٢٧ ـ فليك نفس المرجع ص ٨٧ ، ولما كان هتلر قد أصدر قراره النهائى يوم ٣٠ من ابريل فلابد ان تكون هذه المعلومات قد وصلت موسكو يوم ٢ من مايو سنة ١٩٤١ اى قبل الهجوم بسبعة أسابيع •

والتأثير الكبير الذى كان لهذا كله على سير الحملة ، ولو توافرت كل هذه المصادر لكان من الممكن أن يؤدى هذا الى تفهم سيادة الروس فى هذا اللون من الحرب .

والواقع أن القليل نسبيا من الاشارات التى بعثت بها شبكة « الثلاثة الحمر » هو الذى نشر ، وقد جاء هذا النشر فى كتاب Agenten funken nach Moskau من قلم و. ف. فليك طبع Neptun Verlag ، وفليك ضابط ألمانى سابق فى منظمة مكافحة الجاسوسية ، ولكن هذه المادة رغم قلتها تلقى ضوءا جديدا على بعض المعارك الهامة فى الحملة الروسية .

فى الخطط الألمانية الاصلية كانت الاهداف الأساسية ليننيجراد وموسكو واكرانيا مع هدف نهائى أخير هو اخفاء الجيش الاحمر فى روسيا الغربية ، وكانت التفاصيل ستجىء بعد هذا تبعا لسير المعركة ، ولما كان لدى الالمان أفضلية المباداءة لاختيار نقط الهجوم والاهداف فان الروس كان من الممكن أن يعملوا تبعا للمعلومات التى وصلتهم وأن يوزعوا قواتهم تبعا لاتجاهات الهجوم الالمانى .

ولكن هذه الفرصة أفلتت منهم .

ولسنا نعتزم وصف الاندفاع الالمانى للشرق فى سنة ١٩٤١ ، هذا الاندفاع الذى وصل بالالمان الى أبواب موسكو فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ، ولقد قاسى الروس الامرين وأصيبوا بخسائر فادحة فى كل مكان ، ولكنهم استطاعوا على الاقل الحصول على معلومات من عدد وتوزيع قوات العدو ، على حين كان الالمان يعتمدون على الحدس والتخمين وكانوا فى هذا أبعد ما يكونون عن الحقيقة ، ونستطيع أن ندرك هذا عندما نرجع الى يوميات الكولونيل جنرال هالدر عن يوم ١١ من أغسطس سنة ١٩٤١ .

« يدل الموقف بوضوح على أننا قد قدرنا الجحافل الروسية بأقل من حقيقتها بكثير ، ففى فجر الحرب قدرنا القوات الروسية بمائتى فرقة ولكننا الآن نجدها ٣٦٠ فرقة » .

« وهكذا أرغم جنودنا على أن يتوزعوا فى خط ممتد وبعمق ويتعرضون لهجمات متزايدة من العدو ، وأحيانا يحقق العدو نجاحا » .

وقد ثبت أن هذا الخطأ فى التقدير كان خطيرا فى النهاية ، ففى بداية ديسمبر سنة ١٩٤١ توقفت عمليات الالمان ، وقبل هذا بقليل بدأ السوفييت هجومهم المضاد • وقد بدأ هذا الهجوم المضاد فى الجنوب ، ثم بدأ يوم ٦ من ديسمبر فى الوسط تجاه موسكو ، وفى يوم ١٢ من ديسمبر أرسل « الثلاثة الحمر » اشارة لموسكو تحتوى على الموقع العام لخط الدفاع الالمانى (٢٨) ، ولكنها لم تكن لاحدث ما يمكن ثم أنها حتى لو حددت الخط تماما فلم تكن كبيرة الفائدة لان الخط الدفاعى للالمان كان واضحا ومرئيا للروس ، فانهم بدلا من احتلال خط متماسك ممتد لعدم كفاية قواتهم فقد احتلوا مواقع قوية حول المراكز الهامة للمواصلات (٢٩) •

والواقع أنه فى ذلك الوقت كانت شبكة الجاسوسية السوفييتية فى اليابان ترسل لموسكو معلومات لها أهمية أكبر ، معلومات مكنت الروس من أن ينقلوا احتياطيهم فى سيبيريا الى المسرح الاوروبى للحرب ، كان دكتور سورج وهو المانى يعمل ملحقا صحفيا فى السفارة الالمانية بطوكيو ولكنه كان هو الجاسوس السوفييتى المقيم فى اليابان • وكان سورج صديقا شخصيا للسفير الالمانى ، وكان أحد معاونى سورج يابانى اسمه أوزاكى هوزومى Ozaki Hozumi وكان هذا اليابانى موضع سر الأمير كونويى Konoye الذى كان رئيس وفد اليابان فى المباحثات اليابانية الامريكية قبل الهجوم اليابانى على بيرل هاربر مباشرة (٣٠) •

وكان رئيس سورج هو رئيس المخابرات للجيش السوفييتى ثم تبع سورج للمكتب الرابع فى هيئة أركان حرب الجيش الاحمر (٣١) وكان سورج قد حذر موسكو من الهجوم الالمانى المقترب ، وفى ٢٠ من مايو

---

٢٨ ـ و• ف• فليك نفس المرجع ص ١٢٤ •

٢٩ ـ التاريخ العسكرى للحرب العالمية الثانية بوساطة أعضاء ادارة الفن العسكرى والهندسة فى الاكاديمية العسكرية للولايات المتحدة ، باشراف دودسون ستامبس *Dodson Stampes* وفنسنت اسبوسيتو *Vincent J. Esposito* من الاكاديمية العسكرية طبع نيويورك سنة ١٩٥٣ ص ١٩٧ •

٣٠ ـ ميجر جنرال ويلوبى *willoughby* نفس المرجع ص ٢١ و ٨٥ •

٣١ ـ نفس المرجع ص ٢٤ •

سنة ١٩٤١ حذرهم من أن ألمانيا ستبدأ عملياتها العدائية يوم ٢٠ من يونيو بما يقرب من ١٧٠ الى ١٩٠ فرقة على طول الحدود وأن النقطة الأساسية ستكون صوب موسكو (٣٢) ٠

وكان تنبؤه قريبا جدا من الصواب ، فقد بدأ الهجوم بعد يومين من التاريخ الذى حدده وكان عدد القوات التى قامت بالهجوم قريبا جدا من هذا العدد ، وكانت هيئة أركان الحرب الالمانية ترى أن موسكو هي الغرض الاهم ، وحدث بعد ذلك فى ٢١ من أغسطس سنة ١٩٤١ أن قرر هتلر شيئا غير هذا ٠

وقد استخدمت ألمانيا بعد الهجوم على الروسيا كل وسيلة لمحاولة حث اليابان على أن تشترك معها فى مغامرتها وبذلك تواجه الروسيا حربا فى جبهتين ، ومن ثم فانه كان من الاهمية بمكان أن تعرف الروسيا حقيقة نوايا اليابان وكان على سورج أن يكتشفها ٠

وقد قام سورج بدوره بمهارة ، كان عليه أن يعرف هل تعتزم اليابان التحرك شمالا أو جنوبا ؟ فاذا قررت اليابان التحرك للجنوب كان عليها اذن أن تترك الروسيا لنفسها ، الا اذا كانت هزيمتها محققة ويمكن القضاء عليها بعدد قليل من الجنود ، ولكن اليابانيين كانوا أكثر حكمة من الالمان فى تقدير طاقة الروسيا على استمرار القتال ، وعلى أية حال قد وصل سورج الى معرفة أن اليابان تعتبر انتصارات ألمانيا فى الروسيا سنة ١٩٤١ ليست بالانتصارات الحاسمة ، وبدا كذلك أن اليابان لو كانت تضع تخطيطها حقا لمهاجمة الروسيا لكان من الضرورى أن تقوى جيش منشوريا ليستطيع القيام بطعنة فى اتجاه شمالى عبر حدود سيبيريا ٠

وفى الثانى من يوليو سنة ١٩٤١ كان فى استطاعة سورج أن يخطر « المدير » فى موسكو بأن اليابان قد قررت التقدم للجنوب فى الهند الصينية ، وفى يوليو وأغسطس أكد سورج أن جل من عبأتهم اليابان أرسلوا الى الصين وللجنوب وأن جزءا صغيرا جدا هو الذى أرسل الى منشوريا ، وفى نهاية أغسطس بعث سورج لموسكو بأن من المحتمل أن

---

٣٢ ـ نفس المرجع ص ٨٤ ، راجع كذلك « ذو الوجوه الثلاثة » اصدار الهيئة ٠

تقوم بالهجوم في الجنوب ، وفي ١٥ من أكتوبر بعث سورج بآخر رسائل في الموضوع بأن اليابان قد قررت على التحقيق التحرك للجنوب وأنه لم يعد أى خطر جدى من هجوم يابانى على الروسيا (٣٣) ·

ومن غير المعروف عدد القوات التي نقلتها الروسيا ـ نتيجة لهذا ـ الى المسرح الاوروبى ، ولكن من المؤكد أن عدة فرق من قوات سيبيريا قد نقلت بالقطارات واشتركت بنصيب فى الدفاع عن موسكو (٣٤) ·

وفى نهاية سنة ١٩٤١ كان أمام الالمان أن يتخيروا بين نوعين من الامكانيات للعمل ، اما أن يتابعوا الهجوم واما أن يقفوا فى دفاع استراتيجى ، وكانت هيئة أركان الحرب الالمانية تقف الى جانب الامر الثانى :

« فى مواجهة الموارد الروسية فى الرجال والمواد ، وفى مواجهة عدم كفاية قوة الجيش الالمانى والحال التى انتهت اليها معدات هذا الجيش بعد أشهر الشتاء القاسية وضح بأنه من المستحيل ارغام الروس على السلم نتيجة للهجوم ولا أمل فى هذا ، وكل ما يمكن أن يسببه الهجوم حتى لو شن على طول الجبهة كلها هو دفع جزء صغير من الجبهة لمسافة ما للامام ، ولكنه لن يسبب الحصول على قرار استراتيجى ، والقوات التى كانت متوافرة لنا تكفى فقط لاستقامة ولتقديم الانبعاج العميق فى الخط مما يسبب تقصير طوله ومن ثم يمكن ايجاد احتياطى العمليات الذى تحتاجه ، ولربما كان هذا يمكننا من القيام بدفاع استراتيجى ناضج يسبب اجهاد قوات العدو حتى تتحول الظروف الى الاحوال الصالحة لنا للقيام بضربة حاسمة (٣٥) » ·

وقد رفض هتلر هذه النصيحة ، وبدلا منها أمر بالاعداد لعمليات هجومية جديدة ، وقد قرر تثبيت الخط فى الوسط ، وغزو لينينجراد

---

٣٣ ـ ميجور جنرال ويلوبى نفس المرجع ٨٥/٨٦ ·

٣٤ ـ نفس المرجع ص ٢٢ ويجب ملاحظة ان اليابانيين قبضوا على سورج اثر هذا مباشرة وصفيت شبكته ·

٣٥ ـ الكولونيل جنرال فرانز هالدر فى كتابه *Hitler as War Lord* طبع لندن سنة ١٩٥٥ ص ٥٣/٥٤ ·

فى الشمال اما فى الجنوب فيتـابع الاختراق الى منطقة القوقاز « وكان الهدف تحطيم العدو أمام نهر الدون لاكتساب منطقة البترول فى القوقاز وعبر جبال القوقاز (٣٦) » ٠

ولقد كان من الضرورى أن القوات المتوافرة تعتبر محدودة وتبعا لعدم وجود وسائل النقل الكافية لم يكن من الممكن القيام بهذه العمليات الا على مراحل ، ومن ثم فقد تقرر القيام بتنفيذ ثلاث عمليـات تطويق منفصلة تبدأ من الشمال ، فاذا ما نجحت كل عملية أمكن اطلاق القوات للقيـام بالعملية التالية للجنوب منها ، على أن تتبع هذه العمليات بالاستيلاء على ستالينجراد والاندفاع فى القوقاز ٠

وقد يكون من المنطق أن نسـتكمل هذا بأن نقول أن هذه العمليات كانت معقدة بالقدر الذى يجعل من المستحيل على الروس أن يقدروا نوايا العدو وأن يتنبأوا بتحركاته التالية ، ومع هذا كان يبدو أن (الثلاثة الحمر) نقلا عن مصـدر فى مستشـارية الرايخ الثالث قـد حصلوا على الخطـة الاستراتيجية للقيادة العليا ومن المحتمل أن يكونوا قد بعثوا بهـا الى موسكو (٣٧) ٠

وقد أخطرت موسكو كذلك بالخطة الالمانية للاندفاع الثنائى الاتجاه نحو ستالينجراد والقوقاز ، وأخطرت من شبكة « الاوركسترا الحمراء » ببرلين ، وكان مصدرها لهذه المعلومات ضابطا ألمانيا فى هيئة المخابرات المضادة ، ومستشارا ذا مركز كبير فى وزارة الاقتصاد (٣٨) ٠

وقد بدأ الألمان هجومهم يوم ٢٨ من يونيو ، ولم يقابلوا الا مقـاومة صغيرة فى هذا الهجوم وفى العمليات التالية واستطاعوا أن يتقدموا لمائة ميل فى أيام قليلة ، ولكن من الصعب القول ما اذا كان الروس قد فوجئوا على ما جاء فى كتاب (التاريخ العسكرى للحرب العالمية الثانية (٣٩) أو أن

---

٣٦ ــ أوامر هتلر ليوم ٥ من ابريل سنة ١٩٤٢ ٠

٣٧ ــ و٠ ف٠ فليك نفس المرجع ص ١٦٠/١٨٣ ٠

Dr. M. Rœder, Die Rote Kapelle, Hamburg, 1952

٣٩ ــ نفس المرجع ص ٢٠٩ ٠

الروس قد تجنبوا القتال على ما يرى الجنرال هالدر الالمانى نفسه (٤٠) ، ومن الممكن أن يكون رأى هالدر أصوب على أساس أن الروس وهم يعرفون الخطة الالمانية وأهدافها يمكن أن يتجنبوا المعركة ومن ثم يتوافر لهم الوقت لاعداد الاحتياطى القوى للدفاع عن ستالينجراد وايقاف تقدم الالمان ثم القيام بالهجوم المضاد الناضج ٠

وكانت خطة الالمان الهجوم على ستالينجراد أو الهجوم فى القوقاز فى وقت واحد ، وقد حقق الهجوم الالمانى نجاحا فى البداية ، وفى التاسع من أغسطس وصلوا الى سفوح جبال القوقاز وتابعوا الاندفاع من هناك ، ولكن التقدم لم يلبث أن بطأت حركته فى سبتمبر وتتابع استمرار بطء الحركة حتى توقفت نهائيا ، كان الروس قد جاءوا بامدادات من جنوب القوقاز ومن سيبيريا ، وفى نهاية أغسطس سنة ١٩٤٢ أخطرهم الثلاثة الحمر بتكوين وتنظيم وأهداف مجموعة الجيوش الالمانية A فى جبهة القوقاز والتى يتولى رياستها الفيلد ماريشال ليست (٤١) ٠

وكان ستالين ــ مع معرفته بقوة الالمان وتوزيعاتهم ــ واثقا من استطاعته ايقاف الاندفاع الالمانى ، وقد استطاع هذا حقا ، وفى مؤتمر موسكو فى أغسطس سنة ١٩٤٢ سأله تشرشل عما اذا كان سيدافع عن السلسلة الجبلية وبكم فرقة سيتولى هذا الدفاع ؟ ، وبعث ستالين فاحضروا أمام الذين حضروا المؤتمر نموذج كامل للمنطقة ، وفى صراحة تامة وفى أسلوب يدل على المعرفة التامة أوضح ستالين قوة الحاجز الطبيعى الذى قال بأنه قد أعد خمسة وعشرين فرقة للدفاع عنه ، وكان يتحدث فى أسلوب يتم عن الثقة التامة بما يقول (٤٢) ٠

كان هذا الحديث يوم ١٣ من أغسطس سنة ١٩٤٢ وبعد يومين اثنين عاد ونستون تشرشل الى نفس الموضوع ، ويقول ونستون تشرشل عن هذا :

---

٤٠ ــ هتلر ٠٠ نفس المرجع ص ٥٤ ٠

٤١ ــ و٠ف٠ خليك نفس المرجع ص ٢٢٤ ٠

٤٢ ــ ونستون تشرشل نفس المرجع مجلد ٤ ص ٤٣٩ ٠

« وسألت بخاصة عما اذا كان سيكون قادرا على الاحتفاظ بالممرات فى جبال القوقاز وأن يمنع الالمان من الوصول الى بحر قزوين والاستيلاء على حقول البترول حول باكو ، ثم يندفعون للجنوب فى تركيا وفارس ، قدو فتح ستالين خريطته الكبيرة قائلا : سنوقف تقلمهم ولن يجتازوا الجبال (٤٣) » ٠

صحيح أن عددا من الدوريات الالمانية هى فقط كل ما وصلت بحر قزوين من الالمان ولا شىء أكثر من هذا ٠

وكذلك الهجوم على ستالينجراد ، فمع أنه بدأ بداية حسنة الا أنه سرعان ما أرغم الالمان على أن يقذفوا فيه بقوات جديدة بين فينة أخرى ، وفى نهاية أغسطس كان (الثلاثة الحمر) قد أخبروا موسكو بان الالمان قد نقلوا فرق المشاه ٧٣ و ٣٣٧ و ٧٠٩ الى الجبهة الشرقية وأنهم أرسلوا فرقة من جنود العاصفة أيضا ، والواقع أن (الثلاثة الحمر) كانوا يخطرون موسكو بتنقلات القوات بمجرد تقريرها حتى أنهم أحيانا كانوا يخبرونها بهذا قبل أن تركب الوحدات القطارات التى ستنقلها (٤٤) ، وقد يكون هذا السيل من المعلومات قد ابقى الروس على دراية بالموقف تماما ومن ثم استطاعوا الابقاء على امداد المدينة بحاجتها من الامدادات بالقدر الكافى تماما (٤٥) ، وبالقدر الكافى فقط وبذلك استطاعوا الاعداد للهجوم المضاد، كما عاونت هذه المعلومات على أن يصل الروس الى القرار الحاسم بتعبئة الاحتياطى بين جبهتى القوقاز وستالينجراد ٠

على أن الروس فى اعدادهم للهجوم المضاد لم يغفلوا الاستعانة بهذا المصدر للمعلومات للحصول على ما يحتاجونه لاستكمال الصورة ، وفى التاسع من نوفمبر سنة ١٩٤٢ بعث « المدير » من موسكو « للثلاثة الحمر » بالاحتياج التالى :

« أين تقع أقصى المواقع الخلفية لدفاعات الالمان فى جبهة ستاليجنراد وعلى نهر الدون ؟ » ٠

---

٤٣ ـ نفس المرجع مجلد ٤ ص ٤٤٥ ٠

٤٤ ـ و٠ف٠ فليك نفس المرجع ٢٢٤ ٠

٤٥ ـ التاريخ العسكرى للحرب العالمية الثانية مجلد ٢ ص ٢١٨ ٠

« أين تقع المواقع الدفاعية فى قطاع ستالينجراد ـ كالتسيكايا Kletskaya وفى قطاع ستالينجراد ـ كالاخ Kalach ، وما هى مواصفاتها ، وكذلك ماذا هى طبيعة التحصينات التى ينشئها الالمان فى الوقت الحاضر على الخط يود نفوسك ـ ديفونيى ـ فيرخنيتراكايا ـ كالاخ ، كالخننسكايا ـ كالتسكايا ـ دنيبر ـ بريسنيا (٤٦) » ٠

وقد تسلمت موسكو الرد بعد أيام قليلة ، **وفى ١٩ من نوفمبر بدأ الهجوم المضاد الروسى ٠**

على أننا قبل أن نحاول تقدير قيمة الاهمية العلمية لهذا التغير ، فانه فى الواقع يستحق التوقف لتقدير قيمة الدلائل التى فيه ، فان البرقية التى بعثها « المدير » من موسكو تدل على أن الروس يثقون تماما « بالثلاثة الحمر » كما أنهم يثقون بالمصدر الالمانى الذى يزود هذه الشبكة السويسرية بالمعلومات ، على أن الاهم من هذا أن البرقية تدل على أن أولئك المتسربين الالمان انما يستطيعون الوصول مباشرة الى أكثر المعلومات سرية بل والى تفصيلاتها بقدر كثير ، وكذلك كانت موسكو عن طريق هذه الشبكة قادرة على التسرب لداخل الاسرار الالمانية ٠

والآن نستطيع أن نقدر هذه « الاشارة من سويسرة الى موسكو » فى ضوء العمليات التى حدثت فعلا ، فلقد كان جزؤها الاول هو الجزء البالغ الاهمية ، الجزء الخاص بالمواقع الخلفية أى أقصى المواقع فى الخلف للدفاعات جنوب غربى ستالينجراد وعلى طول نهر الدون ، ففيما عدا ستالينجراد نفسها ، كانت كيلتسكايا ونهر الدون وكالاخ هى فى الواقع الصور الهامة البارزة فى الهجوم المضاد الروسى ، وكان الروس قد وضعوا تخطيط طعنتين أساسيتين ، طعنة فى الشمال وأخرى فى الجنوب ، بدأت الطعنة الأولى من منطقة كالتسيكايا وكان الهدف أن تتجه نحو كالاخ على نهر الدون وأن تدور حول كالاخ من الغرب ، اما الطعنة القادمة من الجنوب فتتقدم نحو الشمال الغربى على أن تتصل بالقوات القادمة من الشمال فى كالاخ ، وبدأت الطعنة الاولى يوم ١٩ من نوفمبر وبدأ الهجوم القادم من الجنوب فى اليوم التالى ، وبعد ثلاثة أيام كان الروس قد تقدموا من ستين الى سبعين ميلا واتصلت القوات معا عند كالاخ وأحيط تماما بالجيش الالمانى السادس جيش الجنرال باولوس Paulus ٠

---

٤٦ ـ و٠ف٠ فليك نفس المرجع ص ٢٤٨ ٠

وقد يبدو لاول وهلة أن المعلومات التى جاء بها (الثلاثة الحمر) كان لها مساهمة مادية فى تقرير نهاية فون باولوس ، ولكن الواقع أننا يجب أن نكون حذرين فلا نسرف في تقدير ما اسهمت به هذه المعلومات ، أن اشارة المدير أرسلت من موسكو يوم ٩ من نوفمبر ، ولا يمكن أن تكون موسكو قد تسلمت الرد قبل ١٢ من نوفمبر أن لم يكن بعد ذلك وقد بدأ الهجوم يوم ١٩ من نوفمبر ، ومن ثم فمن المؤكد أن الخطة وتوزيع القوات كانا قد تما حتى قبل أن يرسل المدير برقيته من موسكو ، ويبدو أن الروس كانوا قد وضعوا قراراتهم النهائية يوم ٤ من نوفمبر ، وتبعا للملاحظات التى جاءت فى يوميات الحرب للقيادة الالمانية العليا يوم ٧ من نوفمبر تعرف أن العملاء الالمان كانوا قد عرفوا بأن اجتماعا للمجلس الاعلى الروسى قد تم عقده يوم ٤ من نوفمبر وقد حضره القائد العام وتقرر فيه ضرورة القيام بالهجوم فى جبهة الدون وفى القطاع الاوسط قبل بداية العام (٤٧) ٠

ومن مطالعتنا ليومية الحرب هذه ندرك الفرق الكبير بين غموض وابهام المعلومات التى جاء بها العملاء الالمان فى مقابل المعلومات الواضحة التفصيلية التى جاءت بها شبكة الجاسوسية فى سويسرة ، على أنه يحتمل أن يكون التاريخ الذى أشار العملاء الالمان الى اجتماع المجلس السوفييتى فيه ربما كان صحيحا ٠

وفى ضوء هذه التواريخ قد يكون من الواضح أن عمل الثلاثة الحمر لم يكن بذى أثر على الاستراتيجية الروسية وقد يكون من الممكن أيضا مناقشة ما اذا كان له أى أثر تكتيكى ، ولكن من الخطأ أن نقلل من قيمة هذا العمل، فلا يمكن أن يحتمل « المدير » كل هذا العناء ليرسل برقية يحتمل أن يحل الالمان الشفرة التى كتبت بها ما لم يكن قدقدر قيمة كبيرة لما يتوقع حصوله عليه من معلومات ، ولو استطاع الالمان أن يحلوا شفرة الرسالة لعرفوا بدورهم عن الهجوم الروسى مثل ما يريد الروس أن يعرفوا عن الدفاع الألمانى ، فاذا ما نظرنا الى الامر فى ضوء تقدير هذا كله استطعنا أن ندرك بأن الاجابة التى وصلت موسكو مكنت الروس من أن يعدوا التعديلات اللازمة هنا وهناك تبعا لما توافر لهم من معلومات وهذا أمر قد فعلوه ولا شك ٠

---

٤٧ - *Helmuth Greiner, Die Oberste Wehrmacht sfnehrunq, 1939-43, Wicebaden, 1951, P. 417*

وبانتهاء معركة ستالينجراد بدأ الروس هجوم الشتاء فى الجنوب ، وفى ١٦ من فبراير سنة ١٩٤٣ استولوا على خركوف وكنتيجة مباشرة لهذا هددت كل الجبهة الالمانية على نهر دونتز ، وفى ٢١ من فبراير بدأت مجموعة الجيوش الالمانية فى الجنوب هجومها المضاد ، وفى ١٥ من مارس استعاد الالمان « خركوف » وتقدموا نحو بييلجرود Bielgorod ، وفى ١٧ من مارس بعث (الثلاثة الحمر) بالرسالة الثانية :

« الغرض من هجوم الكماشة فى شمال خركوف هو اعادة الاستيلاء على بييلجرود ، وللاحتفاظ بخركوف يجب أن يستعيد الالمان المواقع فى شرق المدينة والتى كانوا يحتلونها قبل هجوم الصيف ، أن نقل عدة فرق من جيش البانزر الثالث للجنوب يقوم على أساس افتراض أن مجموعة جيوش الوسط التى يقودها كلوج Kluge ، للجنوب ، لن تتعرض لمعارك بانزر عنيفة على الاقل فى الخمسة عشر أو العشرين يوما التالية على الاقل ، وانه لن ينشأ أى موقف حرج فى مواجهة الجناح الايسر للمجموعة والذى سحب الى جبهة دفينا العلوى والى منطقة سمولنسك ، ان القيادة الالمانية العليا تبعا لان انسحاب الجيش التاسع قد نجح نجاحا طيبا ، تامل فى توافر الوقت للقيام بتدمير واسع المدى للخطوط الحديدية ومناطق الاقامة فى المنطقة التى جلا عنها الجيش .

لقد انتهى الألمان الى قرارات مليئة بالخطورة تبعا لتقدم الجيش السوفييتى فى قطاع فيازما Vyazma ، وبخاصة لان الخطر كان لا يزال قائما ، خطر نجاح الروس فى الاختراق عند قطاعى بريانسك Bryansk وكونوتوب Konotop مما سيقطع كل الجبهة الشرقية ويمزقها (٤٨) .

وهكذا يبدو لنا أن هذه الرسالة التى بعثت بها شبكة (الثلاثة الحمر) لم توضح نوايا الالمان فحسب بل أنها تحدد النقط التى تامل القيادة العليا أن يقوم فيها الروس بالهجوم ، وعلى أية حال فان الجبهة قد بقيت متماسكة حتى بداية يوليو .

ولكن فى ٢٠ من أبريل سنة ١٩٤٣ أرسل (الثلاثة الحمر) المعلومات التالية لموسكو :

---

٤٨ ـ و.ف. فليك نفس المرجع ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

« الموعد المحدد للهجوم الالمانى فى الجبهة الشرقية هو ١٤ من يونيو ، ولم توضع الخطط لاكثر من عمليات محدودة (٤٩) » ٠

وكانت الخطة الالمانية قد حدد لها الاسبوع الاول من مايو ثم أجلت كما تشير الرسالة ، وأخيرا بدأت فى يوليو ٠

وفى هذه المرة على ما يؤكد « التاريخ العسكرى للحرب العالمية الثانية » لم يواجه الروس مفاجأة ما على مثال ما حدث فى أى هجوم ألمانى سابق ، فقد كانوا يعرفون الخطط الالمانية تماما (٥٠) فعلى ما يقول و٠ ف٠ فليك تكون شبكة الثلاثة الحمر قد أخطرت الروس بأن الالمان سيقومون بالهجوم بأهداف محددة فى شمال بييلجرود وفى شمال « مالورشا نجلسك » Maloarchangelsk ، وكانت موسكو تعرف كذلك كم فرقة من فرق البانزرو من فرق الميكانيكية وفرق المشاه ستشترك فى الهجوم (٥١) ، ولقد كان تنظيم الدفاع السوفييتى فى الواقع تنظيما غير عادى اذ كانت المنطقة الدفاعية تمتد لعمق أكثر منستين ميلا فى زاوية كيرسك Kursk ، وكان التنظيم الدفاعى يحتوى كل شىء يمكن أن يعطل المهاجمين ، من المواقع المعدة بسرعة الى التحصينات القوية ، وكانت المنطقة التى يحتلها الجنود فعلا بعمق عشرات الاميال ، وعندما قامت فرق (البانزر) Panzer بالهجوم وجدت من عشرة الى خمسة عشر خطا دفاعيا الواحد خلف الآخر فاذا ما اخترقت خطأ وجدت وراءه خطأ جديدا يصمد للاختراق (٥٢) ٠

وفى قرابة يوم ٨ من يوليو كان الهجوم الالمانى قد توقف ، وفى يوم ١٧ من يوليو بدأ الروس هجومهم المضاد وتقدموا بسرعة ، وفى يوم ٢٢ من يوليو أرسلت شبكة (الثلاثة الحمر) لموسكو المعلومات عن خسائر الألمان تجاه موسكو (٥٣) ٠

---

٤٩ ـ فليك نفس المرجع ص ٢٨٠ ٠

٥٠ ـ نفس المرجع ص ٢٣٥ ٠

٥١ ـ نفس المرجع ص ٢٩٨ ٠

٥٢ ـ الجنرال أوجستين جيلوم «الاسلحة السوفييتيةوالقوة السوفييتية» طبع واشنطون سنة ١٩٤٩ ص ١٣٤ ، وكتاب فليك نفس المرجع ص ٢٩٩ ٠

٥٣ ـ فليك نفس المرجع ص ٢٩٩ ٠

وهنا يجب أن ننظر الى هذا مرة كلة ثانية لنساءل : هل هذا من عمل « الثلاثة الحمر » ، وقد يبدو لاول مرة أن الجيش الاحمر قد قام بالعمل المناسب وفي المكان المناسب نتيجة للمعلومات التي حصل عليها من هذه الشبكة ، ولكن الواقع أن هناك ما هو أعمق من هذا ٠

الواقع أنه لم يكن هناك ما يثير الدهشة من أنه يقال بأن هتلر سيقوم بالهجوم ، فلم يكن بسر اذن توقع هذا الهجوم ، وهو قد فعل هذا أكثر من مرة من قبل ، ثم أنه بعد فشله فى ستالينجراد كان من الضرورى أن يعمل هتلر شيئا ليستعيد قوة المبادأة ، ولم يكن كذلك بسر أنه لا يستطيع ـ فى ضوء ما واجهته قواته ـ أن يقوم بالهجوم فى أكثر من قطاع واحد ، على أن يقوم بتثبيت الجبهة فى أى مكان آخر ، والشيء الآخر هو أنه لم يكن من الصعب تقدير القطاع الذى يمكن أن يتخيره للقيام بالهجوم ، فالزواية التى فى الخط الروسى عند « كيرسك » تبدو وكأنها تدعو الالمان للقيـام بالهجوم ، وهنا يجب أن نفكر أيضا فى أن استراتيجية هتلر كانت توافق السوفييت ، فكل الانتصارات التى كسبوها حتى ذلك الوقت جاءت كلها نتيجة لعملياتهم فى الهجوم المضاد ، ولهـذا فانه كان من الضرورى أن يقووا من قواتهم الدفاعية الى غاية ما يمكن وأن يوقفوا الهجوم الالمانى ويحولوا دون أن يسبب لهم أية اضرار جسيمة ٠

والشيء الاهم هو أن كلا الجانبين لشهرين أو لثلاثة شهور سابقة كانا يعرفان كل ما يدور فى الجبهة ، فقد كان كلا الجانبين يحشدان القوات طوال هذه الاسابيع داخل وخارج زاوية « كيرسـك » ، وعلى حين كان الروس يحتلون المواقع حول المواقع المحصنة فى أوريل Orel ويوزعون جنودهم فى نصف دائرة حول كيرسك كانت الفرق الآلمانية تصل باستمرار الى منطقتى بريانسك ـ أوريل ، وبييلجرود (٥٤) ٠

* * *

وما كان واضحا ازداد وضوحا عندما عطل هتلر موعد الهجوم لمرتين ، وبذلك أعطى الروس الوقت الكافى لتقوية المواقع الدفاعية وزيادة عمقها ٠

---

٥٤ ـ بول موراتوف (الخريف الثالث للحملة الروسية ، يوليو ـ نوفمبر ١٩٤٣) فى المجلة البلجيكية ـ يناير سنة ١٩٤٤ ٠

وفي ضوء هذا يتضح لنا أن اشارات ورسائل «الثلاثة الحمر» كانت فى بساطة تأكيدا للروس لما يعرفونه بصورة ما وبوسيلة ما ، وبالاضافة الى هذا فان هذه الرسائل قد مكنتهم من معرفة عدد ونوع الفرق الالمانية التى ستستخدم فى الهجوم ، نحو ١٧ فرقة من فرق البانزر وبعض الفرق الميكانيكية ولكن مع هذا فلم يكن لهذه المعلومات من تأثير كبير على النتيجة .

على أنه قبل أن يمر وقت طويل بعد هذا حرم « المدير » من خدمات « الثلاثة الحمر » بسبب أن البوليس السويسرى كان يجد فى أعقابهم ، وهكذا انتهى عمل « الثلاثة الحمر » وان كان تقدير هذا العمل لا زال موضع جدل ، ونحن عندما نستعيد الحوادث لذاكرتنا نجد أن أهم ما اسهمت به شبكة الجاسوسية السويسرية قبل واثناء معركة ستالينجراد فقد مكنت معلومات هذه الشبكة من أن يوزع الجيش الاحمر أمداداته بالقدر الكافى وفى المكان الصحيح ، وقد يكون هذا كل ما يمكن أن يقال لانه من غير الممكن عرض قصة شبكة الجاسوسية السويسرية كاملة فالكثير من المواد الاصلية قد حرقها الالمان لئلا تقع فى أيدى الروس ثم أن الكثير من الرسائل لم يستطع الالمان حل رموز شفرتها كما يجب وبذلك لم يكشف عن حقيقة ماكان بها من معلومات .

ولكن مهما كانت القصة فانها لايمكن أن تصل الى مدى الاسطورة التى يزعمها الالمان ويقولون لها « الطعنات التى جاءتهم من الخلف » ، ولم يفقد الالمان الحرب ضد الروسيا بسبب خيانة العملاء الالمان الذين كانوا يمدون « الثلاثة الحمر » أو «الاوركسترا الحمراء » بالمعلومات وانما فقدوا الحرب بسبب أن القيادة الالمانية قد ارتكبت اخطاء استراتيجية كبيرة كثر الحديث عنها الى حد أن لا حاجة لتكرارها .

صحيح قد يكون عمل شبكات الجاسوسية هذه قد زاد من سرعة انهيارا المجهود الحربى لالمانيا ولكنه لايمكن أن يكونسببه، ويبقى بعدذلك الموضوع الهام وهو هل يرجع دهاء الروس فى تجنب الضربة المتوقعة ومهارتهم فى مهاجمة العدو فى أضعف نقطة ، هل يرجع هذا الى ماتوافر لهم من معلومات أم هل يرجع الى قوة الابتكار للقيادة الروسية ؟ سؤال فى الواقع قد لايمكن الوصول الى أجابة له ..

ولكن هنا مسالة أخرى يجب أن نضعها موضع التقدير هى أنه لوكان الروس ـ وقد توافرت لهم المعرفة بتشكيل القوات الالمانية كما انهم قد

حذروا من الهجوم الألماني الذى يقترب ـ لو كانوا قد قاموا بالتدابير اللازمة لمواجهة هذا لكانت الحملة قد سارت فى طابع آخر اصلح لهم وأوفق ، ولكان هذا الاجراء من جانب الروس يجعل لعمل « الاوركسترا الحمراء » كل الفضل ..

ولكنهم لم يفعلوا يوم ذاك ، الا أنه مامن سبب لان يظن بأنهم لن يفعلوه فى المستقبل .

ان الجاسوسية بالتسرب قد يكون لها القرار الحاسم فى الحرب المقبلة .

ولايجوز أن تهمل هذا الدرس ، على الاقل ، من أجل سلامتنا .

٤

مزيد عن المعلومات والمخابرات

عمليات الاستكشاف بواسطة جنود العصابات ×

يعرف الناس «حرب المواطنين» ، حرب القوات غير النظامية التي تجمع من المواطنين أفراد الشعب للعمل خلف خطوط العدو ، حرب العصابات ، ولقد عرفوها من تاريخ معرق فى القدم بل لعلهم عرفوها منذ أن عرفوا الحرب عرفوها من تاريخ معرق فى القدم بل لعلهم عرفوها منذ أن عرفوا الحرب نفسها ، ولقد ظهرت حرب العصابات فى الصين قبل أكثر من ٢٣٠٠ سنة وعرفت أثناء حرب الاستقلال فى الولايات المتحدة الامريكية وفى حرب شبه جزيرة ايبيريا ، وفى الحرب الاهلية الامريكية ، وحرب جنوب أفريقية بين البوير والانجليز ، وفى الحرب العالمية الاولى بواسطة لورنس ثم فى الروسيا وايرلندة ، وقبيل الحرب العالمية الثانية قاتلت العصابات تحت قيادة ماو ـ تسى ـ تونج ضد شيانج كاى شيك ثم ضد اليابان ، وفى الحرب العالمية الثانية ـ قاتلت العصابات فى كثير من مسارح الحرب ضد الصين والملايو والفلبين والهند الصينية وتيمور وبورما والروسيا وبولندة واليونان ويوجوسلافيا وفرنسا وايطاليا والبانيا والحبشة ، وبعد هذا فى تاريخ حديث قاتلت فى الملايو والهند الصينية وكوريا وكينيا .

ولقد مرت أصول حرب العصابات بعدة تغييرات مع الوقت ، ولكن الكثير من الاصول القديمة لازال يصلح للتطبيق اليوم كما كان يصلح لهذا فى الماضى ، واليوم ـ كما كان بالامس ـ لاتزال الحرب الغير النظامية وسيلة تأمل بها القوة الاضعف أن تتغلب على عدوها الاكثر قوة وعتادا ، ولكن عندما تقاتل قوات العصابات فى معاونة جيش نظامى لايكون قتالها حربا غير نظامية ، على أن قوات العصابات مثلها مثل القوات النظامية يجب أن تكون تحت قيادة رئيس مسئول عن كل الافراد مسئولية قائد الوحدة العسكرية عن أعمال جنوده وذلك تبعا لماكان فى قوانين لهاى ، فالعصابات

× فى الاصل *Prtisan* وتعنى فى اقرب الموارد الفرد الذى يعمل فى مجموعة من الجنود غير النظاميين الذين يشتركون فى حرب العصابات وراء خطوط العدو فى الغالبية معجم ويبستر طبع ماكميلان سنة ١٩٥٦ ص ١٠٦٧ . (المترجم) .

يجب أن تكون على مثال القوات العاملة من ناحية النظام والضبط والربط ولكن الخلاف بين هذه وتلك ، بين العصابات وقوات الجيش النظامى يجىء فى الواجبات التى تطلب منها وفى مسرح العمليات التى تعمل فيها لانها عادة تقاتل وراء خطوط العدو ٠

على أن قوات العصابات من الناحية الاخرى للصورة هى فيلق المخابرات مصدر المعلومات المثالى ، لمن تعمل تحت امرته ، فهى قد استخدمت لهذا القصد أساسيا وعلى مدى واسع أثناء الحرب العالمية الثانية وفى الروسيا، ولم نكن نعرف يوم ذاك الا القليل عنها الى حد أننا لم نعنى بملاحظة هذا الاستخدام الجديد لها ، ولكننا اليوم ندرك أن العصابات فى الروسيا قد أوجدت التطورات الاساسية لهذه الصورة من صور الحـرب ، الصـورة القديمة منذ أجيال واجيال ، وكان الفضل كل الفضل فى هذا لستالين (؟!)

وفى سنة ١٩٤٢ أصدرت الروسيا «كتاب اليد لقـوات المناضلين وأفراد حرب العصابات » ، وقد جاءت فيه معلومات نافعة ، معلومات عن كيف يمكن اجتياز جبهة القتال ، كيف تعسكر قوات العصابات ، معلومات عن تدمير منشئات العدو ، عن أعداد الكمائن ، عن مهاجمة القرى ، عن الانسحاب من الاشتباك بقوات العدو عن كيفية مقاتلة الفاشيستللعاصابات عن الالغام ، الاسلحة ، وعن استخدام أسلحة العدو ، عن الاخفاء والتمويه ٠

وقد جاءت المعلومات فى هذا الكتاب مفصلة بدرجة كبيرة ، وتوجـد فصول مختلفة عن تدمير ٠

مستودعات العدو ، قولاته ، حملته ، جنوده ، دباباته وعرباته المدرعة وخطوطه الحديدية ، اسلاك التليفون وكذلك عن وضع الالغام على الطرق ، وفى هذا الكتاب يقال لجندى العصابات كيف يسير على الحشائش ، كيف يسير على الارض الرخوة والارض الصلبة دون أن يترك أى آثار خلفه ولا أن يسمع صوت خطواته ، ماذا يتخير من الاشجار ليختفى خلفه وهكذا ٠٠

على أن أهم مايعتينا بخاصة هو ماجاء فى هذا الكتاب خاصا فى قيام جنود العصابات بأعمال الاستكشاف ، اذ يقول الكتاب :

« تذكر ، تذكر أن جندى العصابات لايقوم بالاستكشاف من اجـل وحدته وحدها بل من أجل جنود الجيش الاحمر أيضا ، عاون الجيش الاحمر

للحصول على معلومات عن العدو ولاكتشاف قواته ومواقعه وحقول الغامه واسلحته ومستودعاته الخلفية ، وكذلك المعلومات عن نواياه ، استعداداته للعمل ، جنود ، حملته ، أعمل دائما للحصول على معلومات دقيقة موجزة ما أمكن » •

« ان كل رجل من رجال العصابات يوضع خلف خطوط العـدو من واجبه القيام بالاستكشاف طوال الوقت ومن أى مكان » •

« يجب أن لا يقنع رجل العصابات بالقيام باستكشاف عسكرى عن طريق المراقبة الشخصية واثناء القتال ، ولهذا يجب الانتفاع بالمواطنين السوفييت وبالسكان المحليين ، لاتخشى أن تذهب للاستكشاف حتى بداخل قرية يحتلها العدو ، ارتدى نفس ثياب المواطنيين المحليين وقم بهذا العمل »

« ومن الاهمية بمكان أن تأسر جنود العـدو لتحصـل من الاسرى عن المعلومات الضرورية ، اجتهد أن تسلم الاسير للسلطات العسكرية » •

ان واجبات الاستكشاف يمكن اجمالها فيما يلى :

• معلومات عن العدو ، مواقعه ، عدده ، نواياه ، مستودعات البترول مستودعات التموين ـ أماكن مبيت الضباط •

• الارض ـ الطرق المستورة للاقتراب ، حـال الطرق والـكبارى ، الأسلحة الصالحة لهذه الاغراض •

• السكان : معنوياتهم ، اتجاههم نحو العدو ، الـكشف عن عمـلاء العدو •

• تعلم تمييز جنود العدو •

• ان رجل العصابات عندما يكون فى الاستكشاف يجب أن يعرف على التحقيق وعلى درجة كبيرة العلائم التى يستطيع معهـا أن يعرف مكان قوات العدو الاساسية ومواقع قواته الاحتياطية ، وتكون المنطقة محتلة بالعدو لو :

حفرت بها خنادق واقيمت اسلاك شائكة ووضعت فى جوارها أسلاك للتليفون ، وزادت حركة النقل فيها ، وسمع بها نباح كلاب ٠

على أنه يجب الحرص والحذر فان القرية الهادئة الساكنة التى لا تبدو بها أى حركة قد تكون كمينا أعده العدو ٠

* * *

ويجب تذكر أن كتاب اليد لقوات المناضلين قد صدر سنة ١٩٤٢ ، عند ما كان السوفييت لازالوا جديدين علي الدرب فى تنظيم مخابرات المناضلين ، ولا يذكر الكتاب شيئا عن كيفية نقل المعلومات التى تجمع الى الجيش الاحمر ، ومع هذا فانه من الواضح أن أفضل المعلومات التى يمكن أن يجمعها المناضلون قليلة النفع للجيش الا اذا وصلته بسرعة ، ومن الطبيعى أيضا أن مخابرات الجيش لا تستطيع أن تنتفع من وجود المناضلين فى الجانب الآخر وراء خطوط العدو الا اذا كان من الممكن ايجاد اتصال سريع معها ، وقد أمكن التغلب على هذه الصعوبة سنة ١٩٤٣ عندما زودت كل جماعة من المناضلين بجهاز راديو لاستقبال وارسال المعلومات ، وبذلك أمكن قيام مواصلات دائمة بين جماعات المناضلين وبين السلطة العسكرية فى مناطق عملياتها ، وفى نفس الوقت كانت الجماعات الكبيرة من المناضلين لها اتصال اضافى مباشر مع هيئة أركان الحرب للجيش الاحمر (٥٥) ٠

وفى نفس الوقت استطاعت بعض جماعات المناضلين أن تمهد أراضى للهبوط فى مناطق عملياتها ، ونظمت عملية نقل جوى ٠

وكنتيجة لكل هذه التغييرات الاساسية جاءت فى كتاب « تعليمات خدمة الميدان » F. S. R للجيش الاحمر الصادر سنة ١٩٤٤ التعليمات الآتية :

⊙ تنشأ جماعات المناضلين وتبقى دائما اتصالا (مواصلات اشارة)

بين الوحدات الصغرى لها ٠

---

٥٥ - *A. Fedrov, L'Obkom clandestin au travail, Paris, 1951 VOI II P 320*

بينها وبين الوحدات المجاورة ·

مع هيئة أركان حرب حركة المناضلين ·

مع هيئة أركان حرب العسكرية فى المناطق التى تعمل بها ·

- وللابقاء على وجود « مواصلات اشارة » تستخدم كل الوسائل الممكنة مثل الرسل الذين يسيرون على أقدامهم ، الحمام الزاجل ، الكلاب حاملة الرسائل ، الراديو والطائرات ·

- تكتب التقارير بالشفرة (راجع الملحق ١) ·

على أن قانون خدمة الميدان يقدم مزيدا من الاجراءات نتيجة للتجربة ، وما جاء فى قانون خدمة الميدان أن يوسع من ميدان العمل ، فلم تعد قوات المناضلين تجمع معلومات مفككة مبعثرة عن العدو وعن السكان وعن الارض، بل باتت تقوم بالواجبات التى تقوم بها وحدات المخابرات العاملة فقد جاء فى قانون خدمة الميدان عن هذا :

« يتضمن تعاون وحدات المناضلين مع وحدات الجيش الآخر ما يأتى :

- مراقبة واستكشاف القوى العددية لقوات العدو وتحديد توزيع هذه القوات والمواقع الدفاعية التى تحتلها ومناطق الالغام ·

- تعين الأهداف للطائرات المغيرة وللمدفعية البعيدة المدى ·

- تبليغ قيادة الجيش الاحمر عن نتائج التدمير الذى قامت به طائراتنا ضد الاغراض الهامة مثل الكبارى ، المطارات ، المحطات ، المستودعات ، نقاط تقاطع الخطوط الحديدية ، وكذلك التبليغ عن الطرق الغير صالحة أو الخطرة بالنسبة للدبابات ، والمناطق الصالحة لهبوط الطائرات أو اسقاط الافراد » ·

والواقع أن التعليمات التى جاءت فى قانون خدمة الميدان عن عمليات الاستكشاف التى تقوم بها قوات المناضلين Partisan قد تكون أكثر تخصصا مما كانت من قبل ، ومن النادر أن نجد شيئا أغفل فى هذا البرنامج الطويل الذى تضمن بيان ما يجب التبليغ عنه ·

« توزيع وتحركات جنود العدو ــ القوى العددية ــ أنواع الاسلحة ــ وقت واتجاه تحركات وقوة قوات الامن ــ تحركات قولات الامداد والتموين ــ المطارات فى مناطق العدو وعددها ــ عدد وأنواع الطائرات ــ وسائل الامداد بالوقود فى مطارات العدو ــ تنظيم واجبات الحراسة ــ قوات العدو فى المدن ــ الخدمات ــ الدفاع المضادة للجو ــ المستودعات والمصانع العسكرية ــ خطوط الدفاع ــ وسائل المواصلات والاشارة ــ التلفيات التى حدثت نتيجة للاغارات الجوية ــ خرائط العمليات ــ أوامر العمليات ــ أى وثائق للعدو ويمكن ضبطها » ·

على أن الكتاب الخاص بالمناضلين يضيف لهذه التعليمات فقرات لها اهميتها جاء فيها :

« قد يطلب من « المناضل » أن يكتشف أين توجد هيئة أركان حرب العدو ، أو أين يوجد مطار أو مستودع ··· ، وقد يتلقى أوامر بأن يراقب تحركات قوات العدو لمعرفة عددها ومن أين ، والى أين تتحرك ؟ ·

« فاذا حدث أن قابلت وحدات أثناء قيامك بهذا الواجب فلا تتوقف عن السير ولا تبدى ما يدل على أنك تراقب العدو ، ابدى أنك غير مهتم بالمراقبة ، انحدر الى طريق آخر بعد أن تكون قد عرفت لون لباس الرأس والعلامات التى على الاكتاف (الاسبلايطة) وبعد أن تكون قد قدرت عدد القوات ، واذا كانت قوات العدو أثناء اجتيازها لقرية ما قد سألت الاهلين عن شىء ما ، حاول معرفة ماذا سأل عنه الفاشيست وماذا يريدون أن يعرفوا والى أى اتجاه قد ساروا » ·

ولكن كيف يعرف المناطق مركز رياسة هيئة أركان الحرب ؟! ومرة أخرى تعود الى الكتاب الخاص بالمناضلين لنجد فيه :

« وكقاعدة عامة يقيم أفراد هيئة أركان الحرب فى عدة منازل متفرقة ، ولكن العلائم الآتية تدل على وجود هيئة أركان حرب فى أى مبنى :

١ ــ شبكات كثيرة من خطوط التليفون والتلغراف بينها اسلاك ملونة مغطاه بمواد سميكة ·

٢ ــ وجود عدد كبير من ضباط العدو ·

٣ ـ رؤية حشد من العربات على مقربة منها مثل عربات راديو ومراكز جمع معلومات والعربات الخاصة بأفراد هيئة أركان الحرب .

ولاحظ أن وجود حركة كثيرة « للمراسـلات » المترجلين والراكبين ، ثم ان وجود عدد كبير من العربات يدل على وجود مركز لتجميع المعلومات على مقربة من مركز الحركة هذه ، ابحث فى هذه المنطقة عن مكان وجود هيئة أركان الحرب للعدو » .

وهنا يبدأ الكتاب لايضاح كيف يمكن التعرف على نوايا العدو :

« اذا كان العدو ينوى القيام بهجوم فيجب توقع وصول قوات جديدة ، مع حركة اصلاح سريعة للطرق الموصلة الى الانهار ، وزيادة حركة النقل مع ملاحظة عودة السيارات خالية الى المناطق الخلفية » .

« ولكن اذا كان العدو يعتزم الانسـحاب فان الاهالى المحليين أصلح للتعرف على هذا ، ذلك لان الاغذية والوقود ينقل للخلف ، وتدمر تقاطعات الطرق والمعابر التى على الانهار ، وتنزع أسلاك التليفون وتجىء القاطرات والسيارات خالية وترجع مليئة » .

* * *

على أن الاهمية فى الواقع بالنتائج ، وقد كانت نتـائج اسـتخدام السوفييت للمناضلين فى عمليات الاستكشاف كبيرة وهامة ، ولكن المهم هو أنه لم يحدث من قبل فى الحرب أن انتشر الكثيرون من (الكشـافة) القائمين بعمليات الاستكشاف فى منطقة فسيحة بهذا القدر الذى انتشر به عمال السـوفييت فى منطقة الاحتلال الالمانى فى الروسـيا ، وقد جاء فى تقرير قيادة أحد الفيالق الالمانية بتاريخ ٥ من مارس سنة ١٩٤٢ : « لقد ثبت أن العدو على دراية تامة بتحركات الوحدات » ويقول انيسيموف فى كتابه ص ٢٠ : « لقد قال قائد القسـم الروسى فى هيئة الامن الالمانية أن المناضلين الروس كانوا يعرفون تقريبا كل تحركات القوات الالمانية فى وقت مبكر يكفى بوضع الخطط لها أهميتها أو اعداد كمائن لتصيد رجالها » .

ولسنا فى حاجة لنقص هنا نماذج من نجاح مخابرات المناضلين وكفايتها ومهارة أفرادها وبخاصة فى المظهر البرىء الذين يبدون به أثنـاء قيامهم

بعمليات الاستكشاف وجمع المعلومات ، فقد كتب ميخائيل كورباكوف فى (نيويورك تايمس بوك ريفيو) عدده من ديسمبر سنة ١٩٥٤ كما كتب الكولونيل هـ٠ م٠ فورد فى « ارمى كومبات فورسز جورنال » عدد أكتوبر سنة ١٩٥٤ وكما كتب الليفتينانت جنرال هـ٠ج٠ مارتين فى الديلى تلغراف عدد ٩ من أبريل سنة ١٩٥٤ يقول :

« لا شك أنه فى أى حرب قادمة سيكون لتهديد العصابات الشيوعية أكبر وأخطر مما كان فى الحرب العالمية الثانية ، وفى أى حرب ضد الروسيا يجب أن نذكر الآلات التى تستخدمها الشيوعية الدولية ، آلة « المناضلين من أجل السلام » موجودة فى كل أمة غربية ،وهؤلاء سيقومون بأعمال العصابات فى المناطق الخلفية وراء الجيوش الغربية ، سيقومون بأعمال الجاسوسية والتخريب والخيانة ، وسيحدث فى أرضنا وأراضى حلفائنا ما قد يصل الى حد الحرب الاهلية ، أما فى مناطق العمليات نفسها فسيستطيع العدو (السوفييت) أن ينظموا حرب العصابات بوساطة المناضلين ، واذا كان العدو يستطيع هذا ٠٠٠ فاننا فى تخطيطنا يجب أن نضع قدرته على هذا موضع الاعتبار والتقدير » !! ٠

٥

سقوط فرنسا سنة ١٩٤٠

في أبريل سنة ١٩٤٠ قبل أن تتحول حرب التراشق بالمدفعية الى الحرب البرقية أصدرت ادارة النشرفي حزب العمال بلندن خطاباكتبه مسيو بول فور Paul Faure سكرتير الحزب الاشتراكى الفرنسى الى حزب العمال البريطانى جاء فيه :

« يقال أن فرنسا دولة نصف فاشية الغيت فيها كل الحريات ولا وجود للحكومة البرلمانية ، لقد سجن كل زعماء حزب العمال وكبتت حركة الاتحادات ، وقد لا أكون فى حاجة لان أخبركم بدهشتنا من هذه الكلمات التى لا تتمشي مع الحقيقة والواقع ؛ على أن سبب هذا يمكن ادراكه ـ ولا شك نتيجة لملاحظة التدابير التى قامت بها الحكومة ضد الشيوعية والتى لا أنكر ولا شك أنها كانت قاسية » .

وكانت الحكومة الفرنسية في نهاية أغسطس سنة ١٩٣٩ قد ألغت اصدار الجرائد الشيوعية فى فرنسا وحلت الحزب الشيوعى وبالتبعية اعتقلت كل زعماء الحزب .

« ولكن ـ ويتابع كاتب الخطاب حديثه ـ كيف لا يمكن اعتبار هذه التدابير على أنها تدابير قانونية صحيحة ؟ أن هذا ضرورى لتفهم مدى خطر الشيوعيين على الناس في فرنسا ، لقد كان من السهل الميسور ان يقرر ما اذا كان من الممكن لحزب يتلقى أوامره تعليماته كما يحصل على معونة مالية من دولة أجنبية ان يشترك فى وقت الحرب بنصيب ما فى الجمعية العامة الفرنسية ، وعما اذا كان من الممكن أن يخطر بالاسرار العسكرية والموقف الدبلوماسي للبلاد وأن يصرح المسئولون فى قاعات مجلس الشيوخ عند عقد الجلسات السرية المغلقة بالمعلومات السرية الخاصة بالدفاع القومى ؟ هل يمكن هذا ؟ !! » .

لقد بدأت حملة سرية بالنشرات بوساطة الشيوعيين يصفون فيها الحرب الحالية على أنها قامت برغبة الرأسمالية البريطانية وحدها ، وبذلك

يبدو كيف أن الشيوعيين يعملون لاثارة الرأى العام الفرنسى ضد بريطانيا ، كما يعملون لتحطيم معنويات الجيش والشعب ، ولتهيئة الجو للفوضى والاضطراب ، ويكون بعد هذا من واجب هتلر وستالين أن يعيدا النظام الى البلاد » ٠

« هذا هو الموقف ٠٠٠٠ (٥٦) » ٠

والواقع أن مرسل الخطاب لم يكن ليكتبه ، ومتسلم الخطاب ما كان لينشره لو كان هذا الموقف معروفا أو مفهوما لخارج فرنسا ، وقد يكون كذلك من المبالغة القول أنه حتى مع ذلك صار الموقف معروفا بدرجة أكبر بعد هذا النشر ، ففى ذلك الوقت كان الادلة الخاصة بدور الشيوعيين الفرنسيين فى هزيمة فرنسا دلائل قليلة ، ولكن فيما بعد عندما دخلت الروسيا الحرب الى جانب بريطانيا ، لم يعد من سبيل للتحدث عن هذا الدور ، فلما أن انتهت المحالفة بينهم كان كل شىء قد نسيه الناس ، ولكن الواقع أنه من الضرورى اليوم أن نذكر هذا كما كان من الضرورى يوم ذاك أن نذكره ، ومن الضرورى أن يستعرض الغرب هذه القضية الخاصة بفرنسا حتى يدرك بأنه من الضرورى أن يعد العدة للوقاية ضد تكرار مثل هذا الذى حدث فى فرنسا ٠

ان الشيوعيين يؤمنون منذ ان كان « أب الشيوعية » ، بان التعارضات المتوارثة فى الراسمالية يجب أن تؤدى الى الحرب بين دولة راسمالية ودولة راسمالية أخرى ، وفى هذه الحرب الراسمالية قدر لينين فى سنة ١٩١٨ أن واجبه كممثل للبرولتياريا ان يعد للثورة العالمية كوسيلة وحيدة للفكاك من أهوال الحرب « والغبى الاحمق هو الذى يناقش الامر من وجهة نظر وطنه ، ان الفرد يجب أن يناقش هذا من ناحية نصيبه فى الاعداد والدعاية والعمل للاسراع فى ثورة البولتياريا العالمية (٥٧) » ٠

وقد أجمل ستالين فى سنة ١٩٢٥ التكتيكات الضرورية للاتحاد السوفييتى فقال :

---

٥٦ ـ النشاط الشيوعى فى فرنسا نشرة رقم ٢ (٤٠/٤) ٠

٥٧ ـ مجموعة كتابات لينين (١٩١٨ ـ ١٩١٩) طبع نيويورك سنة ١٩٤٥ المجلد ٢٣ ص ٤٠٠ ٠

« لن نستطيع عند قيام الحرب أن نجلس معقودى الزراعين ، يجب أن نقوم بعمل ما ، ولكننا سنكون آخر من يعمل ، وسنعمل كى نلقى بالثقل الحاسم فى الميزان ، الثقل الذى يقلب وضع كفتى الميزان (٥٨) » .

وقد وافق الشيوعيون على هذه التكتيكات للحرب العالمية الثانية ، وفى سنة ١٩٣٩ وزع « الكومنيترن » على الاحزاب الشيوعية فى خارج الروسيا البيان التالى :

« لقد قررت الحكومة السوفييتية والكومينترن أنه الافضل البقاء بمعزل عن النزاع مع البقاء على أتم استعداد للتدخل عندما تضعف الحرب القوات المتقاتلة وذلك بأمل تحقيق الثورة الاشتراكية (٥٩) .

وعندما انهى ستالين اتفاقية « عدم الاعتداء » مع هتلر فى الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٩٣٩ فانه أعطى ألمانيا « الضوء الاخضر » لتبدأ حربا أمبريالية ، ومن جهة أخرى فانه اعتبر الاتفاق وسيلة لعزل بولندة وجعل الحرب حربا محلية ، وظن ستالين أنه يعرف الموقف أحسن من غيره وقد ثبت أنه على حق فى ظنه ، ولكنه ارتكب هو أيضا خطئا قاتلا ذلك أنه لم يترك له وحده أن يقرر متى يرفع ذراعيه عن صدره ليبدأ العمل لتحرير شعوب أوروبا ، فان هتلر هو الذى انقض عليه ، **ولكن لو كان ستالين قد قرأ كتاب « كفاحى » لهتلر ولو كان هتلر قد راجع كتابات ستالين لما كان ايهما قد ظن لحظة واحدة فى امكان الآخر الاخلاص لوعد قطعه على نفسه ولكان كل منهما قد عرف يوم أن وقعا ميثاق عدم الاعتداء بأن الميثاق اتفاقية لا يعتزم موقعوها الابقاء عليها ، وكانت المسألة فى بساطة مجرد أن يقدر أيهما أولا أن تمزيق هذه الاتفاقية لصالحه » .**

وكان هتلر هو الذى قرر هذا قبل بستالين ...

وكان ستالين فى الواقع يواجه عدة عراقيل معطلة ، كان عليه الابقاء على الحلف مع ألمانيا حتى يجهد المتقاتلون أنفسهم ولهذا السبب كان على شيوعيى موسكو أن يتابعوا المداورة فى الميدان الدولى ، ولهذا السبب

---

٥٨ ـ خطبة ستالين فى اللجنة المركزية يوم ١٩ من يناير سنة ١٩٢٥ « اقوال ستالين » طبع موسكو سنة ١٩٤٥ المجلد ٧ ص ١٤ .

٥٩ ـ « التاريخ العسكرى للحرب العالمية الثانية » المجلد الاول ص ١٤٥ .

نفسه بدأ الشيوعيون الفرنسيون هذه المداورة بعد أن أوضحت لهم السياسة الجديدة فى ضوء ميثاق عدم الاعتداء ، والواقع أن الشيوعيين الفرنسيين لم يفهموا فى البداية معنى ميثاق أغسطس سنة ١٩٣٩ ومن ثم فانهم أدلوا بأصواتهم الى جانب الميزانية الخاصة بالقوات المسلحة الفرنسية عند اجتماع المجلس الوطنى يوم ٢ من سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وبالرغم من أنه كان من المظنون أنهم سيقفون ضدها فلا يسهمون فى عملية تعد هزيمة الاتفاقات المضادة للكومنترن .

وقد أسرع مولوتوف ـ عقب توقيع ميثاق عدم الاعتداء لتصحيح مثل هذه الاخطاء ، وفى أول من سبتمبر سنة ١٩٣٩ صرح بما يأتى :

« لقد كانت الروسيا وألمانيا الدولتين اللتين احتملتا الغرم كله فى حرب سنة ١٩١٤ ـ سنة ١٩١٨ ، ولهذا فانه لصالح شعبى الاتحاد السوفييتى وألمانيا كان من الضرورى أن لا نظل فى عداء متبادل بل أنه كان من الضرورى أن يعيش الشعبان ، الشعب الالمانى وشعب الاتحاد السوفييتى فى سلام » .

ولكن العيش فى سلام لا يجب أن يقوم بين ألمانيا والروسيا وحدهما ، بل يجب أن يكون بين جميع الامم ، ومن ثم فانه من الضرورى أن نترك الامم كلها ألمانيا الهتلرية تعيش فى سلام ، وبعد شهرين أى بعد أن اقتسمت الروسيا وألمانيا بولندة ، راح مولوتوف يقول :

« وكما هى الحال بالنسبة لاى معتقدات ايديولوجية فالفرد يجب أن يتقبل الايديولوجية الهتلرية أو أن يرفضها ، والمسألة مسألة وجهات نظر سياسية ، ولكن كل فرد يجب أن يعرف أن أى ايديولوجية لا يمكن أن تدمر بالقوة ولا أن تضعف بالحرب ، ومن ثم فليست الحرب التى تستهدف تحطيم الهتلرية ليست حربا غير لازمة فحسب بل أنها لحرب اجرامية » .

ولكن لماذا هى حرب اجرامية ؟ هنا يتابع مولوتوف حديثه ...

« واليوم تعيش ألمانيافى الوضع الذى يجعلها تواقة لانهاء الحرب واقامة السلام ، ولكن فرنسا وبريطانيا اللتان كانتا بالامس تصيحان ضد الاعتداء تقفان اليوم الى جانب استمرار الحرب وتعارضان كل فكرة ومحاولة لاعادة السلام » .

وكان هذا الحديث وغيره هو الجهد الذى كان لابد منه للابقاء على ميثاق عدم الاعتداء ،ولكن كانعلى الاتحاد السوفييتى أيضا أن يعمل على استمرار الحرب حتى يستطيع الروس التدخل وخوض غمارها « بالثقل الذى يقلب كفة الميزان رأسا على عقب » ٠

وكانت هيئة أركان الحرب الالمانية لا تقف الى جانب مهاجمة فرنسا ، كانت تعتبر خط ماجينو مانعا قويا له خطره ،وكانت تثق بخاصيات القتال للجنود الفرنسيين ، هذا فضلا عن ثقتهـا ـ نتيجة لمعـارك بولندة ـ بأن الجنود الالمان أقل بكثير من ابائهم الذين قاتلوا فى الحرب العالمية الاولى قبل خمس وعشرين سـنة ؛ وقد توقع الكولونيل جنرال بيك Beck وهـو رئيس سـابق لهيئة أركان الحرب أن يواجـه الالمان هزيمـة أخرى فى فرنسا ٠

على أنه ربما كانت الروسيا قد وافقت أو لم توافق على وجهات النظر هذه ، ولكن لاشك فى أن الروس قد وصلوا الى قرار بأنه لابقاء الميزان متوازنا يجب أن يلقوا فى كفة هتلر ببعض الثقل ولهذا عقدوا معه عـدة اتفاقات تجارية لامداد ألمانيا بالمواد الخاموالاغذية ثم عملوا لتحطيم معنويات الشعب والجيش الفرنسيين ٠

وكان كل ما هو لازم ، هو أن يدعو سكرتير عام الكومنترين الى العمل، وفى أكتوبر سنة ١٩٣٩ بدأ ديميتروف عمله بمقال نشر فى النشرة السرية للحزب الشيوعى الفرنسى Cahiers du Bolchveisme عن النصف الثانى لسنة ١٩٣٩ (صدرت بتاريخ يناير سنة ١٩٤٠) (٦٠) ، وقد قال ديميتروف فى مقاله أن الحرب العالمية الثانية حربا امبريالية وأن السياسة الامبريالية للفرنسيين والانجليز قبل الحرب كانت تستهدف دفع ألمانيا للحرب ضد الاتحاد السوفييتى ، ولكن حال دون هذا ادراك ألمانيـا للقوة الاقتصادية والعسكرية التى للاتحاد السوفييتى ، كما أن الزعماء الالمان أدركوا أنهم لن يستطيعوا اكتساب موافقة غالبية الشعب الالمانى للقتال ضد الدولة الاشتراكية الكبرى ، وكان على ألمانيا فى الواقع أن توازن بين طريقين وأن تتخير أحد أمرين ، فاما أن تعمل لتحقيق ما يطلبه الامبرياليون الفرنسيون والانجليز ، واما أن تقيم علاقاتها مع الاتحاد السوفييتى على

---

٦٠ ـ صدر النص الكامل لمقال ديميتروف مع مقدمة بقلم ٠ا روسى *A. Rossi* طبع وابلر *Wapler* بباريس سنة ١٩٥١ ٠

أسس سليمة ، وقد تخيرت ألمانيا الامر الثانى ، فلما أن فشلت البرجوازية البريطانية ـ الفرنسية فى دفع ألمانيا والروسيا الى التقاتل كان عليها أن تقتل المنافس الامبريالى القوى الا وهو ٠٠ ألمانيا ، **وهنا كان من الضرورى أن تقاتل الطبقة العاملة ضد الحرب الامبريالية ، أن تقاتل العمال ضد بلادهم كوسيلة للقتال ضد البرجوازيين المسئولين عن الحرب ٠**

وهكذا أعد المسرح للتآمر الشيوعى فى فرنسا ٠

لقد قال لينين « ان العدويين صفوفنا » ، فكانت هذه الكلمات شعار عمل الشيوعيين الفرنسيين ، ضد أعداء الطبقة العاملة الفرنسية ٠

على أن العدو ليس فقط « داخل الصفوف » فهناك أعداء لخارج هذه الصفوف ، وأولهم الانجليز ، وقد عرض تصريح الحزب الشيوعى الفرنسى فى أكتوبر سنة ١٩٣٩ بالمصرفيين البريطانيين أولئك الذين فرضوا الحرب على فرنسا وتركوا الشعب الفرنسى ليحتمل الغرم كله ، واتهم توريز من مخبئه فى مكان ما بفرنسا ، اتهم الامبرياليين الانجليز بأنهم حرموا فرنسا من أن تجنى شيئا من انتصارها سنة ١٩١٨ ، وأنهم كانوا دائما يعاونون ألمانيا على حساب فرنسا (٦١) ، وقد أضاف توريز أن بريطانيا الامبريالية لم تحتمل نصيبا متساويا فى التضحية بل أنها كانت دائما تحصل لنفسها على النصيب الاكبر ٠

ولم يكن موقف الولايات المتحدة بأحسن من هذا بكثير ، فهى المسئول الاول عن حرب اليابان ضد الصين ، وهى لاسباب شخصية تشجع امتداد الحرب الحالية (يقصد الحرب العالمية الثانية) ٠

وكان هذا الجزء الاخير هو رأى ديميتروف فى مقاله السابق الاشارة اليه ٠

ولكن كان الرايخ الثالث بدوره يعتبر من الاعداء الخارجيين للحزب الشيوعى الفرنسى ، فعلى ما جاء فى تصريح الحزب يكره الشيوعيون هتلر ونظام حكومته ، **ولكن العمال الالمان ، الاخوة الشيوعيين فى ألمانيا يجب**

---

٦١ ـ *Les Cahiers du Bolchevisme pp. 41-42*

أن يحذروا هذا كله وأن يعملوا لتحرير وطنهم ، ـ ثم يقول البيان ـ وعلى العمال الفرنسيين أن يقاتلوا ضد الفاشيين وأعوانهم حتى فى فرنسا نفسها .

وقد جاء نص البيان فى Cahiers du Bolchevisme ، وقد أوضح روسى فى مقدمته القيمة الاسباب التى جعلت هذه التصريحات تطبع فى ألمانيا أيضا ، وقد يبدو غريبا لاول وهلة أن تمد ألمانيا النازية يد المعونة لطبع مثل هذه التصريحات التى تحث على أن يعمل الشيوعيون الالمان لتحرير ألمانيا من الهتلرية ، ولكن لو تذكرنا أنه لم يكن فى ألمانيا حزب شيوعى ليقوم بالتحرير وأن ألمانيا فى مأمن من قيام ثورة شيوعية فى أرضها أدركنا السبب الحقيقى ، ولقد عاون الزعماء النازيون فى المؤامرة عن طيب خاطر ،ذلك لان الشيوعى الفرنسى الذى يريد أن يقاتل الهتلرية لا يستطيع هذا القتال الا بأن يعاون شعبه وجيشه ، وكان هذا آخر شىء يريده الزعماء النازيون ، ولهذا فاذا قيل للشيوعى الفرنسى أن اخوانه من الشيوعيين الالمان يقاتلون الهتلرية أى يقاتلون ضد « العدو فى الداخل » كان على الشيوعى الفرنسى أن يفعل ما يفعلون ، وأن يقاتل هو بدوره « العدو فى الداخل » أى داخل فرنسا نفسها ، وبذلك يمكن تحقيق تفكك الجبهة الفرنسية الداخلية ، ومن أجل هذا عمل النازيون والشيوعيون معا متعاونين .

ولقد قال لينين منذ بعيد أن « التحريض » و « الدعاية » يجب أن يقوما فى المؤسسات والجمعيات والاتحادات التى تنضم اليها جهرة البروليتاريا ومن يذهب مذهبها ، وقد اتبع توريز هذا المبدأ ، ومن ثم كان على أعضاء الحزب الشيوعى الفرنسى أن يقاتلوا حيث توجد الجماهير وحيث يمكن التأثير فيها وتنظيمها ، وقد حددت للشيوعيين رسالتهم داخل صفوف الجنود والعمال والفلاحين واللاجئين وزوجات الجنود .

ولكى يحقق الشيوعيون واجباتهم التآمرية السرية كانوا يحتاجون منظمة سرية متآمرة ، ومع حل الحزب الشيوعى فان أغلب أعضاء البرلمان كانوا اما فى معسكرات الاعتقال أو كانوا مختفين عن الانظار ، وكانوا قد طردوا من اتحادات العمال ومن الاعمال الحكومية ولهذا فقد كانوا يواجهون موقفا صعبا ، وكان الامر الاكثر صعوبة هو المفاجأة التى أصابتهم لتغيير الكرملين الجبهة التى يقف فيها ،ولم يكونوا مستعدين لليوم الذى يضطرون فيه للاستتار .

وقد صدرت أول تعليمات للحزب في ديسمبر سنة ١٩٣٩ بعنوان : « كفاحنا ضد الحرب » موضحة أهمية تكوين خلايا ومنظمات تتوافر لها القدرة على المبادأة واصدار القرارات ، وقد أوضحت التعليمات اجمالى الخطة :

« ان التنظيم واحد من أعقد مشكلات الحزب ، ودون قيام تنظيم صلب جامد يمتد الى كل الصناعات وكل النقاط المركزية فانه من المستحيل أن نحقق واجبنا ومن ثم يجب انشاء :

١ ـ مراكز اقليمية ٠

٢ ـ مراكز محلية ٠

٣ ـ مراكز فى الصناعات ٠

* * *

وكان الكثيرون من الشيوعيين موزعين في البلاد بسبب أعمال الكبت العنيفة ، ولا شك أن كلا منهم كان يعمل غاية ما يستطيع ولكن كان من الضرورى دون أى تعطيل سرعة اعادة التنظيم ، فهذه الوسيلة وحدها سيكون من الممكن جعل سياسة الحزب سياسة مؤثرة ناجحة ، وكان من الضرورى قيام اللامركزية الى أقصى مداها لزيادة قوة الابتكار ولتسهيل واجبات المراكز الاقليمية والمراكز المحلية ، وكان من الضرورى توجيه عناية خاصة للمنظمات فى الصناعات الكبرى وتمكينها من توزيع نشرات الحزب على نطاق واسع ، وكان من الضرورى أيضا عدم اهمال القرى ذلك لان وجهات نظر الجنود انما هى صدى ورجع وجهات نظر القرويين الذين جاءوا منهم ، ثم أن الاتصال بالقرى يمكن من الاتصال بعمال الارض ، ومن الضرورى أيضا اتخاذ كل احتياطات الامن ، كما كان من الضرورى تقسيم الشيوعيين الى خلايا كل منها من ثلاثة أو أربعة أفراد فقط (٦٢) ٠

كان هذا هو هيكل التنظيم الشيوعى الذى ـ على ما يقول مسيو بول فور ـ قام بحملة « النشرات المكروهة » مستهدفة تحطيم معنويات الشعب

---

٦٢ ـ راجع كتاب روسى : *Rossi, Les Communists Français pendant La drôle de guerre* طبع باريس سنة ١٩٥١ الصفحات ٩٤ ـ ١١٠ ٠

والجيش ، وكانت كتابات الحزب هي في الواقع السلاح البارز في حملة التخريب والتقويض ، وكانوا يفضلون ـ كلما كان هذا مستطاعا ـ أن تقوم الحملة على أساس النشرات المطبوعة ، فهذه أكثر ايضاحا ثم أنها أفضل وسيلة للابقاء على الاتصال بالشيوعيين على طول البلاد كما أنها تثبت للناس في كل مكان أن الحزب الشيوعي الفرنسي لا زال قائما يقاتل ضد الحرب الامبريالية ·

وكانت جريدة لومانيتي L'Humanité التي صدرت أقل من ستين مرة من بدىء الحرب حتى نهاية يونيو سنة ١٩٤٠ كانت تعنى بالمسائل العملية الجارية وتركت للنشرة التي تحمل عنوان Les Cahiers والتي صدرت مرة واحدة في ٦٤ صفحة طوال هذه المدة ، تركت لها « عقيدة الشيوعية »، وكانت هناك بالاضافة الى هذا صحف اقليمية وصحف محلية، وكانت النشرات ترد أساسيا من منطقة باريس (٦٣) ·

وعلى حين أن جل هذه النشرات كانت متماثلة في الاتجاه العام فان بعض نشرات خاصة صدرت لجماعات خاصة من الناس مثل « صوت المصانع » ـ « فلاحو فرنسا » ـ « النجمة الحمراء » La Voix des Usines Paysans de France — Le Trait D'Union — L'Humanité du Soldat — l'Etoile Rouge كما صدرت البعض في نشرات اقليمية مثل : وصدرت بمتز ـ وصدرت في الهافر Cauxde la 31éme ·

وكانت السموم التي راحت هذه النشرات تنفثها في قرائها تستهدف كلها تفتيت وحدة البلاد ، كانت تقول أن الرأسماليين قد كسبوا الكثير من الحرب ، ولكن العمال استغلوا استغلالا سيئا أما الجنود ففقدوا دماءهم بلا ثمن ، وكانت تقول أن هذه الحرب ليست حربا للدفاع عن الديمقراطية ضد الفاشية ، بل أنها ضد صراع امبريالي للحصول على المستعمرات وعلى مصادر المواد الخام ، وفي هذه الحرب هبطت فرنسا الى مستوى مستعمرة تابعة لبريطانيا ولم يحتمل الانجليز أي نصيب من ثقل الحرب الى جانب الفرنسيين ، ولهذا فان الطبقة العاملة يجب أن تعمل لانهاء الحرب ، بان

---

٦٣ . روسي ص ١٠٠/١٧١ وتوجد في كتاب روسي بعض صور فوتوغرافية لهذه النشرات ·

تقاتل ضد الحرب الامبريالية أن تقاتل للسلم ، وتوروز وحده هو الذى يستطيع أن يقيم السلم الدائم العادل ولهذا من الضرورى أن يتولى الحكم ، ولتحيا الشيوعية الدولية وحزبها الفرنسى (٦٤) ·

وفى ١٩ من مارس سنة ١٩٤٠ أخطر مسيو ألبرت سارو Sarraut المجلس الوطنى بالتدابير المضادة التى قامت بها الحكومة الفرنسية فقال :

- حرم من المقاعد النيابية ٢٧٧٨ شيوعيا كانوا فى مجالس المدن والمناطق ·
- وضعت تدابير خاصة بالنسبة لعدد ٤٤٣ موظفا شيوعيا ·
- حل ٦٢٩ اتحادا من اتحادات العمال ·
- حلت ٦٧٥ جمعية سياسية شيوعية ·
- اعتقل ٣٤٠٠ شيوعى ·
- صدر ٨٠٠٠ حكم ضد شيوعيين ·

وبالاضافة الى هذا صدر قانون يعرض من يقوم بأعمال الدعاية للشيوعية لحكم الاعدام ، وقد أوقفت جريدتا « لومانتى » و « سى سوار » وكانتا توزعان ٧٥٠٫٠٠٠ نسخة يوميا ·

ولكن اذا كانت هذه التدابير كان لها نجاح محدود فان الحكومة كانت معدومة القوة ضد الدعاية الشيوعية التى تستند الى الاذاعات الخارجية ، وقد نشر فى عدد ٢٤ من فبراير سنة ١٩٤٠ لنشرة ادارة الاستعلامات :
Bulletin hebdomadite du Commissariat de l'Information
أن محطات اذاعة « صوت السلام » وغيرها والتى تزيع باللغة الفرنسية موجودة فى الغابة السوداء وفى زيسين Zessen وفارين Warren بألمانيا ، وكان مستر سارو متحفظا فى بيانه أمام المجلس الوطنى عندما أكد أنه لا يمكن للفرد أن يميز بين الدعاية الشيوعية والدعاية الهتلرية ،

---

٦٤ ـ راجع كتاب بول رينو *Le France a sauvé l'Europe* طبع باريس المجلد ٢ ص ٤٨ ـ ٥١ ·

« فان رأس هذه الدعاية المزدوجة فى ألمانيا ، فالطائرات الالمانية هى التى تلقى من الجو نشرات الدعاية الشيوعية ، وأجهزة الارسال الشيوعية موجودة فى الاراضى الالمانية (٦٥) » .

وقد نبهت الاذاعة البريطانية فى اذاعتها يوم ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٩ لهذه الاذاعة الدعائية وحذرت من مغبتها ، على أنه لم يثبت على التحديد أنها جاءت من أراضى ألمانية ، كان كل الذين يتحدثون فى هذه الاذاعات رجال فرنسيين وقد قالوا بأنهم يتحدثون من أراضى فرنسية وأن الهيئة الفرنسية لتعقب الاذاعات المعادية تحاول الكشف عن مكانهم ، ولكنهم فى الواقع كانوا ينقلون الانباء عن صحف أجنبية لم تكن متوافرة دائما فى الاراضى الفرنسية مما كان من الممكن أن يجعل قصتهم عن اذاعتهم من فرنسا مقبولة معقولة .

وكانت هذه المحطات تذيع خمس اذاعات يوميا تبدأ فى الساعة ١٨٣٠ وتنتهى سعت ٢٣٠٠ وفى كل مرة تستمر الاذاعة لمدة نصف ساعة، يوقف خمس عشرة دقيقة منها لحديث عام وخمس عشرة دقيقة للتعليق مع اسطوانات موسيقية فى الفواصل بين هذا وذاك ، وكانت الاذاعة تنتهى بنشيد المارسليز ، وكانت شبكة المحطات تعمل على ثلاث موجات ، على أن العنصر البارز فى هذه الاذاعات هو الاعلان عن « الرغبة فى السلم » .

وقد حدثت ثغرة فى المدة من ٦ من مايو الى ٤ من يونيو سنة ١٩٤٠ الى أيام قيام الحرب البرقية ، وكان عدد من الاذاعات غير مسموع بالمرة ، ولكن كانت تتوافر المادة التى تدل على اتجاهات هذه الدعاية المزدوجة .

وتبعا لما جاء فى هذه الاذاعات :

« كان النزاع تبعا لرغبة الرأسماليين ، وهؤلاء لا يسرون للسلم (اذاعة ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٣٩) ـ ، الماليون المصرفيون يرضون عن قيام الحرب (اذاعة ٢ من مارس سنة ١٩٤٠) ، ماذا هو رأى رجل الشارع ؟ فان الحرب تؤدى الى استعباد عام تحت سيادة البرجوازيين (اذاعة ٢ من يناير سنة ١٩٤٠) ، ستؤدى الحرب الى بؤس وشقاء الناس ، ومع تعبئة خمسة ملايين فرنسى فان البطالة لم تقل ، والعمال يعملون لعشر ساعات

---

٦٥ ـ بول رينو صفحة ٤٧ .

يوميا ، والذين يجندون فقدوا عملهم وعندما يعودون سيجدون آخرين قد حلوا مكانهم فى العمل (اذاعة ٩ من يناير سنة ١٩٤٠) أن رينو يطلب منا أن نقلل من استهلاكنا لمختلف المواد ، فلمن يقول هذا ؟ الزوجات الجنود الذين فى جبهة الحرب أم للعمال أو الفلاحين الذين لا يجدون اليوم كفايتهم من الغذاء ؟ أو للشريرين الذين اشعلوا نيران الحرب ؟ (اذاعة ٢٥ من يناير سنة ١٩٤٠) ، ان جيشنا لا مثيل له ، نعم انضموا للجيش الذى لا يمكن أن يقارن بأى جيش آخر بتوجيه الزعماء ذوى الدربة والخبرة، ان تسليحنا جيد ولكن الجنود يفتقرون الى السلاح والسلاح الذى فى أيديهم قد انتهى مدى ووقت صلاحيته للاستعمال » (اذاعة ٧ من مارس سنة ١٩٤٠) .

« لقد قيل لنا أن نقاتل للدفاع عن وطننا وعن منازلنا وعن حريتنا ، فهل غزيت بلادنا ؟ ، وهل هوجمت دورنا ؟ ، وهل هددت حريتنا ؟ لقد سلبنا ولاريبة كل هذا منذ بعيد » (اذاعة ٩ من يناير سنة ١٩٤٠ » .

« ان وراء حصون ماجينو جيشا فرنسيا يقاتل من أجل السلم ، وسيعمل هذا الجيش لكى تدرك الامة حقيقة مصالح فرنسا ، وستنتشر دعايته فى صفوف الامة ، أننا نقاتل جميعا من أجل فرنسا » (اذاعة ٢٣ من يناير سنة ١٩٤٠) .

« لقد وعدت بريطانيا بضمان بقاء تشيكوسلوفاكيا ، فاين تشيكوسلوفاكيا الآن ؟ ، لقد ضمنت بريطانيا استقلال بولندة ، فاين بولندة الآن ؟ ماذا سوف يحدث لفرنسا غدا ؟ (اذاعة ٢ من يناير سنة ١٩٤٠) .

وفى ١٠ من يونيو عندما كانت الحملة العسكرية قرابة نهايتها اذاعت هذه المحطات النداء التالى :

« يا رجال باريس ، ان الاختيار فى أيدينا ،هل ستكون باريس وارسو أخرى أو بروكسل ثانية ؟ ماذا هو ردكم ؟ يجب أن ننقذ باريس كما انقذت بروكسل » .

« يا رجال فرنسا ان الاختيار يترك لكم ... هل تودون وارسو أخرى مع بقاء ديلادييه أو بروكسل ثانية مع حكومة الثورة القومية ؟ » .

« يا رجال فرنسا أن الثورة القومية تناديكم ، أنها تطلب كل قوتكم ، لقد جاءت الساعة ، تجمعوا حول العلم الفرنسى وعاونوا الثورة القومية ، فليسقط رنيو ··· هنا المحطة الفرنسية الثورية » ·

« يا رجال فرنسا لقد أعد الحلفاء لهذه الحرب منذ بعيد ، ولكنهم أعدوا لها بالاقوال لا بالاعمال ، لقد حان وقت بدء العمل ، ان رينو وماندل وديلادييه أكثر انشغالا بشئونهم الخاصة عن أن يشغلوا بمصالح فرنسا ، ولهذا ففي هذه الساعة الحرجة يتحدث رينو فى الاذاعة مطالبا الفرنسيين بمقاومة الالمان ، أيها الفرنسيون تجمعوا حول العلم المثلث الالوان ، ابدأوا الثورة ، ليسقط رينو ، وليذهب ماندل الى المقصلة ، هنا المحطة الفرنسية الثورية » ·

« أيها الفرنسيون ، أيها المواطنون المخلصون في كل أمة ؟ انهضوا كرجل واحد لمعاونة الثورة ، أننا لو بقينا مع رينو ··· (شوشرة) مع مع روتشيلد (شوشرة) سنفقد كل شىء ، فليسقط اليهود ، ولتحيا الثورة ، وليسقط ماندل ، وليسقط رينو ، ولتحى السلام » ·

وسواء أكان من الممكن أن نصف هذه الدعوة بأنها دعوة خالصة للشيوعية أو لم تكن فان المسألة لا محل لبحثها هنا ،و لكن الاشارة الى اليهود قد لا تكون أكثر من رغبة فى أن يشارك الشيوعيون مضيفهم فى المعمعة ، فان عددا كبيرا من الاذاعات السابق الاشارة اليها تضمنت أيضا حملة مضادة لليهود في صورة ما ، على أن الذى يدفع الى الشك فى مصدر هذه الاذاعة هو الدعوة الى الثورة فليس العلم المثلث الالوان علم الشيوعية ثم أنه ليست هناك أى دعوة لتعضيد تورين ومن ثم يبدو بأنه يجب أن تنسب هذه الدعوة للالمان الذين يريدون منع الحكومة الفرنسية من متابعة الحرب من ممتلكات فرنسا فيما وراء البحار ، ولا شك أن هذه الاذاعة قد خرجت من نفس المحطة التى حثت الفرنسيين باذاعاتها يوم ١٩ من يونيو سنة ١٩٤٠ على أن يكون شعار كل الاجزاء التى لم تحتل من فرنسا تعضيد « فيجان » ·

ولم يكن من الميسور أن تحدد أجهزة الالتقاط أماكن اذاعة «أومانتيه » Humanité أو « صوت السلام » La Voix de la Paix أو أى محطة أخرى من محطات الدعاية ، على أنه قد يكون من الضرورى هنا أن نفرق بين عملية الاذاعة وبين المادة المذاعة ، فليس فى الأذاعات أى اشارة للطابع

الامبريالى للحرب ، وليس فيها اشارة الى العدو داخل ألمانيا ، ولا دعوة توريز ليحصل على السلطة ولا دعوة لتعضيد الشيوعية ، ولكن اذا تقبلنا منطق السلطات الفرنسية من أن هذه المحطات كانت تدار من داخل الاراضى الالمانية وضح لنا سبب هذا الاغفال ، فان الحكومة النـازية لا تريد أن تقدم لاى ألمانى يعرض له أن ينصت لهذه الاذاعات برنامجا كاملا للتثقيف الشيوعى ٠

على أن الظاهرة الواضحة هى أن كل الاذاعات قد أثرت من الدعوة الى « السلام » ، والدعوة الى « السـلام » تعارض وتضاد كل تعاليم كتـاب الشيوعية ، والشيوعيون لن يضعوا حدا للحرب الامبريالية بل على النقيض فان واجبهم أن يحولوا منها الى حرب أهلية «للبلوتاريا »ضد « البرجوازية » للوصول الى السلطة ، وكان الشيوعيون الفرنسيون يعرفون هذا (الامر القائم المستديم) ، وقد قال توريز نفسه أمام المؤتمر العـالمى السـابع للشيوعية الدولية فى سنة ١٩٣٥ :

« هناك طريقة واحدة للوصول الى السلطة هى طريقة الشيوعية ، العصيان المنتصر للبلوتاريا » ٠

ومع هذا فان الشيوعيين الفرنسيين لم يعدوا أى ترتيبـات للحرب الاهلية الثورية فى سنة ١٩٣٩ ولا فى سنة ١٩٤٠ ٠

* * *

ولكن لماذا كانت دعاية الشيوعية الفرنسية خافتة الصوت ؟ ٠

والواقع أن وجهة نظر الشيوعيين الفرنسيين كانت أن السلم المباشر مستطاع فقط وتوريز يتولى السلطة ، وهو يستطيع الاستيلاء على السلطة نتيجة للثورة ولكن مع هذا فان الشيوعيين لم يحثوا الجماهير على الثورة ، وهكذا فان الشيوعيين لم يريدوا لا السّلم ولا الثورة ، بل كل ما كانوا يريدونه فى هذه المرحلة هو اضعاف فرنسا الى درجة كبيرة وتقوية ألمانيا بالتبعية الى قدر كبير ثم اضطرب ميزان القوى بين المتقاتلين بقدر أكبر مما يمكن معه أن يشترك ستالين فى الحرب فى المرحلة الاخيرة ليلقى بالثقل الحاسم الى الميزان ، « الثقل الذى يعيد كفتى الميزان رأسا على عقب » ٠

ولهذا السبب ــ سبب الحاجة الى الاحتفاظ بكفتي الميزان متوازنتين ــ لم يفعل الشيوعيون الفرنسيون شيئا فى هذه المرحلة وهم الذين قاموا فيما بعد بحرب للعصابات لا هوادة فيها ، ولهذا السبب لم يقم الشيوعيون الا بأقل القليل من التخريب فى المصانع بالرغم من العدو الكبير من العمال الشيوعيين فيها (٦٦) ٠

على أنه من الصعب أن لم يكن من المستحيل تقدير التأثير المباشر للنشاط التخريبى للشيوعيين داخل صفوف الجيش الفرنسى ، ومحاكمات « ريوم » التى ظن بأنها ستبرز أسباب الهزيمة الفرنسية لا تلقى ما يكفى من الضوء على الموضوع ، ولقد جلس القضاة فى محاكمات « ريوم » Riom Trial وأمامهم مجموعات من الوثائق فى أولاها حديث مزعوم عن نشاط الشيوعيين ولم يصل للمتهمين أى صور من هذه الوثائق بل ، ولم ينشر شيء مما جاء فى هذه الوثائق (٦٧) ٠

وتعتبر آراء كبار الضباط فى هذا الشأن متضادة متناقضة ، فعلى حين يقول بعض الجنرالات أن الروح المعنوية لجنودهم كانت عالية يقول الجنرالان لينكلود Lenclud وبلانكار Blanchar بأن الروح المعنوية للجنود فى يونيو سنة ١٩٤٠ كانت أقل عما كانت فى سبتمبر ١٩٣٩ ، وقال جنرال بوريه Bourret بعد الحرب أنه كان فى صفوف الجيش الفرنسى طابور خامس ولكن لم يكن له أثر محسوس ولا يمكن أن يكون سببا من أسباب الهزيمة السريعة (٦٨) وقال الجنرال Requin أنه يعرف بأن كان فى جيشه بعض الخلايا الشيوعية (٦٩) ، ولكن لا شك أن الاختراق الحاسم الذى حدث فى مايو سنة ١٩٤٠ فى جبهة الجيشين الثانى والتاسع على الميز انما كان بسبب ضعف معنويات الجنود وكانت الدعاية الشيوعية هى التى تحتمل مسئولية هذا (٧٠) ٠

---

٦٦ ــ كانت عمليات تخريب شحنات الاسلحة فى فنلندة اثناء الحرب الروسية الفنلندية تعتبر شيئا شاذا ٠

٦٧ ــ *Pierre Cot, Triumph cf Treason N.Y. 1944 P. 128*

٦٨ ــ *P. Mazé et R. Genebrier, Les Grades Jcurnee d'u Procés de Riom, Paris, 1945 P. 219*

٦٩ ــ *La Tragédie de l'Armée Française, Paris 1947 P. 100*

٧٠ ــ بيركوت نفس المرجع ص ١٩١ ٠

وفى ٢٥ من يونيو سنة ١٩٤٠ نشرت التيمس اللندنية حديثا كانت قد أجريه مع قائد عام مجموعة جيوش خط ماجينيو ، وقالت :

« لقد تحدث الرجل عن الدعاية القوية التى كانت تعمل فى مؤخرة الجنود ، دعاية شيوعية تحمل كل العلائم التى تـدل على أنها من وكالة نازية ، فلقد كان يطلب من زوجات الجنود فى القرى أن توقعن على خطابات بطلب السلام والتوقف عن الحرب ، وكانت عقوبة من ترفض التوقيع أن يرسل الى زوجها فى المواقع الدفاعية عدة خطابات تتحدث عن سلوكهـا السىء أثناء غيبته » ·

ومن الطبيعى أن رأى هذا القائد له قيمته فهو من القادة القلائل الذين صمدوا للضغط الالمانى حتى توقفت الحرب فى فرنسـا ، وتبعا لانه لم يرغم على التقهقر والجلاء عن مواقعه فى التحصينات فلم يكن من سـبب ليبحث عن عذر ينسب اليه هزيمته ·

* * *

على أن هنا مسألة لها أهميتها ···

فان التقارير المعاصرة التى يقصد بها الاسـتهلاك المحلى لا يمكن أن تتقبل على علاتها ، فلو أن هذه التقارير قد امتدحت روح الجنود المعنوية فى الوحدات فان هذا كان بسبب الرغبة فى الاحتفاظ بمعنويات الجبهة الداخلية ، هذا عدا أنه لم يكن من سبب لان يكون سوء المعنويات راجعا الى الدعاية الشيوعية ، فان اخطاء القيادة الفرنسـية ، والاخطاء فى توزيع القوات والمواد ، والنقص فى المدافع المضادة للدبابات ، والطائرات وآخرا وليس أخيرا ، فان الاتجاه الخاطىء بتدريب الجنود على حرب المواقع وعلى الدفاع بدلا من حرب الحركة والهجوم انما كان له أثره الكبير على الجنود ، وكذلك ليس من الصحيح أن نغفل وجود طابورخامس آخر من الفاشيست الفرنسيين ، ولو اضفنا العوامل السياسـية والاجتماعية الاخرى الغير المرتبطة مع الشيوعية لبدا كيف أنه من الصعب أن نقدر نصيب الشيوعية فى هزيمة الجيش الفرنسى ·

على أنه ربما كان من الصحيح أن روح الجنود المعنوية بدأت ترتفع بعد أن أمكن استيعاب الصدمات الاولى ، فقبل استسلام البلجيك بيومين أخطر فيجان مسيو بودوان Baudouin سكرتير مجلس الوزراء بأن معنويات

الجنود تتحسن يوما بعد يوم ، وكرر هذا البيان يوم ٨ من يونيو عندما بدأ وكان كل شيء قد ضاع ، وفى ٩ من يونيو أخبر مسيو دوترى Dutry وزير التسليح المجلس بأنه يشعر بسرور من الروح المعنوية العالية بين عمال المصانع (٧١) .

ولكن الواقع أن الروح المعنوية لم تكن عاليـة قط ولهذا فقد حققت الدعاية الشيوعية نصيبا من النجاح ، وقد نستطيع هنا أن نناقش عدد الرجال داخل وخارج الجيش الذين وجدت هذه الدعاية سبيلها اليهم .

ففى فجر الحرب كان فى مجلس النواب الفرنسى ٧٢ نائبا شيوعيا من جملة الاعضاء ٦١٨ ، ولو اعتبرنا هذه النسبة قاعدة عامة لتوزيع الناس لكان معنى هذا أن فى الجيش الفرنسى ٥٠٠ر٠٠٠ شيوعى أو اعطوا أصواتهم للشيوعيين ، ولكن مع هذا فان عددا كبيرا من كبار الشيوعيين قد تركوا صفوف الحزب خشية أن يوصفوا بالجبن والخيانة ، ولابد أن تكون نسبة هذا الخروج من الحزب أكبر فى صفوف الجيش ولكن بالرغم من ذلك فلابد أن يكون عدد الشيوعيين فى الجيش كبيرا جدا لان عـددا كبيرا من عمال المصانع والمرافق العامة الشـيوعيين أرسـلوا الى جبهة القتال لمنعهم من القيام بأعمال التخريب فى الجبهة الداخلية .

* * *

ولكن من الخطأ كل الخطأ أن تقاس امكانيات الشيوعيين على أساس ما حدث فى الحرب العالمية الثانية فالشيء الاول هو أنه يوجد حاليا فى الجمعية الوطنية ١٠٠ نائب من الشيوعيين ، والشيء الثانى هو أن الشيوعيين فى الحرب الماضية قد قصروا نشـاطهم على الدعاية ولم يقوموا بأعـمـال التخريب ولا بحرب العصابات الامر الذى لا يمكن القول بأنهم سيتبعون فى أى حرب قادمة نفس الاسلوب ، بل على العكس يمكن أن يقال بأنهم سيضعفون المجهود الوطنى ويعاونون العدو وقد قال مسـيو توريز فى فبراير سنة ١٩٤٩ على ما نشرته جريدة لومانتى فى عددى ٢٣ و ٢٥ من

---

٧١ - *Paul Baudouin, Neuf mois au Gouvernement, Avril – Décembre 1940, Paris, 1948 pp. 89, 134 & 137*

فبراير من أنه لو حدثت حرب قادمة ووصل الجيش الاحمر الى أرض فرنسا فسيقوم هو وحزبه بضمان التعاون الوثيق بين عمال فرنسا وبين القوة المحتلة ، ولا يوجد بيان أكثر صراحة من هذا ٠

ولهذا قد يكون من الخطأ الاطمئنان الى تقديرات الجنرالات الفرنسيين الذين بان نصيب الشيوعيين فى انهيار فرنسا كان قليل الاثر جدا ٠

لقد امدت الحرب العالمية الثانية للشيوعيين الفرنسيين بدرسين لهما قيمة كبيرة قبل مهاجمة الالمان للاتحاد السوفييتى ، على أن الاهم هو الدرس الذى تعلموه بالقيام بحرب العصابات ضد الالمان بعد الهجوم الالمانى على الروسيا ، والآن تتوافر لهم الدراية تماما فى عمليات التآمر ، هذه المعرفة التى كانوا يفتقرون اليها فيما قبل ٠

وفى هذا اللون من الحرب التى لا مسارح قتال لها لا يمكن الامل فى الحصول على نصر حاسم الا بالقدرة على أن نكبد العدو من ألوان التخريب بالقدر الذى يستطيع هو القيام به مهما كان لون وطبيعة السلاح الذى يستخدمه ٠٠٠٠ وكان هذا هو الدرس الذى يمكن الخروج به من حملة سنة ١٩٤٠ فى فرنسا ٠

٦

دراسة فى الحرب السياسية

لجنة الألمان الأحرار

كانت الدعاية التخريبية التى قام بها الشيوعيون فى فرنسا مؤثرة كما حاولنا أن نوضح فى صفحات سابقة ، وقد حاول السوفييت القيام بحرب سياسية ضد ألمانيا ولكن السوفييت لم يحققوا نجاحا فى أهدافهم .

وقد يبدو هذا مدهشا لاول وهلة ولكن التفسير بسيطا هينا فلم تكن معنويات الفرنسيين عالية منذ فجر الحرب على حين أن اصرار الالمان على القتال كان يقوى ويشتد كلما كسبوا نصرا ، وجاءت الفرصة لنجاح الحرب النفسية ضد الالمان عندما انقلب المد ، ولكن مع هذا فقد كانت هناك عوائق ثبت عدم امكان اجتيازها هى :

اغراء جوبلز ـ اسطورة هتلر ـ قبضة هملر ـ عدم وجود تعضيد من جماهير شيوعية فى داخل ألمانيا .

وكان السوفييت يلعبون بورقة السياسة التقليدية لبسمارك وسيخت عن الصداقة بين ألمانيا والروسيا ، ولكن هذا لم يكن يعنى شيئا بالنسبة للشعب الالمانى .

وكانت هناك مجموعة واحدة يمكن للدعاية السوفييتية أن تحقق فيها شيئا ما ، تلك هى حركة المقاومة الالمانية ، فلقد كان الروس يعرفون أناسا مثل الكونت ورنر فون شولبنرج السفير الالمانى لموسكو حتى سنة ١٩٤١ ، أناسا يعضدون التقارب بين الالمان والسوفييت ، ومن ثم كان من الضرورى أن توجه الدعاية السوفييتية الى هذه المجموعة من الصفوة .

ولهذا السبب وجهت الدعاية السوفييتية للمقاومة الالمانية والتى أوضح الروس اهتمامهم بها دائما (وهى مسألة لم يعنى بها الحلفاء الغربيون) على أن بعض أعضاء المقاومة كانوا يعملون للاوركسترا الحمراء (راجع فصل

٢ من هذا الكتاب) ، ولنفس السبب لم تحاول الدعاية الروسية اجتذاب العمال الكادحين بل الطبقات المالكة ، ولكن تكون الدعاية المؤثرة فقد تركت للاسرى الالمان الذين فى أيدى الروس ٠

ففى أكتوبر سنة ١٩٤١ عقد مؤتمر في المعسكر رقم ٥٨ وتقرر دعوة الشعب الالمانى للمعاونة في هزيمة هتلر العسكرية ، وبعد ثلاثة شهور بدأت أولى الاذاعات الالمانية التى يقوم بها أسرى الحرب الألمان(٧٢) ولكن الدعاية السوفييتية لم تستكمل طابعها الحقيقى الا بعد معركة ستالينجراد، ففى يوليو سنة ١٩٤٣ كون الضباط الالمان الاسرى الذين أمسك بهم الروس فى ستالينجراد مع بعض الشيوعيين الالمان المقيمين فى أرض الروسيا ، كونوا معا « اللجنة القومية لالمانيا الحرة » ، وقد تبع هذا أن تكونت فى سبتمبر من نفس السنة رابطة الضباط الالمان ، وبعد أن أمكن تحطيم مجموعة الجيوش الالمانية فى الجبهة الوسطى فى سنة ١٩٤٤ انضم ستة عشر جنرالا من الاسرى لدعوة للشعب الالمانى وللجنود الالمان للعمل لهزيمة المانيا النازية (٧٣) ٠

وقد استهدفت الدعوة للشعب الالمانى أن يكون الالمان حكومة يوكل اليها انقاذ ألمانيا من الفوضى والخراب ، وقد صحبت الدعوة بوعد بالديمقراطية مع كل صور الحرية الشخصية ، وقد صحبت الدعاية أيضا بطبع نشرة أسبوعية Freiss Deutschland كانت الطائرات تسقطها فوق ألمانيا ٠

* * *

ولكن مهما كان التأثير لهذه الدعاية فان كل شيء قد انتهى عندما اقترب الجيش الاحمر من حدود أرض الريخ ، فقد صمتت اذاعة ألمانيا الحرة ، وبدلا من الوعد بديمقراطية مزدهرة للشعب الالمانى وللجيش الألمانى اذا ما أسقط الجميع هتلر بدلا من هذا سمع الناس صوتا عنيفا يطالب باستخدام الشعب الالمانى كله كعبيد أرقاء للحلفاء المنتصرين (٧٤)٠

---

٧٢ - *Frederick L. Schuman, Soviet Politics at Home and Abroad, London 1948 pp. 458-9*

٧٣،٧٤ - *John W. Wheeler - Bennett, The Nemesis of Power, London 1953 p. 716-720*

على أنه ليس اقتراب الجيش الروسى من أرض ألمانيا هو السبب الوحيد للتحول فى الدعاية السوفييتية ، بل يوجد سبب آخر فبعد فشل محاولة اغتيال هتلر فى ٢٠ من يوليو سنة ١٩٤٤ • وبعد موجة الارهاب التى غطت ألمانيا كلها فقد الجميع الأمل فى أن تتغير الاوضاع ووضح أن القرار يجب أن يصدر فى برلين وأن القتال سيستمر حتى يستطيع الحلفاء القضاء على هتلر وحكومته •

وهكذا وصلت حملة الحرب السياسية الى نهايتها دون أن تحقق شيئا ، ولكن كانت الدعاية السوفييتية أكبر فى الواقع من الحرب السيكلوجية العادية ، فهى قد وضعت ليس فقط للمعاونة فى كسب الحرب بل وأيضا لكسب السلم تبعا للتفكير السوفييتى ، أى لمحاولة تحويل ألمانيا ما بعد الحرب الى الشيوعية •

ولم يقف نشاط اللجنة القومية عند حد الدعاية الصحفية فقد قامت بالدعاية فى الجبهة واستخدمت مكبرات الصوت وأجهزة الارسال ، وكانت الاذاعات تبدأ بالانباء العسكرية ثم بتعليق عن موقف الحرب وأخيرا يجىء حديث للجنود الالمان ليضعوا حدا لهذا الدفاع الذى لا أمل فيه وأن ينضموا الى جانب اللجنة القومية لتحرير ألمانيا من النازية ، وفى مناسبة ما فى فبراير سنة ١٩٤٤ جيىء بالجنرال فون سيد ليتز نفسه الى خط الجبهة ليتحدث الى الجنود الالمان فى الجانب الآخر من خط القتال ويطالبهم بالاستسلام اذا لا فائدة من القتال ، وقد كان الالمان محصورين فى منطقة تشركاسى Tcherkassy ، ولكن الوحدات المحاصرة لم تستسلم بل أنها شقت طريقها بخسائر فادحة واستطاعت النجاة من قبضة السوفييت •

وكذلك بعثت اللجنة القومية بعض الالمان الذين جندتهم لحركة ألمانيا الحرة ، وبعثت بهم فى ثياب ألمانية وبأوراق ألمانية زائفة لاعداد رياسة لها فى مدينة وراء الجبهة الالمانية والقيام بعملهم غير القانونى فيها ، ولكن مع هذا فان القليلين جدا من الالمان هم الذين قد استجابوا لهذه الدعاية ، الا أنه فى عام ١٩٤٤ كان الالمان ينسبون أى فشل لهم فى الجبهة الشرقية الى أعمال الخونة (٧٥) •

---

٧٥ – *Count Heinrich von Einsiedel, The Shadow of Stalingrad, London, 1953*

وقد استخدم الروس العروض بالسلم كذخيرة فى حربهم السياسية ضد الالمان ، ويقول الهرفريتز هيس أن السوفييت قد فاتحوا الالمان بالصلح قبل معركة موسكو بالرغم من أنه لا توجد وثائق تدل على هذا (٧٦) ، ويقول الهرهيس أيضا أن موظفا سابقا في وزارة الخارجية الألمانية قد ذكر الكثير عن هذه المفاوضات التى كان يتولاها فى استوكهولم (٧٧) ٠

ومن الممكن أن يكون الروس قد قاموا بهذه المباحثات كجزء من حربهم السياسية وانهم كانوا يستهدفون ايجاد التفكك فى صفوف القيادة النازية، ومن الممكن أيضا أنه كان لها غرض آخر ، ففى ذلك الوقت كانت بريطانيا والولايات المتحدة ترفضانمطلبين للروس أحدهما يتعلق بالمسألة البولندية والثانى خاصا بالتبكير فى فتح الجبهة الثانية ، وربما كان تهديد ستالين باتمام صلح منفرد قد قصد به جعل بريطانيا والولايات المتحدة تتقبلان مطالبه ٠

وأخيرا فقد حاول الجيش الاحمر أيضا أن يستخدم فى دعايته الوعود للجنود الفارين بالخمر ـ والنساء ـ والاغانى ، ولما كانت القاعدة أن هذه الوعود التى ترسل على أجنحة الاثير تتبع بتدمير عنيف فان الجنود الالمان كانوا يفضلون الامن دون راحة فى مواقعهم على هذه الوعود البراقة فى أسر العدو ، ولم يعرف قط أن عددا كبيرا من الالمان قد استجابوا لهذه الوعود ٠

على أنه من الضرورى أن نقول هنا بأننا لا يجوز أن نطمئن لفشل الحرب السياسية السوفييتية فى الحرب العالمية الثانية ذلك لان الشعب الالمانى كان فى الواقع محصنا ضد الخضوع والاستسلام ، لقد عمد السوفييت الى الاتصال بحركة مقاومة النازية فى ألمانيا ، وهذا الاتصال لا يجوز أن يخفى حقيقة محاولة دفع حدود أرض السوفييت الى الرين ٠

ولو كان هتلر قد مات يوم ٢٠ من يوليو سنة ١٩٤٤ وتولت حركة المقاومة الامر فى ألمانيا لربما كان السوفييت قد حققوا هدفهم ٠

---

٧٦ - *Fritz Hesse, Hitler and the English, London, 1954*

٧٧ - *Peter Kleist, Zwischen Hitler & Stalin, Bonn 1950*

٧

خطـــة للتخريب

بوساطة المشايعين الذين يعملون وراء جبهة القتال

يبدو أن خطط السوفييت للتخريب تستخدم ثلاثة أنواع من العمليات هى :

(أ) تشكيل عمال المصانع فى الغرب فى جمــاعات من المشايعين × المخربين Partisan Sabotage Groups

(ب) تشكيل خلايا للتخريب فى الغرب بوساطة متسربين من الشرق.

(ج) الاعداد لحرب عصابات فى الغرب بوساطة هؤلاء المشايعين .

وسنعالج الموضوع فى الترتيب السابق وفى الطابع الذى تدل عليه :

(أ) جماعات التخريب فى المصانع :

تم أول اعــداد لاعمــال التخريب فى الســنوات التى تلت الحرب فى الولايات المتحدة سنة ١٩٤٧ على ما تقول جريدة نيويورك هيرالد تريبيون:

« تمت عملية مسح كاملة لتحديد كل مركز صناعى رئيسى فىالولايات المتحدة بوساطة الحزب الشيوعى الامريكى سنة ١٩٤٧ ، وقد راجع العملية الحزب الشــيوعى فى كل من المــدن الــكبرى ســنــة ١٩٤٨ ويعرف مكتب التحقيقات الفدرالى FBI هذا ، وقد قامت بعمليات المسح هذه خلايا

× عرف معجم ويبستر طبعة سنة ١٩٥٦ كلمة *Partisan* بانها فرد الجماعة من غير النظاميين والتى يقوم افرادها بحرب العصابات فى مؤخرة العدو ، على ان مظهر فى قاموس النهضة يعرفها على اساس ان الكلمــة تعنى المشــايع والمنــاصر ، وهــذا التعريف اقرب للمقصود هنا على اســاس ان تعريف ويبستر يطلق الكلمة اطلاقا دون تحديد ولكن تعريف مظهر يقيدها فى ان افرادا يناصرون ويشايعون أمة اخرى ضد وطنهم « المترجم » .

التخريب في الحزب الشيوعي ، وكنتيجة لهذه العملية فان الشيوعيين في أمريكا يعرفون كل المنشئات الاستراتيجية التي تقرر تدميرها أو الاستيلاء عليها حال حدوث قتال بين أمريكا والروسيا (٧٨) » ٠

ويبدو أن استراليا تلقت اهتماما مماثلا فقد رأينا في الفصل الاول مسز بتروفا في شهادتها أمام اللجنة الملكية لبحث الجاسوسية الروسية في ملبورن تذكر أن مستر كيسليتسن من السفارة السوفييتية هو ضابط MVD وهو المسئول عن أن ينقل لاستراليا العملاء الذين ينظمون الطابور الخامس ، وقد قالت مسز بتروفا أن أفراد الطابور الخامس هؤلاء يجب أن يكونوا مستعدين لتنفيذ أي أمر تصدره موسكو سواء أكان التخريب أم غير هذا (٧٩) ٠

وفي قرابة نفس الوقت كشف خوخلوف Khokhlov لسلطات الولايات المتحدة في ألمانيا الغربية أن السلطات السوفييتية قامت سنة ١٩٥٢ في كارلشورست Karlshorst باعداد جماعة تخريب من عمال المصانع في الجزء الشمالي من جمهورية ألمانيا الفدرالية ، ويظن بأن واضع خطط التخريب هو الميجر (الرائد) مشتشرياكوف Mshcheryakov الذي كان في أوقات مختلفة رئيسا أو نائبا لرئيس في قاعدة كارلشورست الامامية للقسم التاسع من MVD الخاص بأعمال الارهاب ، وانه آخر مرة قابل فيها مشتشرياكوف كانت في سنة ١٩٥٣ ولم تكن موسكو قد وافقت بعد على خططه ولكنه أي « مشتشرياكوف » كان واثقا من أنها ستوافق عليها ٠

وقد عرضت هذه الشهادة التي أدلى بها خوخلوف على الصحفيين في المؤتمر الصحفي الذي عقد يوم ٢٢ من أبريل سنة ١٩٥٤ بادارة المندوب السامي الامريكي في بون ولا تتوافر لنا هذه الخطة كاملة للعرض هنا ، ولكن يتوافر الكثير من المعلومات عن خطط أخرى مماثلة يمكن أن تعطي مجملا للفكرة العامة :

---

٧٨ — *Vital U.S Plants Marked for Destruction in Event U.S-Soviet Showdown, 30/11/50 Herald Triebune* اعيد طبعه في كتاب *The Threat of Red Sabotage* اصدار الهيرالدتريبيون سنة ١٩٥١

٧٩ — *Royal Commission on Espionage, Offecial Transcript of Proceedings, taken st Melbourne 7th Jnly 1954 p. 163*

ففى أثناء الحرب الاخيرة أصدر الشيوعيون الفرنسـيون فى نشرات المقاومة السرية تعليمات عن كيف يحدث التخريب فى الانتاج ، لقد أخبروا قراءهم بالوسائل العادية لابطاء الانتاج ، ولـكن سـلاحهم الرئيسى ••• لا للاضرار بالالمان فحسب ••• بل وأيضـا لدفع قضيتهم للامام •• كان الاضراب العام ، وقد نشرت جريدة لومانيتى L'Humanité فى عدد ١٥ من أبريل سنة ١٩٤٣ التعليمات العامة للحزب الشيوعى ، وقد جاء فيها :

« ••• دمروا الآلات ، احرقوا المصـانع ومستودعات العـدو ، عطـلوا القاطرات وعربات السكك الحديدية ، اربكوا الحياة الاقتصادية بالاضراب العام ، ولكن أسرعوا أولا فى قطع خطوط المواصلات » •

وفى أول من أغسطس عـادت لومانيتي واشـارت الى عـدم انتظـار التعليمات من المنظمات المركزية فكل منظمة يجب أن تفعل وحـدها غاية ما تستطيع من التخريب ساعة نزول الحلفاء بأرض فرنسا **على أن تشـل الحركة الاقتصادية بالاضراب العام •**

ولكن لم تترك التعليمات للاضراب العام مبهمـة فلقد جـاء فى عـدد النشرة السرية L'Étinelle لشهر يناير سنة ١٩٤٤ **بأنه كخطوة أولى للاضراب العام يجب استيلاء العمال على المصانع لان البقاء فى موقف سلبى معناه توزيع قواتنا ويسمح للعدو بتصفية الحركة والقضاء عليها •**

ولحماية الاضراب ـ وهنا المهم ـ يجب التاهب ليصد بالقوة أى تدخل يمكن أن يقوم به العدو ، ولاجراء هذا يشكل فى كل مصنع قوة ميليشيا من العمال الموالين تتعـاون مع المواطنين المسلحين ، ومع جيش التحرير ، ولا يكفى اضراب عمال السكك الحديد ، بل يجب احتلال المحطات وتقاطع السكك الحديدية ، ويجب ايقاف كل قوافل العدو التى تحمـل الاسلحـة والذخيرة ، ويجب أن تشكل فى كل مصنع لجنة مختـارة لتنظيم الاضراب.

والاهمية التى لهذه التعليمات أنها توضح كيف أن الاضراب تحول من حركة مقاومة سلبية الى تخريب نشط ، وقد بات المصنع مركزا للمقاومة المسلحة ، ولكن النقطـة التى تسترعى الانتبـاه أنهم لم يبذلوا جهـدا للتنسيق •

وقد عولج هذا النقص الى حـد ما فى البروتوكول « م » الذى نشرته كاملا صحف ألمانيا الغربية فى اعدادها ليوم ١٥ من ينـاير سنـة ١٩٤٨

واعتبر خطة أعدها الكومنفورم لتبنى الاضرابات والاضطرابات فى المانيا الغربية مع الاستيلاء على المراكز الرئيسية فى الانتاج •

وقد زعم الحزب الاشتراكي المتحد فى ألمانيا الشرقية SUP (الحزب الشيوعى فى المانيا الشرقية) أن البروتوكول مزور ولكن الواقع أنه كانت هناك تطورات فى ألمانيا الشرقيـة تدل دلالة واضحـة على أن البروتوكول صحيح سيما وانه جاء من مصادر شيوعية مسئولة ، وجاءت معه الى أيدى الحلفاء وثائق تؤكد صحة مابه من معلومات •

وقد يوضح لنا هذا أن الخطة الخاصة بكل دولة قد اعدت بعد عمليات مسح مضنية لكل المراكز الرئيسية للصناعة ، ووضعت الخطـة بوسـاطة الهيئات الشيوعية المحلية ثم أرسلت الى موسكو للموافقة عليها ، ويكون الاستعداد للتخريب مستقبلا فىأيدى رجال M.V.D ، ومع أن البروتوكول « م » يذكر الكومينفورم على أنه هو القوة المنظمة الا أن التنفيذ يتم بوساطة العملاء الاجانب وجماعات من عمـال المصـانع المنحرفين ، وبذلك يكونون جماعات « عصف » خاصـة ضمن شبكة التخريب الواسعـة التى ينظمهـا السوفييت •

* * *

(ب) خلايا التخريب :

ولقد ذكرت من قبل القسم التاسع للارهاب والتآمر ، وكان دور هذا القسم تنفيذ الواجبات الخاصة ، وقد وضحتوظيفة هذا القسم من النشرات الخاصة بالتدريب فيه ، وتبعا لما جاء فى المعلومات التى أدلى بها خوخلوف Khokhlov (يتـم التـدريب فى قـاعدة العمليـات فى ركن من متروسترويفسكايا Metrostrovskaya (UI) وفى Turchaninski Pere Ulok تورشنينسكى بير أولوك فى موسكو تحت اشراف الكولونيل أركادى قوتييف مع مجموعة من مدربى الاسلحة الصغيرة والمصارعة اليابانية والشفرة واللاسلكى وقيادة السيارات واعمال الفحص والمعاينة والتصوير، وتستحضر الاسلحة الخاصة والمفرقعـات من معمـل على مقربة من كوشينو Kuchino لخارج موسكو ، ويقوم معمل آخر باعـداد السموم والادوية للاستخدام فى الواجبات الخاصة •

ومن غير المعروف ما اذا كان هـذا التدريب على فنون التخريب وغـير هذا من أعمال العنف قاصرا على المواطنين السوفييت أم أن العملاء الاجانب يتلقون أيضا هذا التدريب ... ، والالمانيان اللذان صحبا الكبتن (النقيب) خوخلوف لارتكاب جريمة اغتيال فيفرانكفورت دربا على المصارعة اليابانية واستعمال الطبنجـة وقيـادة السيـارات فى أماكن أخـرى فى ضـواحى موسكو (٨٠) وعلى أية حال فان شيئين اثنين يعتبران مؤكدين :

١ ـ تبعا لاوراق اقوال خوخلوف فان الادارة الثانية الرئيسية التى يتبعها القسم التاسع لها عملاء فىالغرب للقيام بأى عمليات كان منالضرورى على المكتب الاول أن يدرب العملاء ويرسلهم للقيـام بهـا ، ومن الضرورى ملاحظة أن الادارة التى سبقت القسم التاسـع قد تولت بخاصـة أعمـال التخريب والعنف .

٢ ـ تبعا لما جاء فى أقوال مسز بتروفا Mrs Petrova فانه كان على عملاء MVD الذين يجاء بهم من الخارج أن ينظموا الطابور الخامس الذى يقوم باعمال التخريب اذا أمر بهذا من موسكو ، والشىء الطبيعى أن أفراد الطابور الخامس هم من الوطنيين أو من المقيمين فى البـلاد التى تتم فيها أعمال التخريب .

ولما كانت خلايا التخريب هذه (مثل جماعات تخريب المصنع) تجىء تحت امرة MVD فمن الضرورى ملاحظة أنه بسبب هـذا لا يوجـد أى تزاوج فى الواجبات ، ومن الممكن أن يوكل للخلايا التى فى المصانع القيام باعمال التخريب بها مالم يمكن اعداد جماعات تخريب خاصة للقيـام بهذه الواجبات .

وقد كشف الستار عن طبيعـة هذه الواجبـات الخاصـة فى محاكمة فريتوف انبوم Fritiof Enbom فى السويد سنة ١٩٥٢ ، كان انبـوم موظفا سابقا فى السكك الحديدية السويدية وقد اتهم بالجاسوسية والخيانة لخيانات ارتكبها بين سنة ١٩٤١ و ١٩٥١ ، ففى سنة ١٩٤١ جنده عميل

---

٨٠ ـ يصف *Cookridge* كوكريدج فى كتابه *Soviet Spy Net* طبع لندن سنة ١٩٥٥ تفصيليا تدريب عملاء *MVD* ولكن ليس من الضرورى أن يذهب كل العملاء الى هذه المدارس ومع أن خوخلوف تلقى تدريبه بها فان بتروف حصل على خبرة كافية أثناء عمله الاول فى بوليس الامن .

شيوعى لجمع المعلومات عن حركة النقل الالمانية العسكرية عبر أرض السويد ، كما طلب منه أن يكتب بعض تقارير عن ادوات ومهمات ومعنويات الجنود الالمان •

وقد مد الرجل نشاطه بعد وقت ليكتب بعض تقارير عن الشئون العسكرية السويدية ، وعن دفاعات السويد على حدود فنلندة ، وقد أطلق على الرجل اسم كودى كما أعطى له جهاز ارسال لاسلكى واعطيت له بعض النقود ، وكان الرجل الذى يتصل به على ما جاء فى اعترافاته هو الملحق العسكرى فى السفارة السوفييتية ، وقد طلب هذا الملحق العسكرى من أبنوم أن يبحث فى حذر عن عامل لاسلكى وان يقوم باتصالات تربطه بصداقة بعض موظفى وزارات الحرب والبحرية والطيران •

وقد اعترف انبوم بأنه قد أذنب فى تدبير عملية تخريب فى الدفاعات الشمالية للسويد وفى تيسيره لبعض افراد الطابور الخامس فى الاستيلاء على بعض مواقع الدفاع السويدية ، وقد قال انبوم للقاضى :

« ان الاضطرابات التى قامت فى تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٤٨ والحرب التى قامت فى كوريا سنة ١٩٥٠ قد دفعتاه الى الاعتقاد بأنه لامعدى من الحرب ، وانه لهذا قد قدر بأنه سيكون قد ارتكب جرما اذا لم يضع تخطيطا لعملية نشطة يقوم بها أفراد الطابور الخامس ضد القوات المسلحة السويدية » وقال أنه هو سويدى شيوعى يعمل مراسلا للجريدة السويدية الشيوعية Norrs Kensflammann قد وضعا تخطيطا بالاستيلاء على مستودع الذخائر والمهمات فى بودن بعربتى سكة حديد محملتين بشيوعيين مسلحين، وقد أوضح أن الهدف وراء هذا هو الحصول على أسلحة وذخيرة ومفرقعات للقيام بأعمال التخريب •

وقال انبوم أنه حاول أيضا افساد التعبئة العامة فى السويد ، كما أضاف بان الشيوعيين سيستولون على محطات مكبرات الصوت على افاريز المحطات الكبرى وبذلك يمكن أن يوجهوا القطارات المليئة بالجنود والذخائر الى غير الاماكن المخصصة لها وبذلك تضطرب عملية التعبئة •

وقد انتقلت جلسة المحكمة بعد ذلك الى جلسة سرية ولا يعرف ماذا أضاف الرجل الى اعترافاته وقد حكم عليه بالسجن مدى الحياة •

وقد جاء فى منطوق الحكم أنه قد وضع تخطيطا لتجنيد مايتى شيوعى محلى كطابور خامس للاستيلاء على تحصينات الحدود لو غزا الجيش الروسى أرض السويد ، كما أن عددا آخر من الشيوعيين يختبئون بين أغصان الاشجار على طريق تقدم الغزاة للتبليغ عن تحركات القوات الدفاعية السويدية ، وتنقل هذه المعلومات الى القيادة الروسية بجهاز ارسال أعطته السفارة السوفييتية لانبوم ٠

وفى أثناء المحاكمة زار السفير السوفييتى وزير الخارجية السويدى ورفض قبول الاحتجاج السويدى على انغماس السفارة السوفييتية فى حادث الجاسوسية وقال عن هذا كله أنه محض اختلاق واختراع مفترى ٠

ولم يستأنف أنبوم الحكم ٠

* * *

والذى يلاحظ أنه على كثرة المحاكمات التى دارت فى الماضى القريب عن قضايا جاسوسية فان أقل القليل هو الذى حدث من حوادث تخريب ، وسبب هذا فى بساطة أن عمليات الجاسوسية عمليات دائمة مستمرة على حين أن حوادث التخريب لا تحدث الا فى مطلع حرب جديدة ، ومع هذا فان قضية أنبوم قد كشفت عن طابع واضح **هو أن خلايا التخريب يمكن ان تقوم بواجب جماعات المناضلين بان تبث الالغام وتنسف الكبارى وتخرج القطارات عن الخطوط الحديدية ، وتستولى أو تنسف مستودعات الزخيرة ، وتخرب السفن ، وتربك التعبئة ، وتقوم باعمال جمع المعلومات ، وهذه كلها أعمال قد قام بها المناضلون الروس بمهارة كبيرة فى الحرب الماضية ٠**

ومن الممكن القول بأن خلايا التخريب هذه تعتبر فى تقدير السوفييت بديلا هاما لجماعات المناضلين فى الدول الغربية التى لا تستطيع الاحزاب الشيوعية فيها أن تعد حربا بالمواطنين ، والواقع أنه لا يمكن اعداد حرب عصابات الا فى البلاد التى يكون الشيوعيون فيها من الكثرة الى الحد الذى يكفى للامداد بالقوى العددية اللازمة ، ولما كان الشيوعيون كغيرهم من المواطنين فى الدول الغربية يدعون الى الخدمة العاملة عند اعلان الحرب كان من الضرورى الاعتماد على الافراد الذين أصغر أو أكبر من السن الصالحة للخدمة فى القوات المسلحة ، **ولهذا فان من الصعب أن تفقد موسكو الوقت**

لاعداد حرب عصابات فى بلاد مثل المانيا الغربيـة حيث لا يمكن ان يكون الحزب الشيوعى أكثر من ٤٪ من جملة السكان ، وبدلا من هذا فان موسكو ستحاول أن تحصل على المعونة من جماعات التخريب ٠

ولما كانت الحدود المشتركة بين المانيا الشرقية والغربية طويلة والسكان على كلا الجانبين يتحدثان نفس اللغة فمن الصـعب اكتشاف المتسـللين من شرق ألمانيا الى غربها ، ومن غيرالممكن تقدير كم من هؤلاء يمكن أن يتسربوا فى صفوف اللاجئين الذين يجيئون كل شهر الى ألمانيا الغربيـة بحثـا عن الامن والسلامة ٠

وفى الحرب الماضية بعثت القوات المسلحة بافرادهـا العسـكريين للقيام باعمال خاصة وراء خطوط العدو ، فـكان للانجليز الجمـاعات التى وسمت بالحروف L. R. D. G , S. B. S , S. A. S ، وكان للالمان ألاى براندنبرج وللروس جماعاتهم للاستكشاف ، ولكن تبعا للنظرية السوفيتية للحرب فان مثل هذه الواجبات يمكن أن توكل الى المدنيين من بلاد الحلفاء الذين يقيمون فى مناطق العمليات والذين يمكن استخدامهم للعمل ضـد أوطانهم ٠

* * *

(ج) حرب المواطنين :

ان دراسة حرب المواطنين ــ فى الصورة التى استخدمهـا الروس فى الحرب الماضية ــ لهمة لسببين :

١ ــ سيواجه الحلفاء هذا اللون من الحرب فى بلاد الكتلة الشيوعية ٠

٢ ــ سيواجه الحلفاء هذا اللون من الحرب فى بلاد الغرب التىيستطيع فيها الشيوعيون الاعداد والتنظيم لها ٠

ومن ثم فان استراتيجية وتكتيكات دول الغرب للقتال ضد المواطنين يجب أن تقوم على أساس التنظيم السوفييتى وليس هذا بسبب أن حركات العصابات الروسية فى الحرب الماضية قد احتملت تجارب المعركة احتمالا طيبا فحسب بل بسبب أن قواعد التعاون بين الجيش الاحمر والمناضلين الحمر قد تطورت الى درجة الكمال ٠

وليس واجبنا هنا أن نناقش استراتيجية وتكتيكات المناضلين الروس فقد نوقش هذا فى كتاب « حرب العصابات الشيوعية » Communist Guerilla Warfare ، ولكننا سنحاول بدلا من هذا أن نتدارس طابع حرب المناضلين التى يحتمل أن نواجهها عند قيام حرب أخرى ٠

ففى سنة ١٩٤٥ نشر ب٠ك٠ اجناتوف ، قائد وحدة اجناتوف المناصلين Commander of the Ignatov Brothers Partisan Unit كتابه « Partisan of the Kuban » وصدر فى لندن ونيويورك وملبورن وسيدنى فى وقت واحد (٨١) ، وكان كتابه واحدا من الكتب العديدة التى كتبها فى ذلك الوقت بعض قادة المناضلين السوفييت، وكتاب اجناتوف هو عرض لما جاء فى سجل يومياته التى كتبها أثناء عملياته ، وقد أعيد طبع كتابه بعد مراجعته وتنقيحه أكثر من مرة وصدرت منه ترجمة ألمانية فى ألمانيا الشرقية سنة ١٩٥٣ بعنوان « Partisanen » ونشرته شركة Verlag Volk und Welt ببرلين مترجما عن الروسية الى الالمانية بقلم Manford von Busch **ويقال بأن الكتاب يستخدم ككتابا أساسيا للتدريب فى منظمات الشباب الالمانية ٠٠٠ ، ومن هنا كانت له أهميته :**

وقد منح أفراد وحدة اجناتوف أوسمة البطولة ، ولكن ليس هذا كل شيء ، فقد كان لهذه الوحدة المقاتلة طابعا مميزا آخر هو أن كل أفرادها كانوا من المثقفين الذين نالوا حظا من الثقافة ٠٠ وكان جلهم من المهندسين والعمال المهرة ٠٠ وكانت من الناحية الاقتصادية تتوافر لها كفاية ذاتية٠

وقد عرض اجناتوف فى كتابه « Bartisanen » لنشاط وحدته منذ تشكيلها فى نهاية سنة ١٩٤١ الى أن اتمت رسالتها فى بداية سنة ١٩٤٣، والكتاب لا يعنى الا القليل بالاستراتيجية العليا والتكتيك ٠٠٠ ولكنه يقدم وصفا ضافيا لحياة قوات المناضلين والعمليات التى قامت بها وحدته ٠

* * *

فقبل الاحتلال الالمانى بوقت طويل تلقى سكرتير الحزب الشيوعي فى مدينة كوبان تعليمات من لجنة المنطقة بأن تتخذ الاجراءات اللازمة لتكوين

---

٨١ ـ ترجمة عن الروسية *J. Finsberg* ونشرته شركة *Hutchinson & Co.*

حرلة للمقاومة ووحدة من المناضلين للقيام بمهمات خاصة ، ثم قام سكرتير الحزب بتعيين اجناتوف Ignatov رئيسا للوحدة كما عين قوميسار الوحدة ونائب الرئيس وقدمت اليه قائمة باسماء المؤيدين للحزب كما يبدو فى المستقبل لاعتمادها ٠

وكان أعضاء الحزب ثمانية وخمسين عضوا فى مبدأ الامر ــ واحد وخمسين رجلا وسبع من النساء ٠ ومن بين هؤلاء كان هناك تسعة من الاعضاء يتحدثون الالمانية بطلاقة ٠ وكان كثير من المناضلين من المهندسين والفنيين ، وآخرون من جرحى الجيش الاحمر ومن المسرحين من عمال الحفر واقامة الطرق والجسور وغيرها ٠ ثم جنود الطليعة ورجال اللاسلكى ، بل وكذلك كان كثير منهم يتقن أكثر من مهنة واحدة فيستطيعون الاشتغال بالحدادة وتصليح الاحذية واعمال البناء والميكانيكا والنجارة ٠

حتى اذا تكونت الوحدة فى أول الامر قرر الحزب أنها لا تعمل فى المدينة اذا وقعت فى أيدى الالمان ٠ وبهذه الطريقة لا تتعرض الوحدة مع سكان المدينة لانتقام الالمان وكذلك تستطيع منظمة الحزب أن تحتفظ بكيانها ٠ وكان على الوحدة ــ طبقا للاحتلال الالمانى المنتظر ــ أن تنتقل الى التلال المنخفضة فى جبال القوقاز ثم تقوم بمهمتها على طريق Krasnodor– Novorossisk ٠

ولكن كان لايزال أمام الالمان ثمانية شهور حتى يحتلوا اسنودار ٠ وانتفعت الوحدة من هذه الفترة فى صالحها بأن تلقت تدريبات على استخدام الاسلحة الصغيرة بمختلف أنواعها كلما استطاعت الى ذلك سبيلا، ثم تدريبات على الاشتباك بالايدى والصراع على الطريقة اليابانيه . والاستطلاع لمسافات طويلة وطريقة استعمال الاشارات فى الغابات وأصبح كل عضو فى الفرقة خبيرا بالاسعافات الاولية ٠ وخلال تلك الفترة اختفى هؤلاء عن سكان المدينة وكان المفهوم أنهم سوف يستدعون للالتحاق بالجيش الاحمر ٠

لذلك قام قادة الوحدة بتدريب أنفسهم على تأدية واجباتهم فى المستقبل ٠ فدرسوا الانظمة ــ العسكرية بوجه عام وحروب العصابات السابقة بنوع خاص ٠ كذلك تمكنوا من الحصول ــ بتأييد تام من الحزب ــ على الطعام والملابس والمعدات والسلاح والذخيرة والمتفجرات ٠ حتى اذا اقترب الالمان من المدينة كانت الامدادات قد وضعت على سيارات النقل

التى شقت طريقها الى عدة مستودعات تحت الارض بالقرب من معسكراتهم المستقبلة ، وكان مع كل فرد منهم بطاقة تثبت شخصيته كقائد أو رئيس مهندسين أو مدير تجارى أعضاء وحدة للبحث الجيولوجي تقوم بابحاث تمهيدية لبناء مصنع للخشب بين الجبال • وبعد أن حلف الاعضاء اليمين اتخذوا سبيلهم نحو المكان المعين ـ « **النقطة رقم ٥٢١** » •

وكان موقع المعسكر فى مكان خفى أمين يتكون معه مرعى واسع الارجاء يمكن الوصول اليه بطرق وعرة ضيقة • وعلى أحد جانبيه يقوم سفح جبال عال يخفيه عن الانظار وعلى الجانب الاخر هاوية سحيقة • وفى الوادى نصب أفراد الوحدة خيامهم مع تحديد أمكنة للمطبخ وقاعة الطعام والمستشفى • بعد ذلك انقسمت الوحدة الى أربعة أقسام • يحتوى القسم الاول على أفراد كمين يحملون البنادق الرشاشة والمدافع ولو أن السلاح لم يكن قد وصل الى أيديهم بعد ، وكان افراد القسم الثانى هم القناصة وواضعوا الالغام ورجال الاشارة والطليعة ، والثالث هو قسم البنادق ، ويحتوى الرابع على هيئة الادارة والمستشفى • وكانت هناك فرقة خاصة بالاستطلاع على مسافات طويلة وتضم أشجع الافراد •

وكان النظام عسكريا طبقا لانظمة الجيش • وفى كل ليلة يلقى القوميسير محاضرات سياسية •

وعهد مقر القيادة الى اجناتوف بمهمته الاولى وهى ايقاف تقدم الالمان نحو باكو وتوابسى Tuapse بوضع العراقيل فى الممرات الجبلية فى الوقت المناسب ، واعدادا لهذه المهمة قام باستطلاع اجزاء المنطقة وبتعيين رجال المخابرات معهم عدد من الصبيه من سكان مختلف القرى • وتم الاتصال بأقرب فرقة من الجيش الاحمر على الجانب الآخرمن خطوط الالمان• كذلك عهد الجيش الى افراد المجموعة بمهمة أخرى : وهى ابلاغه عن تحركات قوات العدو وعن مواقع مدفعيته الثقيلة ثم احضار أحد الاسرى منهم • وسرعان ما تمكن أحدهم من أسر أحد ضباط الصف من الالمان ولم يكن يرتدى سرواله • وذلك طبقا للنص الانجليزى المختصر للكتاب (صحيفة ٣٤) بينما جاء فى الترجمة الالمانية أنه كان بكامل ملابسه (صفحة ١٣٥) •

وبعد أن اشتبك هؤلاء الافراد مع الالمان بهجماتهم المباغتة مرتين رأت الوحدة أن تتحرك بمعسكرها اذ كان قريبا جدا من خط تقدم الالمان• وأقيم المعسكر الجديد فى ممر ضيق بعيد بين الجبال من الصعب الوصول اليه •

ثم نقل اليه اثنان من المخازن السرية • وبالاضافة الى ذلك كان لدى الوحدة ثلاثة معسكرات صغيرة ـ أحدهما معسكر صيفى وآخر فى مبانى المعمل السابق لنشر الخشب والثالث فى فناء أحد المنازل الكبيرة فى احدى المزارع• وكانت دراسة الاسلحة جزءا من الروتين اليومى • كما صدرت اليهم التعليمات بمكافحة الدعاية الالمانية فى القرى •

توقف تقدم الالمان فى القوقاذ فترة معينة فتلقت الوحدة أوامر من الجيش الاحمر على الجانب الآخر من الجبهة الالمانية لزيادة نشاطها فى القيام بالاستطلاع وبالاخطار عن كل حركة لقوات العدو والوسائل التى يتخذها العدو لحراسة الجسور والمعسكرات ومحطات السكة الحديد ثم بيانات توضح مواقع المدفعية • وعلى الافراد أن يوجهوا عناية خاصة اذا كان الضباط الألمان يحملون كلمات للغاز Respirators •

وسرعان ما أرسل أفراد الفرقة عدة تفصيلات بأيدى حاملى الرسائل : وهذه التفصيلات عن التشكيلات الجديدة التى وصلت المنطقة • وعدد الدبابات وسيارات النقل والبنادق الرشاشة واحجام الطلقات ومواقع الخنادق والمدفعية والمدافع المضادة للدبابات ثم مراكز المراقبة ومخازن الذخيرة والطرق الحديدية • كما كانوا يقبضون على الاسرى ويستجوبونهم• وأخيرا تلقت الوحدة من مقر رئاستها الاوامر بالقيام بوضع الالغام فوق الجسور ، فكان الافراد يخصصون سبعين فى المائة من أوقاتهم فى اعداد العمليات وثلاثين فى المائة للقيام بتنفيذها •

وكان مهندسو الوحدة يجهزون الالغام بانفسهم ويحكمون وضعها ، ويوجهون عناية خاصة لتدريب عمال الحفر واقامة الطرق والجسور •وكانت وحدة اجناتوف فى هذا الشأن فريدة فى نوعها : اذ كان لها معهد خاص بها لتدريب أفرادها وغيرهم على نظرية وضع الالغام وممارستها • وكان البرنامج يحتوى على ستين محاضرة تتلوها ارشادات عملية على أرض التدريب ثم الاشتراك فعلا فى الجماعات التى ترسل لهذا الغرض ولا يسمح بهذا الاشتراك الا للطلبة الذين يجتازون الامتحان فى المواد النظرية •

وقد توافر فى أرض التدريب كل شىء يحتاجه عمال الحفر واقامة الطرق والجسور فى مهماتهم المستقبلة خطوط السكة الحديد والطرق المرتفعة والانهار التى تجرى فى الصخور • ثم الصخور العالية البارزة وجسر كبير فوق أحد الانهار • وكانت التمرينات تجرى أثناء الليل • وكان الطلبة

ينقسمون الى مجموعات : احداها لوضع الالغام فى السكة الحديد واخرى تعمل فى الطريق المرتفع والثالثة فى مفترق الطرق والرابعة لوضع صناديق المتفجرات بين دعائم الجسر المصنوعة من الصلب • ثم الخامسة عليها أن تقوم بسد الطريق ووضع العقبات فى النهر لمنع السيارات والدبابات من عبور مجراه هناك • وفى اليوم التالى كانت هناك مجموعات أخرى لبث الالغام ثم تفجيرها • وكان الطلبة الناجحون يتسلمون دبلومات النجاح •

وكان اجناتوف يطلق على وحدته وحدة « الحفر ووضع الالغام » • وعلى هذا النحو حققوا نجاحهم ، وبخاصة خلال المرحلة الاخيرة من عملياتهم ، وطبقا لتعليمات الجيش الاحمر حاولوا الاخلال بنظام النقل الذى وضعه الالمان عند بدأ تقهقرهم من جبال القوقاز وكبدوهم خسائر فادحة •

ويقال أن الجنرال أيزنهاور قد ذكر أن افراد المقاومة الفرنسية كانوا يساوون خمسة عشر من فرق الحلفاء ، بينما كانت وجهة نظر رجال اجناتوف أن كل رجلين منهم يعادلان فرقة كاملة من الجنود الالمان ، ومهما يكن من أمر فان مهمة المناضلين فضلا عن جمع المعلومات كانت هى : « التخريب » • ولابد للمخربين الناجحين من تلقى تدريبات على أسس سليمة • وفى اعتقادنا أن هذا هو مغزى كتاب اجناتوف •

ان مجال التخريب متسع أمام المخربين من المناضلين لا شك فى ذلك • والاهداف التالية تنص عليها تعليمات الخدمة فى الميدان التى أصدرها الجيش الاحمر سنة ١٩٤٤ :

الواجبات الاساسية لوحدات المناضلين هى :

⊙ تخريب مواقع العدو بما فيها من رجال وعتاد ومنشآت ، والقضاء على الجنود والضباط اثناء تحركاتهم • وكذلك حراس المستودعات والمؤسسات ووسائل النقل وغذاء الحيوانات ، والقضاء على الفرق المختلفة التى تعمل على جمع الحبوب وعلف الماشية وغيرها من سكان المدن والقرى •

⊙ تدمير الخطوط وامدادات العدو (نسف الكبارى والاضرار بالخطوط الحديدية وتحطيم قطارات السكة الحديد ومهاجمة وسائل النقل الميكانيكية أو التى تجرها الحيوانات) • والقضاء على أنظمة العدو بما فيها من رجال وعتاد ووقود وذخيرة حتى يتعذر عليه ارسال امدادات لجبهة القتال ثم نقل

الامتعة وغيرها مما يسهل الحصول عليها ـ تدمير المستودعات ومخازن السلاح والذخيرة والطعام والمواد الاخرى • ثم تخريب حظائر السيارات وورش التصليح •

⦿ تحطيم نظام الاشارات على السكة الحديد ومختلف الطرق (بما فيها التليفونات والتلغراف والمحطات اللاسلكية) وتدمير جهاز توصيل الاشارات وقتل الموظفين القائمين بالعمل • وهم قوام مواصلات الاشارة •

⦿ الهجوم على مطارات العدو وتدمير الطائرات والحظائر ومستودعات القنابل والوقود ثم قتل الموظفين والعمال وأولئك الذين يقومون بحراسة المطارات ـ قتل أو أسر العملاء السياسيين وكبار موظفي وقادة العدو ثم القبض على الخونة لاوطاننا ممن يقومون بخدمة هؤلاء الرؤساء •

⦿ تخريب أو احراق مباني القوى الكهربائية وموارد المياه والمشروعات الصناعية وغيرها مما تستهدف اغراضا عسكرية واقتصادية على جانب من الاهمية •

وقد أعد هذا البيان قبل ظهور أسلحة ف ١ V 1 ، ف ٢ V 2 وغيرها من الاسلحة النووية وربما يكون قد اتسع نطاقها فى الوقت الحاضر ، على أنه بالاضافة الى ذلك فان هذه التعليمات صدرت بخاصة للمناضلين السوفييت الذين يقاتلون على بقعة روسية • ثم هم يتساوون مع أنصار الشيوعيين الذين يعملون فى بلاد أخرى دون شك •

ومن المذهل حقا تقدير قيمة قوات المناضلين بتقديم حساب يبين مقدار الارباح والخسائر التى حققوها • ويتضح من أرقام الروس أنها تتسم بشىء من التهويل • وليست هناك احصاءات المانية الا قليلا • ومع ذلك فان مجموعة الشمال من الجيش الالمانى التى حاربت فى روسيا قامت بنشر بعض معلومات فى سنة ١٩٤٣ وكان لها طابع السرية ويقصد بذلك استعمالها فى داخل البلاد ليس الا • وعلى ذلك نعتبر أنه يمكن الاعتماد عليها •

ومن بين الخرائط الكثيرة هناك واحدة تستدعى الاهتمام بنوع خاص • وهى تشير الى « قوات الامن وموقف القوات فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ » • وتبين مواقع القوات الروسية المختلفة وتقدير مهمتها وقوتها • ثم مواضع

قوات الامن التى معظمها من الالمان وقوات المتطوعين من البلطيق والروس (القوات الشرقية) وتقدير قوتها من حيث الفرق والفصائل وما دون ذلك. كما كان هناك عدة جداول ورسوم بيانية عن اجراءات الانصار وخسائرهم وخسائر الالمان .

أما الخريطة والجداول والرسوم البيانية فهى توضح فقط الاحداث فى المنطقة الامامية للجيش ـ مجموعة الشمال . وهى لا تبين الموقف فى المنطقة الخلفية لهذه المجموعة ولا فى مناطق المجموعتين الاخريتين فى روسيا أو فى القطاع الخلفى السوفييتى . وبالاطلاع على الارقام أدناه يجب أن يذكر الانسان دائما أنها لا تغطى تلك المساحات حيث كانت قوات الانصار أكبر عددا وحيث كان أعنف قتال لهم .

وفرق المناضلين التى كانت تنتشر فى المنطقة الامامية لمجموعة جيش الشمال :

جماعة لننجراد الاولى	٦٠٠ رجل
« « الثانية	١ر٥٠٠ «
« « الثالثة	٢ر٠٠٠ «
« « الرابعة	٤٠٠ «
« « الخامسة	١ر٥٠٠ «
« « السادسة	٢ر٠٠٠ «
« « السابعة	١ر٤٠٠ «
« « الثامنة	٢ر٠٠٠ «
« « التاسعة	١ر٠٠٠ «
« « العاشرة	٩٠٠ «
« « الثانية عشر	١ر٠٠٠ «
	١٤ر٣٠٠ رجل

الفرقة الثانية للفرسان	٧٠٠	رجل
الفرقة الرابعة/السادسة/الثامنة للفرسان	٦٠٠	»
الفرقة الثامنة للفرسان	٦٠٠	»
الفرقة التاسعة للفرسان	٣٠٠	»
الفرقة العاشرة للفرسان	٩٠٠	»
الفرقة الثانية عشر للفرسان	٣٠٠	»
الفرقة الثالثة عشر للفرسان	٤٠٠	»
	٣٫٨٠٠	رجل

* * *

جماعة باراكين	٣٠٠	رجل
جماعة ايفانوف	٤٠٠	»
جماعة لوتسشين	٥٠٠	»
جماعة جريجوريف	٨٠٠	»
جماعة يانويسكى	١٫٠٠٠	»
جماعة فاروبيف	٢٠٠	»
جماعة بستريكوف	٩٠٠	»
جماعة كراسينيا وويوود	٥٠٠	»
جماعة وسيسكساشا	١٥٠	»
لواء بيبلى الثانى عشر	٢٠٠	»
	٤٫٩٥٠	رجل

كذلك تبين على الخريطة فرقتان اخريتان دون الاشارة الى قواتهما · وعشرة فرق اعتبرت مفقودة أو مجهولة الموقع · اذن تكون جملة قوة المناضلين ما بين ٢٥ الف وربما ٣٠ الف رجل ·

وأمام هذه القوة كانت خطوط الالمان تتكون من :

	المان	من البلطيق وفنلندة	قوات شرقية	جملة
كتائب	١٦	٢	١	١٩
سرايا	١٣٥	١٨	٤	١٥٧
قوات أقل من سرية	٧٠	٣	١٤	٨٧

* * *

ولم يتيسر معرفة الارقام للقوة الحقيقية لهذه الوحدات ولكن لو فرضنا أن الكتيبة تحتوى على نحو أربعمائة من الرجال وان السرية تضم نحو مائة وعشرين رجلا ، وأن القوة الاقل من ذلك تحتوى على خمسين رجلا فان قوات الامن فى الجانب الالمانى تبلغ :

١٩ كتيبة على حساب ٤٠٠ لكل منها = ٦٠٠ر٧ رجل
١٥٧ سرية على حساب ١٢٠ لكل منها = ٨٤٠ر١٨ رجل
٨٧ لما هو أقل من ذلك بكل منها ٥٠ رجل = ٣٥٠ر٤ رجل

= ٧٩٠ر٣٠ رجلا

من هذا يتضح أن قوات الامن والمجموعات كانت متساوية فى القوةعلى وجه التقريب ـ وقد يجوز الاعتراض بأن الالمان كانوا فى حاجة الى بعض قوات الامن فى المنطقة حتى ولو كانت البلاد فى وقت السلم · ولكن هذه القوات وهى المعروفة عادة بانها من الفدائيين فى المدن وميدان القتال لا يشتمل عليها البيان السابق · على ذلك يتبين لنا حقيقة أن الالمان فى هذه المنطقة أرسلوا جنديا واحدا فى مقابل كل واحد من المناضلين ·

على أية حال فان هذه النسبة لم تكن كافية لمنع المناضلين من القيام بواجباتهم • ويتضح لنا من البيان التالى مظهر واحد من أوجه نشاطهم •

فنجد أن أوجه نشاط المناضلين قد ازدادت بما يبعث على الدهشة ابتداء من أغسطس فصاعدا ويتضح ذلك بسهولة•حيث أن الروس بدءوا هجومهم فى آخر سبتمبر بقوات ضخمة • وكان الانصار يمهدون لهذا الهجوم ويعضدونه واستمر الحال حتى أوائل السنة التالية • وخرج الروس للاستيلاء على نيفيل كنقطة ابتداء لعملياتهم فيما بعد نحو البلطيق • ثم بدأ الهجوم جنوبى فيليكى لوكى Veliki Luki عند نقطة الاتصال بين مجموعات جيش الشمال والوسط • وتمكن الروس من شق طريقهم خلال جبهة صغيرة والعمل على امتداد الفجوة بفرقة المشاة الميكانيكية والدبابات• وبلغت الموقعة ذروتها فى أكتوبر وكذلك نشاط المناضلين بما يتفق مع حاجات الجيش الاحمر •

التدخل ضد حركة النقل بالسكة الحديد خلال سنة ١٩٤٣

شهر	نسف الألغام	كباري	اشتعال الحرائق	قطارات	عربات	قتلى	جرحى
			تخريب او تدمير			من اول مايو	
يناير	٣٣	—	٢٠	٣	٥٧		
فبراير	١٠	—	٩	٢	٤٦		
مارس	١٦	—	٤٩	٥	٤٣		
أبريل	٢٥	٦	٤٥	٥	١١		
مايو	٤٩	—	١١٦	٣٠	١٥١	٤١	١٥٢
يونيه	٤٣	٢	١١٣	١٩	١٣٦	٢٥	٤٤
يولية	٣٣	—	٦٤	١٥	٣٢	١٦	٢٨
أغسطس	١٨٧٩	٤	٧٠	١٩	٦٧	٢٩	٨٤
سبتمبر	٩٤٠	٢	٤١	١٣	٤٩	١٥	٦٦
اكتوبر	٣٣٨٤	١١	٢٤	٧١	١٤٩	٤٢	٢٣٣
نوفمبر	٢٧٣٦	١٤	٦	٤٦	٧٠	١١	٨٢
ديسمبر	٦٢١	١٢	٢٤	٦٥	٣٥	٢٩	٨٤
جملة	٩٧٦٩	٥١	٥٨١	٢٩٣	٨٤٦	٢٠٨	٧٧٣

أوجه نشاط أخرى للمناضلين خلال عام ١٩٤٣

شهر	كمين	قتال	تدمير الجسور	بث الألغام	تدمير الأسلاك	اشعال حرائق وخسائر أخرى
يناير	١٠	١٠٠	٢٠	١٠	٨	١٠
فبراير	٢٠	٦٠	١٢	٨	١٢	٥
مارس	٢٥	٥٠	١٠	—	٤	٨
أبريل	٣٠	٥٨	١٥	٦	١٧	١٨
مايو	٥٠	١٦٥	١٨	١٢	١٥	٣٠
يونية	٦٠	١٤٠	١٥	٢٢	١٠	٢٥
يولية	٧٥	١٥٠	٢٥	٢٣	١٥	٢٢
أغسطس	١٠٠	١٥٥	٣٥	٣٠	١٥	٤٢
سبتمبر	١٤٠	١٣٥	٢٥	٢٠	١٠	٤٦
أكتوبر	١٨٠	١٥٥	١٣٠	٤٥	٣٥	٢٧
نوفمبر	١٤٠	١٤٥	٧٥	٤٥	٣٠	١٦
ديسمبر	١٥٥	١٥٠	٣٠	٢٥	٢٨	٣٨

بيان لخسائر المناضلين سنة ١٩٤٣

فاذا قارنا هذا بخسائر المناضلين فى سنة ١٩٤٣ نجد أن ذروة الخسائر كانت فى مايو اذ بلغ عدد القتلى ١٢٠٠ والاسرى ٤٠٠ وكان أقلها فى شهر مارس اذ بلغ عدد القتلى ٣٠٠ والاسرى ١٥٠

على أنه من الضرورى أن يعرف بان الخسائر ترجع اصلا الى نشاط العدو فى العمل ضد قوات المناضلين ٠

كذلك اتسع نطاق نشاط المناضلين قبل وأثناء الموقعة الحاسمة كما يتضح من الجدول السابق ٠

وقد يتبادر الى الذهن أن خسائر الانصار كانت على أشـدها عنـدما وصلت أوجه نشاطهم ذروتها ولكن هذا لا يطابق الواقع ٠

ولم يعرف سبب كثرة عدد خسائر المناضلين فى شهور يناير وفبراير وابريل ومايو وارقام شهر ابريل تلفت النظر بنوع خاص اذ أن نشـاط الانصار فى ذلك الحين كان أقرب الى الركود ٠ وبطبيعة الحال من المحتمل أن يكون الالمان قد قاموا ببعض عمليات ناجحة ضد الانصار فى ذلك الوقت٠ ومهما يكن من أمر فان نشاط هؤلاء الابطال منذ أغسطس والشهور التالية٠ ذلك النشاط الذى بلغ أشده ٠ لم تكن عاقبته سوى بعض خسائر ما بين قتلى وجرحى وأسرى تعد متوسطة ٠ بعبارة أخرى بالرغم من أنهم وسعوا نطاق عمليات التخريب التى قاموا بها فانهم لم يتعرضوا لكثير من الاخطار٠ وظل معدل الاحداث والاضرار على ما كان عليه بالرغم من أنهم كانوا يبثون الالغام فى السكة الحديد مرة فى كل يوم ـ كما فعلوا فى شهر يولية ـ وما يقرب من مائة مرة فى اليوم ـ كما كان الحال فى شهر نوفمبر ٠ اذن كيف يمكن مقارنة خسائر الانصار بتلك التى تكبدها الالمان ؟

لقد اعتبرنا أن الارقام التى أوردها الالمان يمكن الاخذ بها ٠ ولكن من الصعب أن نقبل البيان الاخير على أنه قد أعد فى دقة واحكام ٠ ففى شهر يولية يتبين لنا أن عدد قتلى الالمان خمسة وستين ٠ وطبقا لبياننـا الاول نجد أن ستة عشر من الالمان قد قتلوا فى ذلك الشهر فى حوادث السـكة الحديد ويتبقى تسعة واربعون من القتلى فى جميع العمليات الاخرى التى قام بها الانصار ٠

القتلى والجرحى من الالمان خلال عمليات المناضلين في سنة ١٩٤٣

ومسألة خسائر الالمان هى بدورها تستحق العناية سيما اذا قدرنا انها أصلا منقولة عن المصادر الالمانية التى قد تعمد الى التهويل لزيادة النشاط ضد المناضلين أو تقلل منها لمنع المؤثرات المعنوية الهدامة ٠

واذا كان عدد القتلى كان ٥٥ والجرحى ٥٠ فى شهر يناير سنة ١٩٤٩ فقد وصل العدد الى الذروة فى شهر أكتوبر اذ بلغ عدد القتلى ٢٥٠ والجرحى ٣٥٠ فى شهر أكتوبر ثم بدأ ثانية فى الانخفاض ١٥٠ و ٢٠٠ على التوالى فى آخر ديسمبر ولكن الشىء الوحيد الذى يستحق الذكر هو ان زيادة الجرحى تصحب دائما بزيادة القتلى ٠

وكما يتبين من الجدول الثانى نجد أن المناضلين قاموا فى شهر يولية بما لا يقل عن خمس وسبعين مباغتة ٠ كما كان هناك أيضا مائة وخمسون من المصادمات ــ ودمروا خمسة وعشرون جسرا وتم تنفيذ ثلاث وعشرين من عمليات بث الالغام ٠ فمن الصعب أن نصدق أن الالمان قد فقدوا أقل من خمسين من القتلى نتيجة لهذه الاجراءات ٠ وعلى ذلك نمسك عن المقارنة بين خسائر الالمان وخسائر الانصار ٠

وعلى أية حال فان ما لدينا من الجداول والخرائط تؤيد نتيجتين :

١ ــ لايمكن مقارنة قوات المناضلين بقوات مساوية لها من الاعداء ٠

٢ ــ لا يتحتم ازدياد الاضرار التى تلحق بالمناضلين حتى فى حالة اتساع نطاق أعمالهم التخريبية (٨٢) ٠

---

٨٢ ــ قد لا تتمشى هذا مع تجربتنافى الملايو وكينيا ولكن يجب أن لا ننسى ان العصابات فى كينيا والملايو كانت هى كل قوات القتال فى كينيا وفى الملايو أما فى الروسيا فان قوات العصابات كانت قوات معاونة فقط للقوات العاملة النظامية فى الجيش الاحمر ٠

ثم أن اجراءات حرب العصابات مهمـا كانت رسـالة القائمين بهـا أو انتمائهم لحزب من الاحزاب فانها تشكل خطرا على الدولة المحتلة ـ ويجب أن نعنى عندما ندخل فى اعتبارنا أن الالمان الغربيين ـ وربما كان غيرهم أيضا ـ لا يتحتم أن يتلقوا التدريبات اللازمة ، شـأنهم كشأن الالمـان الشرقيين • وذلك طبقا للوصف الذى جاء بكتاب اجناتوف • وأولئك الذين يدركون مكاسب انصار السوفييت فى الحرب الاخيرة لا يشكون الا القليل فى أن المناضلين المدربين والموالين للحلفاء وبخاصة فى ألمانيا الغربية سيكون لهم قيمة كبيرة من وجهة نظر الغرب اذا ما أقدم السوفييت على القيـام بهجوم وبالنسبة لظروف الحرب النووية فان قيمة قوات المناضلين لايمكن تقديرها •

وقد قيل ولو أن الالمان ليس من تقاليدهم الاشـتراك فى حروب غير نظامية وليس لديهم المقدرة والجدارة ما يمـكنهم من خوض غمـارها فان المحاولات اليائسة التى بذلتها ألمانيا فى تنظيـم الخط الاخير من مقـاومة المناضلين فيما يسمى «حصن جبال الالب» قرابة نهاية الحرب الاخيرة كانت تاييدا لفكرة حرب العصابات ، ولكن الالمان شعروا بالارهاق الشديد عقب حرب دامت ما يقرب من الست سنوات لدرجة أن مواصلة المقاومة كانت تعد أمرا خارجا عن نطاق العقل ، وكانت النتيجة أن أولئك المستميتين فى القتال والمسئولين عن هـذه المغـامرة شعروا باليـأس من هذه المحـاولة واعتبروها لا جدوى منها ، كذلك يجدر بنا أن نتطلع الى ما حـدث قبـل نهاية الحرب العالميـة الأولى عنـدما انتهجت القوات الالمانية الحرة « حرب العصابات » وذهبت جهودها أدراج الرياح •

ولكن على أية حال لابد للغرب من أن ينظم قوات للمناضلين على الاقل ان لم تكن حركة لتنظيم هؤلاء الافراد ، وقد أوضح مستر جوليـان أميرى حاجة الغرب الى ذلك ولا نستطيع أن نفعل الا أن نشير الى قوله :

« فى نفس الوقت فان أول واجب علينا هو القيام بتدريب هيئة كبيرة نسبيا من ضباط الاتصال والفنيين بما يصلح لان يكون نواة لمنظمة المقاومة وقت الحـرب • وهؤلاء يجب أن يتلقـوا أولا تدريبات نظرية كافيـة فى استراتيجية وتكتيك المقاومة • بما فى ذلك دراسة الحزب الشيوعى ومنظمة

وحركات المقاومة الماضية ووسائل الامن التى يتخذها الروس وكذلك شئون المخابرات السياسية والحربية ـ بعد ذلك يجب ارسالهم ـ ومثلهم كمثل العملاء الشيوعيين ـ لاقامة حركة للمقاومة فى البلاد خلف الستار الحديدى وللاستعداد للمقاومة فى البلاد المعرضة لخطر الاحتلال الروسى ٠ وفى هذه المهام يصبحون فى حاجة الى امدادات وتأييد فى ميدان الدعاية ٠ ويجب أن يتم ذلك فى الوقت الحاضر حيث تسمح الظروف (٨٣) » ٠ حتى اذا سحب الشيوعيون عملاءهم فى الخارج فما علينا الا أن نحذو حذوهم ٠

ثم أن دراسة شئون وحروب المناضلين وقت الحرب خلال الخمسعشرة سنة الماضية تؤدى بنا الى نتيجة محدودة هى :

لابد لنا من أن نعد قوات المناضلين (٨٤)

---

٨٣ ـ *Julian Amery, of Resistance, p. 149*

٨٤ ـ تحدث كلاوزيفتز عن هذا فى الكتاب السادس فصل ٢٦ من كتابه فى الحرب تحت عنوان « تسليح الامة » ٠

٨

نموذج للثورة ــ ميلاد دولة تابعة

حاول الشيوعيون دائما احتكار حروب العصابات فى كل مكان ٠ ولما كان هذا متعذرا بسبب منظمات المناضلين المعادين للشيوعية ، فان المناضلين الشيوعيين لم يندمجوا معهم مطلقا بل قاتلوا كوحدة منفصلة ، وخلال الحرب الاخيرة كان المناضلون الشيوعيون يزاولون نشاطهم فى فرنسا وايطاليا تحت قيادة زعمائهم وطبقا لتعليمات هؤلاء الزعماء وكانوا يقومون بالدعاية الخاصة بهم ٠

ولكن على حين تقبل المناضلون الشيوعيون فى فرنسا وايطاليا قيادة مشتركة على مستوى عال كشأن منظمات المقاومة الاخرى فى البانيا ويوجوسلافيا واليونان وبولندة فانهم احتفظوا باستقلالهم التام ٠

وفى دول البلقان لم يلجأ المناضلون الشيوعيون الى محاربة الالمان فحسب بل أشعلوا نار حرب قاسية ضد الحركات المنافسة التى قام بها غير الشيوعيين ، وفى بولندة بطبيعة الحال لم يشتبك المناضلون الشيوعيون فى صراع مع الالمان الا قليلا ٠ بل ركزوا جهودهم على الاطاحة بالحركات السرية التى كان يقوم بها غير الشيوعيين ، وكانت المعركة غير متكافئة فى البانيا ويوجوسلافيا وبولندة ــ موقعة خرج فيها الشيوعيون منتصرين ، وفى خضم النصر استولوا على القوة السياسية ، فقد حولوا حرب التحرير الى حرب ثورية وحققوا أهدافهم ٠ وفى كل من هذه البلاد ولدت دولة تابعة جديدة Satellite ٠

واذن كان لحركات المناضلين الشيوعيين فى الدول غير الشيوعية ٠ بالاضافة الى جمع المعلومات واعمال التخريب ــ مهمة ثالثة فى زمن الحرب: كانوا يشكلون المقدمة فى القتال من أجل فرض الشيوعية على البلاد ، ومن أجل هذا كانوا يعملون على ازاحة المنافسين من طريقهم وبخاصة رجال حرب العصابات من غير الشيوعيين ٠ ولو كانوا يقاتلون اعداء روسيا كما حدث فى الحرب الاخيرة ٠

وكان المناضلون الشيوعيون قد عهد اليهم بهذه المهمة فى مؤتمر الشيوعية الدولية الذى عقد بموسكو فى أغسطس سنة ١٩٢٨ . حيث تقرر أنه فى حالة قيام حرب ضد الاتحاد السوفييتى فان على الشيوعيين أن يكونوا وحدات وطنية ثورية تقوم بحرب العصابات كلما كان الموقف يسمح بذلك .

فى أثناء الحرب الاخيرة كان الموقف فى عدد من الدول يتسع لمثل هذه الاتجاهات ، والطرازهنا واضح جلى وكذلك الوسائل التى تتخذ فى هذا السبيل ، **كما يتضح لنا من تعليمات المؤتمر الدولى وتطبيقها السابق اننا سوف نواجه هذا النوع من الحرب الثورية فى أية حرب فى المستقبل.** ومن ثم فاننا لا نعتذر لتناولنا هذا الموضوع فى شىء من الاسهاب والتفصيل .

ففى الحرب الاخيرة لجأ المناضلون الشيوعيون الى ثلاث وسائل للقضاء على حركات المنافسة :

١ ـ الحرب المكشوفة :

بهذه الطريقة تمكنوا من كسر شوكة غير الشيوعيين فى كل من البانيا ويوجوسلافيا واليونان .

٢ ـ اتهام المناضلين غير الشيوعيين بالتعاون مع العدو :

وبذلك حالوا بينهم وبين تلقى مساعدات خارجية كما حدث فى البانيا ويوجوسلافيا .

٣ ـ التعاون مع العدو ذاته :

كما فعلوا فى بولندة مما أتاح الفرصة للجستابو للحد من نشاط المناضلين غير الشيوعيين .

وبطبيعة الحال كان من الممكن تنفيذ الخطتين الاخيرتين فقط لان روسيا حاربت الى جانب الحلفاء فيما بعد ، ولكن كانت الوسيلة الاولى سهلة التطبيق .

وكان في البانيا التي احتلتها ايطاليا ـ بعد دخول روسيا الحرب ببعض الوقت ـ عدد من الحركات المنفصلة لحرب العصابات يتصل بعضها بالشيوعيين ، وحتى نهاية سنة ١٩٤٢ كانت هناك حركتان مميزتان . احداهما تحت اشراف الشيوعيين والاخرى تحت مباشرة المناضلين من المحافظين ، وكان مجموع أفراد الحركتين نحو ستة آلاف رجل فقط . وفي يولية سنة ١٩٤٣ كانت ايطاليا على وشك الانهيار واتفق أفراد الحركتين على الاشتراك في العمل حتى وقت تحرير البانيا ، ثم حققت العمليات نجاحا ساحقا حتى عندما استسلمت ايطاليا واحتل الالمان البلاد . وبسبب قواتهم المحدودة قرر الالمان الاحتفاظ لانفسهم بالمدن وخطوط المواصلات فقط وظل المناضلون في أمان يعتصمون في الجبال . وبمجرد أن شعر الشيوعيون بأن الالمان ينتهجون سياسة الاحتلال قرروا في اكتوبر سنة ١٩٤٣ ألا يعتمدوا اتفاقيتهم السابقة مع منافسيهم ، وبدلا من ذلك عمدوا الى تصفية حسابهم معهم بين الجبال حتى ولو أدى ذلك الى عرقلة عملياتهم ضد الالمان ، وفي الحرب الاهلية التالية أثبت الشيوعيون تفوقهم : كانوا أقوى عددا وافضل عتادا . وكانوا يعملون تحت قيادة موحدة بيما كان خصومهم يقاتلون تحت قيادة نفر من القادة المستقلين وبذلك كانوا منقسمين على أنفسهم . ولم ينضم الى صفوفهم سوى أنصار الملكية الذين انتهت صلتهم بالشيوعيين عندما لجأ هؤلاء الى نقض الاتفاقية .

وقد أوضح البريطانيون أنهم لن يساعدوا بالاسلحة والعتاد الا أولئك الذين يقاتلون الالمان . وبسبب ضعف المناضلين غير الشيوعيين كان من المتعذر عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم ضد الشيوعيين وفي الوقت ذاته يقاتلون الالمان بينما يستطيع الشيوعيون دائما أن يوجهوا بعض قواتهم لتحقيق الغرض الاخير ، وبذلك أنكر البريطانيون معاونتهم على غير الشيوعيين على حين ازداد الشيوعيون نفوذا واشتد ساعدهم .

وكان الشيوعيون ـ بمهاجمتهم منافسيهم في هذه الظروف ـ يقصدون أن يلقوا بهم بين أيدي الالمان وان يسيئوا سمعتهم أمام الحلفاء . وبانتهاجهم هذه السياسة حققوا نجاحا الى حد ما . وأما المحافظون وقد أعوزتهم الاسلحة كانوا لابد أن يطلبوا المساعدة من مواطنيهم تحت اشراف كربسلنج في حكومة البانيا . وقرر الالمان بدورهم ـ وقد أسعدهم أن يحاولوا حرب المناضلين ضدهم الى حرب أهلية بين المناضلين أنفسهم ـ

أن يمدوهم بالاسلحة ، وهكذا أخذ الشيوعيون يعتبرون جميع منافسيهم متعاونين معهم حتى بالرغم من أن الملكيين منهم لم يكونوا على وفاق معهم ٠

ونحن نسرع فى سرد الباقى من القصة ، ففى شهر مايو سنة ١٩٤٤ صرح قادة المناضلين الشيوعيين بانهم زعماء البانيا فى المستقبل ، وعين القائد العام نفسه رئيسا للحكومة المؤقتة ٠ وفى نهاية شهر يونية سنة ١٩٤٤ بدأ الشيوعيون أول حملة لهم على منافسيهم واتبعهم آخرون ٠ وفى شهر أغسطس اشتركت قوات المتعاونين مع قوات الملكيين واستعد الجميع للوقوف فى وجه الالمان وفى الحق لم يكن أفظع هجوم ضد الالمان بمعرفة الشيوعيين بل كان على يد زعيم الانصار من غير الشيوعيين جانى كريزيو Gani Kryeziu وأخيه (٨٥) ٠

وبالرغم من جهود غير الشيوعيين ضد اعداء روسيا فقد واصل الشيوعيون هجومهم ضدهم ٠ ففى ذات مرة هاجم الشيوعيون منافسيهم بينما كان هؤلاء يباغتون الالمان ٠ حتى اذا أصبح الموقف يزداد سوءا ولا يبعث على الامل بالنسبة لغير الشيوعيين اضطر هؤلاء لمغادرة وحداتهم او أرسلهم قادتهم الى أوطانهم ٠ وهكذا تولى المناضلون الشيوعيون زمام البلاد بالاشراف على الحكومة وكسبوا معركتهم الثورية ٠

ويتبين لنا أن قصة حرب المناضلين فى يوجوسلافيا هى قصة تيتو زعيم المناضلين الشيوعيين وميخائيلوفيتش Mikhailovitch زعيم المناضلين الملكيين ٠ وكلما تذكرنا حرب العصابات فى يوجوسلافيا سوف يتساءل القوم عن ميخائيلوفيتش : هل كان هذا الرجل بطلا أم خائنا ؟ ففى سنة ١٩٤٢ امتدحه البارزون من قادة الغرب بوصفه محاربا شجاعا وارسلوا اليه برقيات تحمل معنى التقدير والاعجاب ، وبعد مضى أربع سنوات حكم عليه بالاعدام ــ وصدر القرار من المحكمة العليا فى جمهورية يوجوسلافيا الاتحادية الشعبية ٠

وكان قد قام بمحاربة الالمان ــ بدافع من الوطنية ــ وشن عليهم حرب العصابات فى وقت لم يظهر فيه قائد آخر للمناضلين فى أوروبا ، ولم

---

٨٥ ــ جوليان امرى ص ١٧٢ ٠

تكن الحركة التى قام بها موجهة ضد الشيوعيين وعنـدما نظم قواته لاول مرة لم يكن فى الميدان مناضلون شيوعيون · ولم تكن روسيا قد هاجمها الالمان اذ ذاك ·

وقد أصبحت هذه الحقـائق غامضة حتى أن بريجـادير ماكلين فى مذكراته المدهشة (٨٦) Eastern approaches يبـدو أنه يشترك فى وجهة النظر حول أن تيتو كان قد أعد للمقاومة ضد الغزاة قبل ٢٢ يونيو سنة ١٩٤١ ذلك اليوم الموعود · ولكن هذا لا يطابق الحقيقة الى حد ما ·

« فى ٢٢ يونية سنة ١٩٤١ بدأت ألمانيا فى مهاجمة روسيا · وكانت اللجنة المركزية للطبقة العاملة من الحزب الشيوعى فى يوجوسلافيا تعقد اجتماعا فى بلغراد فى ذلك اليوم ، ·· وهنا صـدر الامر بدعوة الشعب لحمل السلاح، وتواصل هذه الترجمة الرسمية الحديث فتقول : « والحقيقة أن الدعوة لحمل السلاح اتفق أن يكون تاريخها مطابقا لتاريخ هجوم الالمان على الاتحاد السوفييتى » ·

بطريق الصدفة اعتبر الكاتب أن الالمان قاموا بمهاجمة يوجوسلافيـا فى وقت لا يقل عن شهرين ونصف قبل وقوعه · ومع ذلك ذكر أن الهجوم وقع على روسيا فى نفس اليوم ! ولكن تيتو كان سببا فى ازالة الشكوك حول قيـامه بالدفـاع عن يوجوسلافيـا أو الاتحـاد السـوفييتى وذلك بالاشـارات التى تبودلت بينـه وبين موسـكو ، ثـم نشرت بعض هـذه الاشارات فى يوجوسلافيا بعد قطع العـلاقات بين تيتو وستـالين ، وفى سنة ١٩٤٢ عندما أراد تيتو أن يصدر تصريحا قـدم مسـودته أولا الى موسكو لاعتمادها ، وكان تيتو يختتم تصريحه بشعارات تقول : « ليحيا الجيش الاحمر رمزا للبطولة ! ليحيـا الرفيق سـتالين ! ليحيا الاتحـاد السوفييتى ! » · وهنا طلبت موسكو استبعاد هذه الشعارات من التصريح « لانها تضفى على التصريح طابع الحزبية (٨٧) » ·

وفى ٢٧ مارس سنة ١٩٤١ سقطت حكومة يوجوسلافيا التى عقدت الاتفاقية مع المانيا واصبحت الاتفاقية ملغاة ، وعنـد ذلك هـاجم الالمـان

---

٨٦ - *Fitzory Maclean, Eastern Approcches, London 1949, p 3*

٨٧ - *Mosha Piyadc, About the Legend That The Yugoslav Uprising Owed its Existence to Soviet Russia. London, 1950, p. 11*

يوجوسلافيا فلم يستطع الجيش اليوجوسلافى الصمود طويلا ، وانتهت مقاومته فى مدى عشرة أيام ، ولكن دراجا ميخائيلوفيتش الذى كان برتبة (العقيد) كولونيل فى هيئة أركان الحرب ـ لم ييأس من القتال • فجمع بعضا من ضباطه حوله فى جبال الصرب ونظم حركة للمقاومة ضد الغزاة وما لبث أن انضم الى رجاله عدد كبير من « الشتنك » Chetniks وهى منظمة قامت قبل الحرب تضم المحاربين القدماء منذ الحرب العالمية الأولى ، وهكذا حقق نجاحا كبيرا فى أولى عملياته •

وفى هذه الاثناء ظهر أنصار تيتو وتم التفاهم بين الحركتين • ويبدو أن أول اجتماع بين ميخائيلوفيتش وتيتو قد تم فى ستروجانيك Struganik فى ١٩ من سبتمبر سنة ١٩٤١ حيث اتفق الجانبان على التعاون عسكريا وسياسيا فى محاربة الالمان، ولكن الانسجام بين الفريقين لم يدم طويلا • ففى أكتوبر اجتمع الرجلان مرة أخرى واتهم كل منهما الآخر بمخالفة شروط الاتفاقية السابقة ، وتم تسوية الخلافات مؤقتا ولكنها ما لبثت أن عادت بسبب تبادل عبارات اللوم بين الفريقين ، بعد ذلك اجتمع الزعماء مرة أخرى فى نوفمبر سنة ١٩٤١ • وكان الجو اذ ذاك لا يبعث على الارتياح • فقد اختلفا حول امتلاك بلدة كانت فى قبضة الالمان واستولى عليها الفريقان ، واتهم ميخائيلوفيتش رجال تيتو بالقيام بأعمال النهب والسلب بين سكان المدينة ، وغضب تيتو اذ لاحظ نشوب قتال بين رجال الفريقين أثناء العمليات وكانت النتيجة أن قتل عدد من رجاله • ومنذ نهاية السنة اتخذت كل حركة طريقا غير طريق الاخرى وكان القتال ينشب بين رجال الفريقين من آن لآخر •

هذا • وقد وجهت عدة اتهامات الى ميخائيلوفيتش كان أخفها أنه اعتبر الشيوعيين ألد أعدائه • ولم يكن الاتهام صحيحا فقد كان معسكر تيتو هو الذى أقام الدليل عليه • وكما رأينا كان تيتو على اتصال لاسلكى مع موسكو •

وفى مارس سنة ١٩٤٢ تلقى تيتو الاشارة التالية من موسكو :

« من سوء الحظ أنك لم تفهم برقيتنا بالمعنى المقصود منها • فنحن لم نوجه اليك اللوم • والوقت لا يتسع لمثل ذلك •••• لكن تأكد لنا أن الجهاد كان موجها أصلا ضد المحاربين القدماء • أولا وقبل كل شيء يجب تجنيد الرأى العالمى ضد الغزاة • وان ذكر المحاربين القدماء أو رفع القناع عنهم يعد أمرا ثانويا » •

ولم يكن هناك شيء أكثر وضوحا وجلاء من ذلك • كما يبدو أن تيتو لم يقبل بسهولة المحاولات الفنية التى انتهجتها موسكو من حيث التظاهر بغير الحقيقة • **ومن الواضح أنه أخبر موسكو بذلك • لانها ردت عليه في أبريل سنة ١٩٤٢ تقول : « من الضرورى حقا أن نكشف القناع عن المحاربين القدماء أمام القوم وأن نقنعهم بالبراهين والمستندات »** وتم تنفيذ هذه المهمة واستخدمت الادلة والمستندات ضد ميخائيلوفيتش أثناء محاكمته وقبل أن تشك دول الغرب فى صدق بعض الادلة المقدمة أثناء المحاكمة بفترة طويلة اعربت موسكو عن الشكوك التى تساورها • وفى سبتمبر سنة ١٩٤٢ تسلم تيتو من موسكو الاشارة التالية :

« عاجل • أنبئنا بعبارة مختصرة عن محتويات المستندات التى فى حوزتكم فيما يتعلق بدور دراجا ميخائيلوفيتش •مع مراعاة ما ينطوى عليه من الصدق • فمن الممكن أن الغزاة يهتمون بنوع خاص باثارة الخلافات والاشتباكات بين الانصار وبين المحاربين القدماء • وليس ببعيد أن الغزاة أنفسهم قد قاموا ـ قصدا ـ بتزوير بعض هذه المستندات (٨٨) » •

وحقا كان الغرض الذى ترمى اليه سياسة الالمان من مبدأ الامر هو اثارة الخلافات بين حركتى حرب العصابات كما يدل على ذلك التوجيه الآتى والذى أصدرته قيادة الفيلق الالمانى فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤١ :

« أوامر من القيادة العليا (الفيلق LXV) : لا يجوز مهاجمة العصابات المعروفة بالمحاربين القدماء • كما لا يجوز منع توزيع النشرات التى يصدرها هؤلاء المحاربون • اذ لابد من مكافحة الشيوعية بمساعدة هؤلاء الوطنيين » •

ولكن المحاربين القدماء لم يستجيبوا لهذا النداء بطبيعة الحال • بل قاتلوا مع الشيوعيين جنبا الى جنب • والتقارير الآتية التى أصدرها الالمان تحمل هذا المعنى :

قائد الصرب• مقر القيادة هيئة أركان الحرب• La/F. Staff Section

---

٨٨ ـ *Trials of War Criminals before the Nuremberg Trials, Vol. XI The Hostages Case, Washington, 1950, p. 945*

بلغراد فى ١٨ من سبتمبر سنة ١٩٤١

عاجل جدا

تقرير هام عن العدو

لدينا تقرير بين يدينا ينبىء بأن المحاربين القدماء والشيوعيين يقصدون الانتقام لاخوانهم الذين قتلوا فى الجبال فى ساباك Sabac و أوبرنوفاك Obrenovac • كما يقصدون مهاجمة ددينى Dedinje فى ملابس رسمية لضباط وجنود الالمان • وهذه الملابس تم الاستيلاء عليها من الجنود الاسرى • وبهذا التنكر يقصد الثوار خداع الحراس الالمان واغتيالهم وأما الوقت المعين لتنفيذه هذه الخطة فلم يتحقق بعد » •

وحوالى نفس الوقت أرسل رئيس الامدادات والتموين فى الصرب الاشارة التالية الى القيادة الالمانية العليا :

١٤ من سبتمبر سنة ١٩٤١

الى O K W مجموعة العمليات

مع صورة منها الى :

القيادة العليا للجيش

هيئة أركان حرب الجيش

الموقف فى الصرب ـ بصورة عامة ـ يوحى بالتهديد المستمر ويتطلب اجراءات فعالة • الشرطة المسلحة التابعة لكويسلنج لا يعتمد عليها الى حد بعيد • وقد ثبت لدينا الارتباط بين الثوار وبين المحاربين القدماء » • وفى رأيى أن هؤلاء الثوار لا ينطبق عليهم تماما وصفهم بأنهم من الشيوعيين كما أوضح قائد الصرب » •

* * *

ويتبين من هذه التقارير لنا أن ميخائيلوفيتش لم يكن لديه شىء أسهل من أن ينضم الى الالمان ضد الشيوعيين •ولكنه قرر أن يقاتل مع الشيوعيين

ضد الالمان بدلا من ذلك ، وهذه التقارير توضح لنا حقيقة أخرى : وهى أن ميخائيلوفيتش كان من رأيه أن عدوه الاول ليس الشيوعيين حتى ولو أن تيتو ـ كما رأينا ـ اعتبر أن المحاربين القدماء هم أعداؤه الالداء .

وأصر ميخائيلوفيتش على محاربة الالمان مركزا قواته الاساسية على الصرب . وفى ٢ من نوفمبر سنة ١٩٤١ أرسل قائد القوات الالمانية المسلحة فى الجنوب الشرقى تقريرا يقول فيه :

« اتسع نطاق الثورة الآن فشملت دولة الصرب القديمة بأكملها تقريبا » .

وفى الاشهر التالية أخذ ميخائيلوفيتش يوسع نطاق عملياته فى الميدان .

مقر قيادة القائد العام وقائد الصرب

أول من يولية سنة ١٩٤٢

١ ـ موقف العدو :

لا يتضح امامنا فى الوقت الحاضر الى اى مدى سوف تتأثر الصرب بالاضرابات القائمة فى كرواتيا وبخاصة الحركة التى يقوم بها دراجا ميخائيلوفيتش . اذ ان منظمة الثوار التى يدير حركتها لم تعد محدودة فى منطقة الصرب القديمة . ثم أن نشاط هذه المنظمة أصبح يمتد الى منطقة الصرب الجنوبية والبانيا لغاية سكوبلجى Skoplje ـ بريليب Prilep و هرزجوفينا Hercegovina (الجبل الاسود) وكذلك البوسنة الشرقية » .

وبعد بضعة أسابيع وبتاريخ ٢٠ من يولية جاءت التقارير من القائد العام وقائد الصرب حول أوجه نشاط ميخائيلوفيتش هناك .

« انه من اللازم حقا ازالة القناع عن المحاربين القدماء بالبراهين الثابتة أمام القوم » . تلك كانت ـ كما رأينا ـ النصيحة التى قدمتها موسكو الى تيتو فى أبريل سنة ١٩٤٢ . ويبدو أن المستندات الالمانية السابق ذكرها

لم تؤد هذا الغرض . وفي استطاعتنا أن نضيف الى ذلك أن مستندا واحدا منها لم يقدم أثناء محاكمة ميهيلوفيتش . وبدلا من ذلك وبتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٤٢ أرسل تيتو تقريرا الى موسكو يقول فيه :

« القوم جميعا فى لندن يندون بحكومة يوجوسلافيا التى تساعد الغزاة عن طريق دراجا « ميخائيلوفيتش » .

والدليل هنا الذى تؤيده المستندات لا يؤكد أنه فعل شيئا من ذلك . كما كان زورا وبهتانا النبأ القائل بأن أفراد الشعب جميعا يندون بحكومة يوجوسلافيا التى تساعد الغزاة . ثم أن الجنرال الالمانى جهلين Gehlen الذى ظهر حديثا للعيان بسبب هجمات السوفييت ضده بوصفه رئيس المخابرات الحربية فى المانيا الغربية كان فى ذلك الحين يعمل فى ادارة الجيوش الاجنبية فى الشرق ـ قسم مخابرات القيادة العليا للجيش . وفى ٩ من فبراير سنة ١٩٤٣ وقع على تقرير من هيئة أركان الحرب حول حركة ميخائيلوفيتش من أول من فبراير سنة ١٩٤٣ . وجاء بالتقرير ما يلى :

« ان اتباع ميخائيلوفيتش يأتون من جميع طبقات السكان . وفى الوقت الحاضر يشكلون نحو ٨٠٪ من سكان الصرب . ويزداد عددهم بصورة مستمرة بأمل التحرر من قيود العدو وبالتطلع نحو نظام جديد وتوازن جديد من الناحية الاقتصادية والاجتماعية » .

ولا حاجة بنا الى القول بأن تقرير أركان الحرب كان يقصد به الايتعدى نطاق داخلية البلاد . ولم تدخل عليه أية تعديلات بل كان وصفا للموقف الذى لمسته الوحدات الالمانية الموجودة هناك .

ثم أن تيتو لم يستطع أن يكبح رغبته فى ابداء رأيه الى موسكو وأصبح يصر على حملة الدعاية فيما يتعلق بأن « دراجا ميخائيلوفيتش يساعد الغزاة » وبدأت هذه الحملة فى أوائل سنة ١٩٤٢ .

وفى بلغراد صدر بيان يقول : « **فى أواخر سنة ١٩٤١ كان من الواضح أن ميخائيلوفيتش لم يكن سلبيا فحسب بل كان يتعاون مع الالمان»** وفى الحال اتصل المسئولون بدول الغرب واعربوا لهم عن هذه الملاحظة التى تنم عن الحكمة والروية . ويتضح ذلك من نشرة كانت تصدر وقت الحرب وجاء بها : « هذا يؤيد بصورة قاطعة . جميع البيانات التى كان

يصدرها أنصار تيتو منذ بدء سنة ١٩٤٢ ٠فقد جاء بها أن ميخائيلوفيتش وضباطه ٠٠٠٠ **منذ وقت طويل (هكـذا) قد كفوا عن تظاهرهم بمقاتلة الالمان واصبحوا أكثر من أن يكونوا من قوات** كويسلنج ٠٠٠٠٠ » وحوالى الوقت نفسـه بدأت محطـة اذاعـة « يوجوسلافيـا الحـرة » فى اتهـام ميخـائيلوفيتش بتعـاونه مع الالمـان وكان ذلك من افـلاس (الاتحـاد السوفييتى) ٠ وهناك بعض الشك فى بدأ هذه الحملة اللاسلكية وموعدها بالضبط ٠ وطبقا لما كتبه مستر برانكو ليزتش Branko Lazitch أن الحملة بدأت فى فبراير سنة ١٩٤٢ (٨٩) ٠ ولكن مستر دافيد مارتن يحدد تاريخها فى يولية من تلك السنة٠وهذا أمر لا يهمنا كثيرا ٠ ومستر مارتن هذا يشير فى كتابه الى التقرير الهام الذى جاء بالاذاعة البريطانية بتاريخ ٢٢ من يولية سنة ١٩٤٢ حيث زعمت محطة يوجوسلافيا الحرة أن القتال خلال السنة الماضية قام به أنصار (تيتو) على حين أن المحـاربين القدماء لم يقاتلوا ضد المحور على الاطلاق ، وان ميخائيلوفيتش قد ارتكب جريمة الخيانة ٠ وتم العثور على الدليل الذى تؤيده المستندات ٠

وقد أخذ القوم بهذه القصـة الخياليـة الى نهايتهـا ٠ وعنـدما وقف ميخائيلوفيتش أمام القضاة فى بلغراد سنة ١٩٤٦ وجهوا اليه الاتهـام بأنه :

« فى المدة من يولية الى آخر نوفمبر سنة ١٩٤١ قام باعداد منظمـة من المحاربين القدماء فى يوجوسلافيا المحتلة ٠٠٠٠ وبمجرد أن بدأ الجهاد لتحرير شعوب يوجوسلافيـا ضـد الغزاة ارتبـط بتحـالف مع الالمـان والايطاليين وأتباعهم واستخدم منظمته لاحبـاط الجهـاد للتحرير ٠ ذلك الجهاد الذى اضطلع به شعوب يوجوسلافيـا ٠ ثم ارتكب جـرائم حرب لا عداد لها » ٠

وقرر القضاء أنه مذنب لانه ــ من بين أمور أخرى :

« فى بدأ النصف الثانى من سنة ١٩٤١ خلال فترة الحرب واحتلال العدو للبلاد قام بتنظيم وقيادة تشكيلات المحاربين القدماء المسلحة ٠٠٠٠ وكان هدفه الابقاء على الاحتلال استخدام السلاح وبالقيام بحملة للارهاب٠

---

٨٩ ـ *The Tragedy of General Mihailovitch, London, 1946, p. 56*

« أقام صلات مع قادة الغزاة والسلطات هناك لاخماد حركة التحرير الوطنى التى قامت بها شعوب يوجوسلافيا ولكى يحتفظ بالاحتلال ويعمل على صيانته من بدء نشاطه المعادى للوطن • واستمر على هذا الحال طوال فترة الحرب (٩٠) •••• » •

« وكان التعليق المناسب لصحيفة ديلى تلغراف أن قالت : (أن اعتبار بدء تحالفه فى سنة ١٩٤١ عندما قامت حكومة سيموفيتش - على حد قول تشرشل - بانقاذ حياة يوجوسلافيا) • هذا الاعتبار يثير شكوكا جديدة حول أن هذا التحالف استمر أيضا فى سنة ١٩٤٤ و سنة ١٩٤٥ » •

ونحن لا تهمنا هنا محاكمة ميخائيلوفيتش بقدر ما يهمنا ما قامت به الدعاية الشيوعية حول اتهامه بالخيانة • ولكى ترضى هذه الدعاية من يستمع اليها لجأ القوم الى حيلة تدل على الذكاء والفطنة : ذلك بأنهم جمعوا بين حركتى ميخائيلوفيتش والمحاربين القدماء على أنهما حركة واحدة ، وحتى فى الوقت الحاضر يشير معظم الناس الى الحركة الاولى باعتبارها حركة أولئك المحاربين • وفى الحق أن ميخائيلوفيتش لم يكن له نفوذ أو اشراف على منظة هؤلاء المحاربين ولم يحدث أن اندمجت فى حركته التى كان يضطلع بها ويدير شئونها بنفسه • ولكن كثيرا من هؤلاء المحاربين القدماء ذهبوا معه الى الجبال حيث أخذوا يقاتلون الى النهاية • وبينما قام آخرون بعرض خدماتهم على الالمان ، وكان من السهل تقديم أى عدد من هذه المستندات الهامة ضد هذه المجموعة الاخيرة ثم اتهام ميخائيلوفيتش باخطائها •

وسرعان ما اعترف الالمان بأن حركة ميخائيلوفيتش لم تكن هى نفس منظمة المحاربين القدماء كما يبدو من التقرير التالى للمخابرات التابعة لفرقة المشاة رقم ٣٤٢ بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٤١ : « تصاريح المرور السارية المفعول والمعتمدة من المكاتب العسكرية الالمانية وهى ذات اللون الاخضر وعليها خاتم الاعتماد • تصرف هذه التصاريح لجزء من مجموعة المحاربين القدماء مجموعة فاليفو Valievo • واما بقية هذه الجماعة وهم الموالون للحكومة فلديهم تصريحات خاصة بهم صادرة من البشناق Pecanac » •

---

٩٠ - *The Trial of Mihailovich, Steonographic Record & Documents, Blegrade, 1946*

وتحت هذا التقرير كتب الالماني الذى تسلمه ملاحظة بخط يده يقول: « من المحتمل أن يرجع تاريخ هذا التقرير الى الفترة قبل أن تنقسم وحدات المحاربين القدماء » ٠

بعد ذلك بقليل صدر أمر ادارى ينص على عدم الاشارة الى قوات ميخائيلوفيتش باعتبارها من المحاربين القدماء بل تذكر على أنها منظمة دراجا ميخائيلوفيتش ٠

من ناحية أخرى اتهمت الدعاية الشيوعية ميخائيلوفيتش بالتعاون مع « خدم » الالمان والايطاليين من مواطنى يوجوسلافيا ٠ ولكن هذا الرجل لم ينكر مطلقا اتصالاته هذه ، ففى محاكمته أوضح أنه قام بهذه الصلات ليتمكن من التسلل الى المنظمات المتحالفة ويعمل على ضمها الى صفه ، وبذلك يتمكن من القاء ضربته القاضية على الغزاة ٠ ولم يعتقد أحد فى صدق قوله ولم يكن لديه أى دليل يثبت ما أدلى به من البيانات ٠ ذلك لانه لم يكن يعلم أن هناك مركزا لجمع المستندات الالمانية فى نورنبرج أو باريس أو الاسكندرونة (فرجينيا) وهذه المستندات كانت ضمن أكداس من المخلفات ٠ مما يعد شاهدا صامتا يحبط أدلته٠وهو تقرير للمخابرات الالمانية يقول :

كرواتيا ــ الصرب

حركة دراجا ميخائيلوفيتش من أول فبراير سنة ١٩٤٣ :

(أ) معلومات عامة :

١ ــ التطور :

من بين الحركات الثورية المتنوعة والتي تسبب المتاعب من وقت لآخر فى منطقة دولة يوجوسلافيا السابقة ٠ نجد أن حركة دراجا ميخائيلوفيتش تعد فى المرتبة الاولى من حيث القيادة والتسليح والتنظيم والنشاط ٠

وهى تتكون من المجموعات الآتية :

(أ) وحدات المحاربين القداماء ٠

(ب) اتباع دراجا ميخائيلوفيتش ٠

بعد تسليم الجيش اليوجوسلافى مباشرة تجمع معظم هؤلاء المحاربين القدماء فى شبه وحدات مقاتلة كبرى فى الصرب تحت قيادة ضباطها وكانت أساسا لحركة ميخائيلوفيتش ٠

ولكى يستطيعوا العمل دون اثارة اضطرابات داخل نطاق منظماتهم يتخذون ستارا لانفسهم فى الصرب تحت اسم « وحدات المحاربين القدماء الموالين للحكومة » ٠ وفى مونتنجرو تحت اسم «فرقة الميليشيا الوطنية»، وفى دلماسيا Dalmatia باسم « المعادين للشيوعية » وفى البوسنة « الوحدات الموالية للحكومة » ٠

ولابد من الاشارة الى جملة أخرى من هذا التقرير لانها تكشف عن تفكير ميخائيلوفيتش ٠٠ ان دراجا ميخائيلوفيتش ٠ لكى يتجنب اجراءات انتقامية ضد سكان الصرب فقد كان ينصح دائما بعدم القيام بعمليات فردية قبل الميعاد المحدد لها » ٠

وتلك نقطة نجحت فيها الدعاية الشيوعية وظهرت قصة تقول : طول فترة الحرب لم يدخل المحاربون القدماء فى كفاح ضد الغزاة » ٠ وسوف يلاحظ القارىء السبب فى حذر ميخائيلوفيتش والتزامه جانب الحرص من التقارير الالمانية المعاصرة الآتية والتى التقطت بطريق الصدفة :

« ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٢ : أطلقت النار على خمسة من أتباع دراجا ميخائيلوفيتش وذلك للاخذ بثأر جاويش المانى قتل بالقرب من زلوتوف Zlotov » ٠

« ٢٧ يونيه سنة ١٩٤٣ : يقدم خمسة عشر من الشيوعيين وخمسة عشر من رهائن ميخائيلوفيتش للحكم بالاعدام حتى الموت انتقاما لعملية من رهائن ميخائيلوفيتش يقدمون للحكم بالاعدام حتى الموت انتقاما تخريب ومهاجمة الالغام بالقرب من بلدة اليكسيناك Aleksinac فى ٨ من يونية سنة ١٩٤٣ (٩١) » ٠

« ١٣ من أغسطس سنة ١٩٤٣ : انتقاما لاغتيال رجلين وجرح اثنين آخرين من الجنود الالمان خلال الاضطرابات فى الطريق الرئيسى فى بوزاريفاك Pozarevac فى٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ يقتل رميا بالرصاص ١٥٠ من المسجونين (٩٢) » ٠

٩١، ٩٢ - الوثائق الالمانية - نوديمبرج *No K.W 37.4 148-341*

« وبما أن الاتجاه السياسى للمذنبين لايمكن معرفته على وجه التحديد اذن ينفذ حكم الاعدام فى ٧٥ من اتباع ميخائيلوفيتش و ٧٥ من السجناء الشيوعيين (٩٣) » ٠

« ٢٨ من مايو سنة ١٩٤٣ : ينفذ الاعدام رميا بالرصاص فى جملة قدرها مائة من رهائن دراجا ميخائيلوفيتش » ٠

وقد يعجب القارىء من النظام الذى اتبعه الالمان فى اختيارهم رهائن ميخائيلوفيتش أو رهائن الشيوعيين لاعدامهم ٠ ويتبين ذلك كله فى أوامر الالمان :

« ضابط المخابرات المضادة ـ مقر قيادة الفوهرر ـ ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤١ ٠ القيادة العليا للقوات المسلحة ٠ »

الموضوع ـ أخذ الرهائن :

الى : القيادة العليا للجيش ـ القائد العام للقوات المسلحة فى الجنوب الشرقى « بسبب مهاجمة أفراد القوات المسلحة كما حدث أخيرا فى المناطق المحتلة فانه يتحتم على القادة العسكريين دائما أن يكون تحت تصرفهم عدد من الرهائن ممن لهم ميول سياسية مختلفة ـ مثلا :

١ ـ القوميون ٠

٢ ـ الديمقراطيون من الطبقات المتوسطة ٠

٣ ـ الشيوعيون ٠

« فى حالة المباغتة بالهجوم يطلق النار على الرهائن من المجموعة المعادية (٩٤) » ٠

وطبقا للتقرير السابق والمؤرخ ١٣ من أغسطس سنة ١٩٤٣ نجد أن ١٥٠ من المعتقلين أعدموا نظير قتل اثنين وجرح اثنين آخرين من الجنود الالمان ، وحتى مقدار هذه النسبة حددتها أوامر الالمان : يقتل خمسون من

---

٩٣ ، ٩٤ - نفس المرجع *Trials of War Criminals* ص ٩٧٣ ٠

اليوجوسلافيين نظير موت جندى ألمانى واحد · ويعدم خمسة وعشرون منهم اذا جرح جندى ألمانى واحد · فلا عجب أن ميخائيلوفيتش حذر من القيام بعمليات فردية قبل أوانها · ولم يكن هذا كل ما فى الامر فان اتباع ميخائيلوفيتش كان معظمهم من الطبقة المتوسطة واحدث الالمان اضرارا بالغة بممتلكاتهم انتقاما منهم · وأما الشيوعيون فقد كانوا فى موقف يختلف عن ذلك اختلافا تاما · وما ذكره مستر جوليان أميرى بشأن أنصار الشيوعيين فى البانيا ينطبق تماما على مواطنى يوجوسلافيا:

« كان على المناضلين الشيوعيين أن يقاتلوا اذا تمكنوا من الحصول على الطعام · ولذلك كانوا يساقون منمعركة الى أخرى لمجردحاجتهم الى ذلك· كما لم يردعهم عن شغفهم بالحرب والنهب والسلب خوفهم من الانتقام من ممتلكاتهم لانهم كانوا ـ حقا ـ لا يمتلكون شيئا وفى الحق كانوا يرحبون بهذه الافعال الانتقامية لانه بازدياد عدد من ليس لديهم ممتلكات فان هذا الانتقام يزيد من عدد انصارهم ومؤيديهم · بينما تخريب الممتلكات الذى تضمنته اجراءات العدو يضعف من الاسس الاقتصادية للنظام الاجتماعى للعدو · وعلى ذلك اتخذت عمليات الانصار الشيوعيين صورة حرب العصابات وتمسكوا بانتهاجها · وكانت حركتهم تعمل على التخريب والتدمير وقامت على أنقاض هزائمهم ومثلها كمثل الطائر الخرافى العنقاء Phœnix » ·

ولكن ميخائيلوفيتش كان يعمل فى ظروف أخرى غير مناسبة · فقد كانت الصرب وهى المقر الاساسى لعملياته تحت سيطرة الاحتلال الالمانى · ولذلك كان عرضة دائما لاجراءاتهم الانتقامية القاسية · وأما أنصار تيتو فقد كان لهم مزية العمل شهورا عديدة فى مناطق ليس للالمان اشراف عليها : وكانت مقاومة خصومهم من الايطاليين والبلغاريين أقل من مقاومة الالمان · ولهذا السبب كان تيتو أكثر نشاطا من ميخائيلوفيتش ·

وكانت نهاية المطاف أن تسلم ميخائيلوفيتش « رسائل لاسلكية من كل من حكومة يوجوسلافيا الملكية فى المنفى ومن القيادة العليا للحلفاء بأن يتخلى عن العمل » ·

ومع ذلك وبالرغم من كل هذه العقبات ومن الاوامر الرسمية التى تلقاها فانه أخذ يواصل الوقوف فى وجه الالمان · وبتاريخ ١٩ يناير سنة ١٩٤٣ أصدر جنرال بادر Bader قائد القوات الألمانية فى يوجوسلافيا البيان التالى :

« مجموعة من الثوار تحت قيادة الكولونيل السابق دراجا ميخائيلوفيتش يواصلون القتال . وهؤلاء الثوار يؤدون واجباتهم ويبذلون جهودهم فى خدمة الجيش اليوجوسلافى النظامى . ثم هم يسعون فى اطالة فترة الحرب التى انتهت بعقد الهدنة » .

ثم أن التقرير الذى قدمه جنرال جيهلين Gehlen بتاريخ ٩ من فبراير سنة ١٩٤٣ والذى سبق أن أشرنا اليه يتضمن الآتى فيما يتعلق بحركة دراجا من ميخائيلوفيتش :

« تعتبر ألمانيا العدو الاكبر ومن ثم فلابد من القضاء على جيوشها المحتلة . شأنها كشأن أية قوات أخرى تحتل البلاد » .

ولقد تتبعنا الآن مجرى الاحداث على الجبهة الالمانية لغاية سنة ١٩٤٣ ومنذ سنة من قبل ـ كما يتذكر القارىء ـ اتهمت الدعاية الشيوعية ميخائيلوفيتش بانه لا يقاتل الالمان وانه لم يسبق له أن قام بمحاربتهم وهو حليفهم مرتكبا بذلك جريمة الخيانة . وكان الدليل على أية تهمة من هذه لا أساس له من الصحة . ثم أن اعادة هذه الاتهامات فى محاكمة سنة ١٩٤٦ يوضح لنا ـ الى حد ما ـ كيف كان ميخائيلوفيتش ضعيفا فى دفاعه عن نفسه . واذا كانت المحكمة لم تعتقد فى صدق قوله بينما كانت براءته واضحة جلية فلم تكن أمامه أية فرصة للخلاص عندما كانت الادلة فى غير صالحه . وهذا يؤدى بنا الى الاتهام الاخير أثناء الحرب : هل تحالف حقا مع الايطاليين بقصد « ابقاء الاحتلال ؟ » .

من المؤكد أن عددا من قادته تعاونوا ـ الى حد كبير أو صغير ـ مع الايطاليين فى قتالهم ضد أنصار الشيوعيين . ويبين تقرير Gehlen ما يأتى :ـ

« تحتمل قوات الاحتلال الايطالية حركة ميخائيلوفيتش أو حتى تعمل على تأييدها . وكثيرا ما تستخدم وحدات المحاربين القدماء لمناهضة الشيوعيين » .

ووجد هتلر أن هذه الاحداث تشغل باله وتقلق راحته فكتب بنفسه رسالة الى موسولينى بشأنها . وبعد أن حذره من امداد المحاربين القدماء بالاسلحة والذخيرة واصل قوله :

« انى أتنبأ بخطر من نوع خاص يا عزيزى الدوتشى ـ يكمن وراء تطور حركة ميخائيلوفيتش ٠٠٠٠ ولما كنت أحسب حسابا ـ كما أفعل دائما ـ للخطر الذى تشكله هذه الحركة فقد أصدرت الاوامر على الفور الى قواتى بالقضاء على جميع أنصاره واتباعه قضاءا مبرما وذلك فى المنطقة حيث يقيم هؤلاء القوم » ٠

وكان رد موسولينى :

« لابد أن الوزير ريبنتروب قد أخبرك أيها الفوهرر بمناقشاتنا حول موضوع أنصار تيتو والمحاربين القدماء ٠ ونحن نوافق كل الموافقة على أن هؤلاء الانصار والمحاربين القدماء هم أعداء المحور ٠ كما أننا على استعداد ـ فى حالة نزول قوات الحلفاء ـ لمقاتلة الجميع على حد سواء بسبب وجودنا فى موقف حرج للغاية ٠

وهناك عدة الاف من المحاربين القدماء قد تسلموا الاسلحة ـ عن طريق اجراءات محلية ـ من قادة الوحدة الايطالية للقيام بحرب العصابات ٠٠٠ ولو أن راديو الانصار قد أساء الى سمعة ميخائيلوفيتش باعتباره من الخونة الا أنه لا يقل من أن يكون عدوا لنا بوصفه وزيرا للحرب فى حكومة يوجوسلافيا فى لندن » ٠

ولاول مرة شارك سير ونستون تشرشل موسولينى فى وجهات نظره اذ كتب الى جنرال ايزماى Ismay يقول :

« فى اعتقادى أنه بالرغم من مراوغته وخداعه فى الوقت الحاضر ٠ فان ميخائيلوفيتش سوف يلقى بكل قواته ضد الايطاليين عندما يصبح فى وسعنا أن نمده بمساعدة لها قيمتها ٠ ومن الواضح أن هناك امكانيات هائلة أمامنا فى هذا المجال » ٠

* * *

والآن يجب أن نذكر أن ميخائيلوفيتش ـ وهو ذاته مواطن من الصرب ـ قد اسس أول حركة له فى الصرب التى يحتلها الالمان ٠ وهناك بدأت الثورة وكما رأينا ٠ أنها فى نوفمبر سنة ١٩٤١ اتسع نطاقها حتى شملت جميع أنحاء الصرب على وجه التقريب ٠ واتبعه آخرون فقاموا بالثورة فى جهات أخرى وعلى الاخص فى المنطقة التى يحتلها الايطاليون

وأعلنوا عن مناصرة ميخائيلوفيتش • ولكن القائمين بتلك الحركات كانوا يدينون بالولاء أولا لرؤسائهم الوطنيين • وهؤلاء بدورهم احتفظوا بقدر كبير من الاستقلال فى تصرفاتهم • ولهذا السبب ـ كما أكد موسولينى فى رسالته ـ لم يتخذ الايطاليون أكثر من اجراءات محاية مع المحاربين القدماء • فلم يكن لهم قائد عام فى المنطقة الايطالية •

وكانت النتيجة أن سلسلة القيادة لم تكن متصلة الحلقات بطبيعة الحال • كما كان ميخائيلوفيتش يعلم بالاحداث فى هذا الجزء من البلاد عن طريق القادة المحليين أو مما كان يلاحظ هو ورفاقه أثناء جولاته التفتيشية • وأثناء محاكمته عندما ووجه بما يدل على تعاون قادته مع الايطاليين كان دائما ينكر معرفة هذا الامر وأنه لم يكن يعلم شيئا عن هذا الموضوع أو أنه وجد الموقف على تلك الحال أو ـ بعبارة أخرى • أنه كان عاجزا عن أن يحدث أى تغيير فى الموقف •

والضابط النظامى الذى يتولى قيادة قوات منظمة يكون مسئولا عما يرتكبه أتباعه من مخالفات وجرائم اذا كان يعلم بما يفعلون ولم يستطع أن يكبح جماحهم • ولكن الامر يختلف تماما اذا كان القائد مسئولا عن قوات غير نظامية • وهنا يجب أن نوضح أنه كان فى استطاعته أن يمسك بزمامهم أو ـ بعبارة أخرى ـ أنه اشترك بنفسه فى ارتكاب الجرائم •

وفى جميع سجلات المحاكمة التى بلغت ٥٥٠ من الصفحات المطبوعة، هناك أربع أمثلة يمكن أن تؤيد هذا الاتهام •

أولها تقرير أرسله الميجر بيطار باكوفيتش الى ميخائيلوفيتش بتاريخ ١٦ من يولية سنة ١٩٤٢ هذا نصه :

« جميع وحدات المحاربين القدماء فى منطقة الجبل الاسود Hercegovina يعتبرها الايطاليون وحدات نظامية فانونا تمد بالطعام والسلاح والذخيرة • وليست لهم مرتبات ولكنهم فى بعض الاحيان يتسلمون قدرا يسيرا من المال » •

ولكن ميخائيلوفيتش ـ أثناء محاكمته ـ أتيحت له ثلاث فرص لكى يثبت أن الوحدات النظامية هى أفضل وسيلة للتسلل ، وقد رأينا فيما سبق أن الالمان اعتبروا أن المحاربين القدماء والوحدات الموالية للحكومة منها،

وكذلك « المليشيا الوطنية » · « وقواته المعادية للشيوعية » · « ووحداته من المحاربين القدماء » ليست الا ستارا لاوجه نشاطها الحقيقى · وبذلك يصبح تقرير باكوفتش له ظل من الحقيقة ولا ضرر منه ·

ويبدو من المستندات الثلاث الاخرى أنها تشير الى الهجوم الرابع على أنصار تيتو فى مستهل سنة ١٩٤٣ ــ باستثناء أن سجلات المحاكمة فاتها أن تذكر السنة · وهناك أولا الاشارة التى أرسلها ميخائيلوفيتش والتى وجدت فى دفتر برقياته · وهذا نصها بتاريخ أول يناير سنة ١٩٤٣ :

« لقد جمع بايو Bajo ١٢٠٠ رجل و بافل Pavle ثلاث آلاف من الرجال (للهجوم الرابع ضد تيتو) · والاول رجاله موجودون أوستروج Ostrog ورجال بافل فى كولاسين Kolasin · ويقول الايطاليون أنهم سوف يتخذون القرار فى الثانى من يناير · وللآن يسمحون بالتحرك نحو نكسيك Niksic فقط · وأما بافل Pavle فهو لا يبالى الى أى مدى يسمحون اذا كان موضوع الطعام والمليون ونصف من الطلقات والاحذية والسلاح لن يظل قيد المناقشة · وهناك نقص كبير فى الاحذية ··· واليوم ضمن راكوتشيتش Rakoevic الحصول على الطعام والاحذية ــ وسواء نجح أو فشل فى ذلك فسوف يتخذ بافل Pavle سبيله ولكن من الافضل الحصول على الاحذية وألا يسير الجنود حفاة الاقدام (٩٥) » ·

ثانيا : وطبقا لما جاء بسجلات المحاكمة· نجد أن ميخائيلوفيتش أرشد أحد قادته الى أنه اذا ظهر أنصار تيتو فوق الصخور فسوف يشتبكون فى قتال عنيف مع (الثانية والعشرين) ــ وكانت هذه هى الكلمة المتفق عليها بأن يعنى بها الايطاليون ·

وأخيرا قدم أحد المستندات كان ميخائيلوفيتش يطلب فيها مساعدة سرية ايطالية فى قتاله ضد تيتو · فأرسلها الايطاليون اليه · وأقر ميخائيلوفيتش بصدق تلك الرسالة ·

ولكى تكون الصورة كاملة نقتبس من سجلات المحاكمة ما يأتى :

المدعى : « هل سبق أن اصدرت أوامر لاحد قادتك بمهاجمة الايطاليين وبالقيام بكفاح مسلح ضدهم » ·

---

٩٥ ــ محاكمة ميخائيلو فيتش ص ٤٣٤ ·

المتهم : (يهز رأسه) • كانت هناك بعض مهاجمات صورية • وبعدها جاء المحاربون القدماء لتحرير الايطاليين والاستيلاء على أسلحتهم •

المدعى : هل كان هناك قتال بصورة علنية ؟

المتهم : لا أستطيع الاجابة فى الحال فان هذا متعذر للغاية فليس لدى الآن ما يؤيد ذلك

هذه الاسطر القليلة تصف الاستجواب الخيالى لاية محاكمة لمجرمى الحرب • اذ أن قول المتهم أنه ليس لديه اثبات أو شىء يستند عليه يجب أن يوضع بين قوسين • والنقطة الاساسية هى : يقول ميخائيلوفيتش أن وحداته قامت بهجمات صوريةضد الايطاليين الذين بناء على اتفاق سابق ــ كما يبدو ــ لعبوا دور المنهزمين ثم أخذوا أسرى ونزعت منهم الاسلحة • وبعد انتهاء هذا العرض أطلق سراحهم وجمعوا أمتعتهم وعادوا الى أوطانهم • ولسوء الحظ لم يتضح فى سجلات المحاكمة السبب فى هذا التظاهر ولصالح من ، ونحن لا نستطيع أن نلتمس أى سبب واضح لذلك ومن المؤكد أن الاجراءات من هذا النوع تثير الشك فى نفس المراقب الخارجى فيما يتعلق بتقديره للادلة • وبطبيعة الحال سوف نعتبر ما حدث أنه صحيح وسوف نناقشه فيما يلى :

ولكى يكون الامر واضحا كل الوضوح نكرر أنه لا يهمنا ان كان ميخائيلوفيتش قد حكم عليه بالاعدام حقا بسبب قتله للمناضلين الشيوعيين أو بسبب صلاته مع الايطاليين وتعاونه معهم • كما لا يهمنا أن نوضح أن كانت تلك الصلات لها ما يبررها •والغرض الوحيد من بحثنا هو التأكد من أن حركة المناضلين المنافسين قد اعتبرته حقا من أتباع كويسلنج لانه التمس معونة الايطاليين فى محاربتهم والاجابة على ذلك « **بالنفى** » •

لقد كان يعلم ويؤمن وانتفع شخصيا بتعاون الايطاليين سنة ١٩٤٣ وقبل ذلك بعام ــ أى قبل أن يفعل ذلك ــ اتهمته الدعاية الشيوعية بارتكاب هذه الجريمة • وارتباط ذلك بالاتهام الباطل بتعاونه مع الالمان منذ يولية سنة ١٩٤١ لابد أن يكون له أثره ومما زاد الامر سوءا أننا فهمنا ــ فى الغرب ــ أن اصطلاح «التعاون» هو مرادف « لتقديم المساعدات والتسهيلات للعدو • ولكن لم يحدث مطلقا أن كان ميخائيلوفيتش مدفوعا بمثل هذه العوامل •

على أية حال كانت الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٣ يساورها الشك فى أن ميخائيلوفيتش كان يبذل أقصى ما فى وسعه لهزيمة الالمان وأن الانصار كانوا يفعلون ذلك على الاقل ٠ وفى شهر مايو من تلك السنة قامت بعثة بريطانية بزيارة تيتو لتقدير قوة المناضلين وتقرير أفضل الوسائل لمساعدتهم ٠

ثم أن «تحالف» ميخائيلوفيتش مع الايطاليين لم يستمر طويلا ٠ اذ قام الايطاليون بالتسليم فى صيف سنة ١٩٤٣ وأصبح ميخائيلوفيتش فى موقف ينذر بالخطر ، كما كان المناضلون يعملون اذ ذاك فى أراض ايطالية٠ وكان من السهل الحصول على الاسلحة هناك أكثر من منطقة الصرب التى كان الالمان يحتلونها وحيث كان مقر ميخائيلوفيتش ٠ حتى اذا سلم الايطاليون انتهزت وحدات تيتو الفرصة فقاموا بجمع كميات كبيرة من المواد الحربية ــ ولم يحصل ميخائيلوفيتش الا على شيء قليل وكذلك ما جاءه من المصادر البريطانية ٠

وجاء فى تقرير للالمان بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٢ :

« طبقا لما لدينا من المستندات أن عدد الاسلحة لا تتناسب مطلقا مع عدد القوات المنتظمة التى يشرف عليها دراجا ميخائيلوفيتش ٠

ويتضح من استجواب أحد الاسرى أن (لواء روزينا) المكون من ستة آلاف رجل كانت لديه فقط ثلاثمائة من البنادق وخمسة آلاف طلقة من الذخيرة » ٠

ويمضى التقرير فى قوله أن هذا البيان يشمل فقط البنادق الموجودة بالمخازن ولا يشتمل على ما يحتفظ به أفراد الفرقة ٠ وبطبيعة الحال هذا لا يغير كثيرا من معالم الصورة ان كان لهذه المخازن الخارجية وجود على الاطلاق ٠

وحتى بعد تسلم الايطاليين لم يتحول ميخائيلوفيتش نحو الالمان فقد سجل كابتن ولتر مانسفيلد U.S.M.C عددا من عملياته ضد الالمان فى المدة من أغسطس الى أكتوبر سنة ١٩٤٣ (٩٦) ٠ وفى نهاية سنة ١٩٤٣

---

٩٦ ــ « جندى بحرى مع الشتناق » مجلة السلاح البحرى الامريكى عدد يناير ١٩٤٦ ص ٣ و ص ١٥ عدد فبراير ١٩٤٦ ٠

أقامت حركة التحرير الوطنية بقيادة تيتو حكومتها اليوجوسلافية • وبعد مؤتمر طهران سحب الحلفاء تأييدهم لميخائيلوفيتش • واطلقت الحرية لتيتو لكى يتزود بالاسلحة ، كذلك تخلت حكومة يوجوسلافيا فى المنفى عن مساعدتها لميخائيلوفيتش وقد كان وزيرا للحربية اذ ذاك • والتحق كثير من أنصاره بالجانب الآخر • فأصبح ميخائيلوفيتش فى شبه عزلة •

ويقول بريجادير Maclean : « تخيلنا بمساعدة دعايتنا أن ميخائيلوفيتش فى موقف لم يسبق أن طالب به بصورة جدية ـ ونحن الآن نسقطه من أعيننا لانه فشل فى تحقيق آمالنا » • ويبدى مستر جسبار روثام Jaspar Rootham ملاحظة بقوله : « بينما كنا نعمل على تشجيع الحركات السرية فى كل من فرنسا والاراضى المنخفضة وبولندة والنرويج لتمهيد الطريق حتى تحين اللحظة الحاسمة • أمرنا باتخاذ سياسة مضادة فى البلقان وانتقدنا ميخائيلوفيتش لانتهاجه نفس الطريق الذى كنا نعتبره فى بعض أنحاء أوروبا الطريق السليم » • والسبب واضح دون شك فى سياسة الغرب : بينما كانت الثورات التى قامت فى غرب أوروبا قبل نزول الحلفاء بفترة طويلة ضارة بالسكان أكثر من أن تكون فى صالح جهود الحرب ، كان الامر يختلف فى البلقان ، فطيلة فترة الحرب فى افريقية كانت خطوط تموين الالمان تسير خلال هذه الدول • وعندما وقع الغزو على ايطاليا كانت مهمة البلقان عرقلة قوات الاحتلال الالمانية التى ـ لولا ذلك ـ لتوجهت الى ايطاليا • ونستدل من سجل ميخائيلوفيتش على أنه كان ـ فى حدود امكانياته ـ على استعداد لحمل هذا العبء •

وخلال محاكمة ميخائيلوفيتش وافق على أنه فى نوفمبر سنة ١٩٤٣ أثناء ما أطلق عليه الهجوم السادس ضد المناضلين اشتركت وحداته مع الالمان ، ولكن هؤلاء أدركوا أن ميخائيلوفيتش لم يكن يقصد مساعدتهم أو تمهيد الطريق لهم • وقام بتلخيص الموقف فى كلمات شاهد ألمانى أدلى بشهادته فى قضية مجرمى الحرب فى الولايات المتحدة ضد فيلد مارشال ليست List : فقال « ان رغبة دخول زعماء المحاربين القدماء فى مفاوضات مع السلطات الالمانية • لم يكن ذلك عطفا منهم أو محبة صادقة للالمان • بل لان هؤلاء وجدوا أنفسهم فى موقف حرج اذ كانوا يقاتلون الشيوعيين فى نفس الوقت • ولكى يتجنبوا القتال فى جبهتين حاولوا الوصول الى حل وسط مع الالمان على أن يكون حلا يرضيهم ••• وكل هذه المفاوضات مع

المحاربين القدماء لم تعتبرها القوات المسلحة الالمانية ضمانا لها على أية حال لانها قدرت أنه بعد بضعة أسابيع سيكون مفاوض اليوم خصما لهم في اليوم التالي » •

* * *

ونحن لا ندرى أن كان ميخائيلوفيتش وافق على أنه قام بمفاوضة الالمان فى تلك المرحلة وكل ما يبدو لنا من محاكمته أنه سبق أن اجتمع بالألمان مرتين • احداهما فى نوفمبر سنة ١٩٤١ ولم تكشف المحاكمة عما دار فيها • ولكنه بعد ذلك خاض ضد الالمان معارك حامية ــ والاجتماع الثانى اعتمدته القيادة الامريكية العليا•وكما أوضح كولونيل Mc Dowell أن الاجتماع كان بصدد قبول تسليم الالمان •

وفى أول سبتمبر سنة ١٩٤٤ أصدر ميخائيلوفيتش أوامره للقيام بثورة شاملة كما كان يعد دائما باشعال نارها •

وفى يوجوسلافيا كما فى البانيا أصرت حركة التحرير على اتهام منافسيها بالتحالف مع العدو حتى غلبت على أمرها بعد أن منعت عنها المساعدات الخارجية •

نعود الآن الى اليونان (٩٧) :

فنجد أنه حتى سنة ١٩٤٢ ظهرت عدة حركات للمقاومة • أقواها قامت بها جبهة التحرير الوطنية تحت اشراف الشيوعيين • وكان جيش التحرير المكون من الشعب يعرف بالحروف الاولى ELAS وكانت حركات غير الشيوعيين تعرف بالحروف EDES . تحت قيادة جنرال زرفاس Zervas وكانت Ekka تحت قيادة كولونيل بساروس Psaros ونالت قوتى Elas و Edes وحدهما مساعدة البريطانيين •

---

٩٧ ــ اصدق مرجعين هما *Col. C. M. Wood House, Apple of Discord, London 1948.*
Sir Reginald Leeper, When Greek Meets Greek, London 1950

أما حركة ELAS فكانت مهتمة باخضاع منافسيها أكثر من اهتمامها بمقاتلة الالمان ، وبالرغم من وعدها للبريطانيين فانها قامت بمهاجمة حركة EDES فى اكتوبر سنة ١٩٤٣ • ولم تستطع مساعدة البريطانيين وحدها انقاذ جنرال زرفاس Zervas • فقد كان عليـه أن يحمى مؤخرة قواته وفى الوقت نفسه يواجه مهاجمة الالمان ، وكما كان متوقعا اتهمه الشيوعيون بالتحالف مع رئيس الوزراء ووزير الداخلية فى حكومة كويسلنج وبالتحالف مع الجستابو عن طريقهما وفى الواقع كانت اتفاقيته مع القيـادة الالمانية العليا اتفاقية مؤقتة •

وطبيعيا من السهل أن نوجه اليه اللوم فى هذه الناحية ، ومن ناحية أخرى فان جنرال زرفاس Zervas كان قد رأى كيف قام الشيوعيون بمهاجمة حركات المقاومة واحدة تلو الاخرى بما فى ذلك Ekka وأعدموا زعيمها مع آخرين من الخصوم • وكان الشيوعيون أكثر عددا وأقوى عتادا، ولكن ـ على أية حال ـ لم يستطع زرفاس مواصلة القتال ضد الالمان بينما كان يدافع عن نفسه ضد الشيوعيين • وباتفاقه مع الالمان على الا يقوم كل جانب بأعمال عدوانية ضـد الآخر اكتسب فترة قصيرة لصـالحه دون أن يتخلى عن أى شىء • ومن اجراءاته فيما بعد يتبين لنـا أنه لم يكن يقصـد تقديم أية مساعدة أو تسهيلات للعدو • وفى مارس سنـة ١٩٤٤ وبفضل جهود ضباط الاتصال الامريكيين والبريطانيين عقدت الهدنة بين الشيوعيين و EDES • حتى اذا جاء شهر يونية تحولت EDES بجهودها ونشاطها ضد الالمان « فى صورة اغارات عنيفة دموية » •

وفى نفس اليوم حيث عقدت الهدنة بين الشيوعيين وبين EDES أذاع الشيوعيون تكوين لجنة سياسية للتحرير الوطنى غرضها الاساسى العمل على وجود حكومة ، وفى الربيع قامت ثورة يؤيدها الشيوعيون وعمت أرجاء اليونان ، ولكنها أخمدت ، وقرر الشيوعيون أن يتمهلوا فى خطواتهم، حتى شهر مايو سنة ١٩٤٤ اتفق مندوبو جميع الاحزاب السياسية بما فيها الشيوعيون على تكوين حكومة جديدة •

ولكن ذلك لم يمنعهم من محاولة بقاء منظمة الانصار ELAS لتشرف على البـلاد بطرق ملتوية يعتورها الشـك • وأخذوا يواصـلون اتهـام منافسيهم بالتعـاون • وفى أول سبتمبر سنـة ١٩٤٤ وقع أحـد قـادة الشيوعيين اتفاقية مع ميجر المانى وتعهد المناضلون بمقتضى هذه الاتفاقية الا يعملوا على مضايقة الالمان بشرط أن يتسلم المناضلون مقاليد الامور فى القطاع بعد الجلاء •

وفي اكتوبر سنة ١٩٤٤ تم جلاء القوات الالمانية عن اليونان ودخلت البلاد حكومة الوحدة الوطنية ، وأصبحت معظم البلدان اليونانية فى أيدى الشيوعيين ، ثم أمرت الحكومة بتسريح جميع تشكيلات حرب العصابات وتكوين جيش نظامى • ولما رفض الشيوعيون القيام بحل فرق المناضلين المنتمين اليهم استؤنف القتال مرة أخرى • فتدخلت القوات البريطانية وعملت على استتباب الامن والنظام ، وكانت اتفاقية ١٢ من فبراير سنة ١٩٤٥ تنص على أن يتخلى الشيوعيون عن أسلحتهم وتم الاتفاق على ذلك • « وكانت هذه هزيمة للشيوعيين اليونانيين ولم يكن ذلك راجعا الى عوامل داخلية بل كان بسبب تدخل البريطانيين ، ولولا تدخل البريطانيين لجاء نظام الحكم فى اليونان مماثلا لما فى يوجوسلافيا » •

على أية حال كان الطابع واحدا •

* * *

أما بولندة فكان لابد من اتخاذ تكتيكات مختلفة ، وكانت حركة المناضلين الشيوعيين عبارة عن قوة مهملة وبذلك لم يكن هناك مجال للدخول فى قتال علنى مع منافسيها ، كما لم تكن هناك جدوى من الاتهام بالتحالف كما جرت العادة ، ولم تلقى حركة البولنديين السرية معونة من الخارج يمكن حرمانها منها ، فكان لابد من ابتكار وسائل أخرى للتخلص من المنافسين •

وفى خلال الحرب قيام الجيش الوطنى فى بولندة بتحمل أعباء الجزء الاكبر من حرب العصابات • وقليل من الناس فى الغرب ــ خلال الحرب الماضية ــ كانوا يدركون أن هناك أيضا حركة شيوعية منفصلة يطلقون عليها جيش الشعب ، وعندما وقف الجيش الاحمر على أبواب وارسو سنة ١٩٤٤ قام الجيش الوطنى بقتال عنيف فى المدينة التى لم يحاول الجيش الاحمر التخفيف عنها بالرغم أنه كان من الواضح أنها لا تستطيع المقاومة وقتا طويلا دون معاونة خارجية ، وعندما أراد حلفاء الغرب مساعدة بولندة وطلبوا التصريح لهم بانزال طائراتهم فى مطارات يشرف عليها السوفييت لم يسمح الروس لهم بذلك ، ولم يكن أمام الجيش الوطنى الا أن يلقى مصيره بعد أن نفذت ذخيرته وأنهكت قواه وأحيط به من كل جانب ، وأما جيش الشعب فانه لم يحرك ساكنا لمقاتلة العدو المشترك ــ المانيا ، ولم يكن من المفروض أن يفعل ذلك اذ كان العدو الاساسى هو الجيش الوطنى •

وفى سنة ١٩٤١ كان مصير روسيا معلقا بين كفتى القدر ؛ وفى هذه الظروف كان يتبادر الى الذهن أن كل حليف يرغب فى مقاتلة الالمان لابد أن يكون موضع ترحيب وتقبل جهوده بكل ارتياح ، ولكن كان شعور الروس يختلف عن ذلك ، ففى نهاية سنة ١٩٤١ أرسلوا عميلا الى بولندة ومعه تعليمات باكتشاف مقر الشبكة السرية فى بولندة والعمل على تصفيتها • وتفصيلات هذه البعثة والتطورات التى جاءت بعد ذلك كشف عنها لفتننت كولونيل جوزف سفياتلو Sviatlo من الشرطة السياسية البولندية سابقا والذى هرب الى الغرب فى ديسمبر سنة ١٩٥٣ •

وطبقا لما ذكره سفياتلو Swiatlo (٩٨) لم يقم جيش الشعب بمقاتلة الجيش الوطنى بمفرده بل قام بمساعدة حزب العمال البولندى ومخابرات السوفييت ، وتحالف الجميع مع الجستابو لتحقيق أغراضهم • ثم أن رولا Rola الذى أصبح فيما بعد قائدا لجيش الشعب والقائد العام للجيش البولندى ومارشال بولندة (وأحد السجناء فى ذلك العهد) ، كان أول من أقام علاقة مع الجستابو وأفشى لهم ـ كما يقول سفياتلو ـ مقر الاماكن الخفية للمنظمات السرية ، كذلك أدلى عميل من موسكو بمعلومات للجستابو حول أوجه نشاط الجيش الوطنى واسماء وعناوين أفراده وأضاف الى ذلك أن كلهم من الشيوعيين • وهناك منظمة شيوعية سرية تدعى « السيف والمحراث » Sword & Plough وتعمل تحت اشراف المخابرات السوفييتية • قامت هذه المنظمة بارسال بعض رجالها يرتدون الملابس الرسمية للجستابو ومعهم ضابط من مخابرات جيش الشعب الى مقر محفوظات الجيش الوطنى وصادرت الملفات التى تتعلق بالجيش ذاته وأرسلتها الى مقر الجستابو • ويقول سفياتلو أن من بين المنافسين الذين اقتضى الامر تصفيتهم كأعضاء مكتب وفود حكومة لندن •

وعلى حين حاول الشيوعيون وتحقق لهم النجاح فى البانيا ويوجوسلافيا وبولندة ثم فشلوا فى اليونان فانهم يحاولون بذل أقصى جهودهم فى فرنسا وايطاليا ، وكان فشلهم فى فرنسا يرجع الى جهود جنرال ديجول ومعاونيه • وكان السبب الثانى فى الفشل ـ وهذا ينطبق على ايطاليا أيضا ـ أن الحرب كانت لا تزال قائمة وكان لابد من اطاعة قادة الحلفاء العسكريين ـ وكان هذا أمرا هاما بالنسبة لموسكو أو بالنسبة لواشنطون أو لندن •

---

٩٨ ـ نشرت القصة فى المجلد الخامس من *News from Behind The Iron Curtin* العدد ٣ ـ مارس ١٩٥٥ •

واضطر قادة الشيوعيين الفرنسيين لاصدار الامر لتابعيهم لبذل أقصى جهدهم فى سبيل الحرب ، وبذلك كان مجرى الحزب سببا فى منع الشيوعيين الفرنسيين من استخدام القوة التى حصلوا عليها أثناء المقاومة كوسيلة للاستيلاء على مقاليد الحكم • فقام رجال ديجول باعادة بناء جهاز الدولة واصبحت قوات المجتمع الفرنسى ـ ويختلفون كثيرا عنهم فى البلقان ـ والذين كانوا يعارضون الشيوعية • قادرة على تثبيت أقدامها • وبعد خريف سنة ١٩٤٤ لم يبق أمام الشيوعيين سوى أمل واحد وهو الوصول الى مقاعد الحكم بالوسائل الدستورية (٩٩) •

واذا قامت الحرب بين روسيا والغرب فلن يوجد ما يعطل المناضلين من الشيوعيين في كل من فرنسا وايطاليا • فهم يتلقون الاوامر من موسكو للقضاء على أية معارضة فى استيلاء الشيوعيين على البلاد •

وعلى دول الغرب أن تمعن فى التفكير فى هذا الاتجاه وما ينطوى عليه من مغزى •

---

٩٩ - *Hugh Seton-Watson. The Pattern of Communist Revolution, pp. 222-225*

٩

منظمة الحرب الجديد

والتنظيم السوفييتى لادارة شئون الحرب الجديدة ، تنظيم معقد ، بل ويدعو الى الارتباك ؛ وأولا تعمد بعض الوكالات المختصة غالبا الى تغيير الأحرف الاولى من أسمائها : فمثلا الشرطة السرية التى كانت فيما سبق Cheka غيرت اسمها عدة مرات قبل أن تصبح NKVD ثم أطلق عليها فيما بعد MVD ومما زاد الامر صعوبة أن ادارة المخابرات التابعة للجنة الأمن الرسمية اندمجت فى وقت ما مع MVD, NKVD واتخذت لنفسها الحروف الاولى منها • بينما فى فترات أخرى انتهجت حياة مستقلة وكانت تعرف بالحروف الاولى من اسمها MGB ثم حولته مرة أخرى وأصبح جزءا من KGB •

ولكن ليس هـذا كل ما فى الامر • فقـد أصبحت وظائف الوكالات الرئيسية تعتمد كل منها على الاخرى ، وحتى وفاة ستالين كانت كل من G.R.U., MVD (ادارة المخابرات الرئيسية للجيش الاحمر) تقوم بأعمال المخـابرات السياسـية والحربية فى الخارج ، ولما كانت الشرطة السرية MVD مسئولة عن أمن الدولة فان مهمة ضباطها ليست مقصورة على العمل فى حدود منظمتها بل تتعداها الى المنظمات الاخرى التى تشرف عليها ــ مثل منظمة G.R.U. •

وأخيرا نجد فى أعماق التشكيل أكثر من هيئة واحدة تستطيع القيام بمهمة معينــة • فعلى حين يعتبر الحزب مسـئولا عن الدعاية وعن اثارة الشغب • وعلى حين أن بعض أقسام سرية منه تتنــاول أعمال التخريب وأخرى تعنى بشئون المخابرات، فان المناضلين يشرفون على كل هذه المهمات بالاضافة الى ادارة عملياتهم وتأدية واجباتهم •

وبطبيعة الحال كان فى ألمانيا النازية مثل هذا ، من اعتماد كل هيئة على الاخرى ، وكان لذلك سببان :

١ ـ كان كل من الرؤساء مغرمين بأن يبنى لنفسه أمبراطورية خاصة •

٢ ـ وكان هتلر يميل الى هذا النوع من الاتجاه اذ يستطيع أن يضرب كلا بالآخر ؛ فكانت النتيجة وجود حقد متبادل مع شيء من عدم الكفاية والجدارة ، والمثل الرائع لذلك هو موضوع ششيرو Cicero حيث كانت تتنازعه الادارة السرية السياسية التابعة لهملر وادارة المخابرات التابعة لهيئة القيادة العليا • وأعلن الفريق المنتصر أن مكافأة الفريق الخاسر هى جمع الخطط الحربية السرية للحلفاء والتى تعتبر مزورة • ثم يلقى بها فى سلة المهملات •

ومن الصعب القول بأن هذا الاتجاه فى الجهاز السوفييتى كان مرجعه الى الأسباب مماثلة أو الى أسباب أخرى • ومما لا شك فيه أن باريا Beria ـ ومثله كمثل هملر ـ كان يتجه لبناء سلطانا خاصا به ، وكان ستالين ـ وشأنه كشأن هتلر ـ قد احتفظ لنفسه بالاشراف على أجهزة الدولة والحزب المنتمى اليه ، ومهما يكن من أمر **فان الطابور السادس السوفييتى** لم يبد أى علامات تدل على عدم الكفاية سواء فى ميدان التجسس على استخدام الذرة أو فى الدعاية الهدامة أو حرب العصابات •

وكان **الطابور السادس** يؤدى المهام التالية فى وقت السلم :

(أ) الدعاية واحداث الشغب •

(ب) التخريب والارهاب (الاغتيال والاختطاف) •

(حـ) « المخابرات » الحصول على المعلومات •

(د) الاعداد للمهام التى يقوم بها المناضلون •

ويضاف الى أوجه النشاط هذه فى وقت الحرب :

(هـ) حرب المناضلين أى قيامهم بالقتال •

وسوف نتناول بيان هذه الوظائف فى هذا الترتيب الذى جاءت فيه •

(أ) الدعاية واحداث الشغب :

هذه هى المهام العـادية للاحزاب الشـيوعية فى جميع الدول التى لا تكون تحت اشراف الحكومة ، وكان **الكومنترن** هو أول من وضع القواعد العامة وراقب تنفيذها ،**والكومنترن هو منظم الاحزاب الشيوعية فى مختلف الدول فى قالب واحد هو الحزب الشيوعى العالمى** • وبه قسم خاص يتولى احداث الشغب والدعاية • وفى سنة ١٩٤٣ تظـاهرت منظمة الكومنترن بأنها انحلت ارضاء لشعور الحلفاءوكانوا ينظرون اليها نظرة استياء ،ويحوم الشك حولها • ان كان هذا الامر قد حدث بالفعل • ثم أن اللجنة الملكية فى كنـدا التى قامت فى سـنة ١٩٤٦ بفحص الحقائق فيما يتعلق بوصـول المعلومات السرية الى السوفييت قدمت الدليل على النقيض وأن الكومنترن لم يحل • وقد لا يعد من باب الاتفاق أنه بعد نشر هذا التقرير بفترة قصيرة فى سنة ١٩٤٧ أن أذيع تكوين الكومنترن وما ينتهجه من مهام ووظائف وأغراض فعلية •

وأما القيام بالدعاية واحداث الشغب فقد جاء ذلك فى الفصل الخامس ولا يحتاج الى ايضاح أو تفصيلات أخرى هنا •

(ب) التخريب والارهاب :

الارهاب والتضليل فى الخارج عملية يعتبرها السـوفييت جزءا من المخابرات الخارجية وأداة لضمان استتباب الامن فى بلادهم ، والمصـدر الأصلى للمعلومات من المنظمة الحالية ومهماتها كشف عنها الستار خوخلوف Khokhlov فى بياناته التى أدلىَ بها فى مكاتب اللجنة العليا للولايات المتحدة فى ألمانيا فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٥٤ (١٠٠) • والبيان التالى منقول عن المذكرات المختصرة التى أصدرتهـا السـلطات الأمريكيـة فى ذلك الوقت :

« ادارة حركة الارهاب والتضليل مهمـة يقوم بهـا ضبـاط وزارة الشئون الداخلية • وهم ضباط يعيشون حياة متضاربة متنوعة الجوانب • فقد تدرب كابتن Khokhlov خلال الحرب على القيام بنشاط فى ملابس

---

١٠٠ — *Nicolai E. Khokhlov, I Wculdnot Murder for The Soviets 1954*

رسمية المانية خلف خطوط الالمان • ومثله كمثل الهروتيلجنستن Oberlevtnant Wittgenstain في جهيم فلديولزى Geheime Feldpoligei الذى لعب دورا هاما لعرقلة جهود قصاب منسك The German Gauleter في Minsk • بعد ذلك قام بزعامة أعمال المناضلين في منطقة منسك وبولندة الشرقية وفي لتوانيا • وفي سنة ١٩٤٥ توجه الى رومانيا لكى يستطيع مع آخرين في الدول التابعة في شرق أوروبا لتنظيم اجراءات شبه عسكرية يقوم بها المناضلون اذا اكتسحت قوات العدو تلك البقاع ، ثم تمكن من الحصول على جواز سفر بولندى وعلى الحقوق المدنية في رومانيا وأوراق نمساوية • وفي سنة ١٩٥٢ رفض أن يقوم بمهمة للاغتيال في فرنسا • وكان لابد لذلك من امداده بأوراق سويسرية • وفي نهاية سنة ١٩٥٣ عهد اليه بمهمة اغتيال أحد البارزين من مهاجرى الروس في فرانكفورت ـ ألمانيا الغربية • وبطبيعة الحال أخبر ضحيته بالقصة كلها وطلب من السلطات الامريكية في فرانكفورت اعتباره لاجئا سياسيا •

وكانت أوجه النشاط هذه ينظمها ما يعرف الآن بالقسم التاسع للارهاب والتضليل ، وهو قسم يشكل تصميما غير عادى لمصلحة حكومية• ويتبع الادارة الرئيسية الثانية في MVD – المخابرات الخارجية • وأما الادارة الرئيسية الاولى فكانت مسئولة عن الجاسوسية المضادة •

وفي سنة ١٩٥٣ اضطلع القسم بمهمة من نوع مختلف : فقد أرسل أحد العملاء الى الدينمارك لتحريض الحزب الشيوعى هناك على مناهضة التحول المرتقب للدينمارك لكي تصبح قاعدة أمريكية انجليزية •

ويتخذ القسم التاسع مقرا له في موسكو • وكانت أول قواعد لعملياته في النمسا وفي ألمانيا الشرقية ، وكانت القاعدة النمساوية في بادن بالقرب من فينا والقاعدة الالمانية في كارلشورست Karlshorst ، وكان هناك قسم دانيماركى خاص يتصل بالاخير وقت المغامرة التي قامت بها الدينمارك •

ثم أن القسم التاسع والادارة الرئيسية الثانية هي وكالات MVD ولكن كابتن خوخولوف الذى كان يعمل لصالحها اعتبر نفسه ضابطا في MGB ، وليس في هذا الوضع شيء يدعو الى التناقض فهي النتيجة المباشرة لعادة الروس من حيث التلاعب بالحروف الاولى من أسماء وكالاتهم الداخلية كانت تعرف أصلا باسم تشيكا Cheka ، وتغير هذا الاسم بصور

مختلفة ، وقد ذكرنا من قبل أن الشرطة السرية التابعة لوزارة أمن الدولة سنة ١٩٢٢ فأصبح جبو GPU وبعد ذلك بقليل اصبح أجبو OGPU ، وبعد التطهير عندما أصبحت هذه المنظمة سيئة السمعة اتخذت اسما لها الحروف الاولى NKVD وفى سنة ١٩٤٣ استبدلت بمنظمة اخرى واصبح اسمها NKGB وبعد ثلاث سنوات سميت بوزارة الامن العام – MGD ، وبعد وفاة ستالين اندمجت MGB مع MVD · ويتبعان الآن وكالة واحدة تعرف اسم MVD وهى وزارة الشئون الداخلية ·

وكان لخوخولوف مساعدان من ألمانيا الشرقية لمهمة الاغتيال في فرانكفورت سبق أن اختارهما من قبل ، ولكن جرت العادة أنه لا حاجة للاعتماد على مساعدين من الخارج ، لان الاقسام السرية فى الاحزاب الشيوعية فى الخارج لديها جداول بأسماء من يصلحون لمثل هذه المهام ، كما أن لدى الاقسام الاشخاص اللازمين للقيام بعمليات التخريب والتجسس والاغتيالات · وهؤلاء الاعضاء يختارهم الحزب الشيوعى حتى اذا أصبحوا يتبعون هذه المنظمات الخاصة انقطعت علاقاتهم بالحزب ·

(ح) المخابرات جمع المعلومات :

يهتم عدد من الوكالات السوفييتية بجمع المعلومات من الخارج ، والمخابرات الدبلوماسية من اختصاص وزارة الشئون الخارجية ، وتهتم المخابرات البحرية بالميدان الذى تعمل فيه ، ثم أن أوجه النشاط هذه من الامور المعتادة ولا يحتاج الامر لتناولها أكثر من ذلك ·

وتجمع وكالة تاس التقارير الهامة من الصحف والمجلات ، ولكن لاعضائها فى الخارج مهام خاصة بجانب ذلك ، فقد كشف مستر بتروف عن أن مندوب وكالة تاس فى استراليا كان من رجالMVD، وكان يبعث بمعلوماته الى ضابط MVD فى السفارة ، ولكنه كان يعمل أيضا كضابط اتصال مع الخارج · وأضاف بتروف يقول أن مندوب وكالة تاس فى كل دولة هو فعلا من ضباط MVD ·

ومما هو غريب أيضا المهام التى تقوم بها المخابرات الخارجية التابعة للكومنفورم و MVD و RGU فى الجيش الاحمر ، ففى السفارة موظفون من MVD و GRU · ولكن بالرغم من أن موظفى GRU هم ضباط الجيش الاحمر ويضطلعون بالمخابرات العسكرية فلم تكن هناك حاجة

لاستخدامهم فى ادارة الملحق العسكرى • وفى استراليا كان مندوبو GRU يعملون بوصفهم Repatriation Officers أى ضباط لاعمال التشهيلات وتسفير العائدين للوطن (١٠١) •

كذلك لم يكن هناك بطبيعة الحال قسم MVD فى أى سفارة سوفييتية. فكل موظف فى السفارة قد يكون من رجال MVD • وحتى الموظفين الآخرين لا يستطيعون التمييز بين هؤلاء وغيرهم • فكل منهم لديه عمل آخر فى السفارة : مثلا بتروف وهو ضابط فى MVD برتبة الكولونيل كان مسئولا عن قسم القنصلية ، ولكى يكون الستار محكما فان الرتبة والوظيفة الرسمية فى السفارة لا تدل بأى حال على الرتبة طبقا لنظام MVD ، وكان بتروف وهو سكرتير ثالث فى حدود نظام MVD أعلى درجة من السكرتير الثانى فى نفس السلك بالسفارة •

وتهتم MVD قبل كل شىء بالمخابرات ــ السياسية منها والاقتصادية والفنية ، وفى الواقع بكل ما يتعلق بالمخابرات ما عدا المخابرات العسكرية المحضة التى هى من شئون ضباط GRU • ويركز الكومنفورم جهوده على المخابرات السياسية والاقتصادية • والكومنترن وهو الآن الكومنفورم يؤدى مهمة خاصة للجميع ، فاذا احتاج الامر لاختيار عميل لاية وكالة يقوم الكومنترن بفحص أمره أولا ، ولدى الكومنترن لهذا الغرض ــ سجل شامل للافراد الذين هم تحت تصرفه فى جميع أنحاء العالم ، وموسكو هى مركز هذا السجل ، وتستهدف اجراءات الفحص والتحرى غرضين هامين :

١ ــ الكشف عن العملاء الذين لا يوثق بهم للعمل •

٢ ــ العملاء الذين يعملون فى شبكات أخرى ثم استبعاد الجميع من القائمة •

اذن كان من أهم واجبات الكومنترن أن تكون ملفاتها مستوفاة وتشمل جميع الافراد الشيوعيين فى كل مكان • وزيادة على ذلك • فهى فى حاجة

---

١٠١ ــ أقوال بتروف فى تقرير اللجنة الملكية باستراليا يوم ٢ من يوليو ١٩٥٤ ص ١٠٦/١٠٧ •

الى معلومات عن المشاكل الاجتماعية الخارجية بصورة عامة • وعن أوجه نشاط الاحزاب الشيوعية المختلفة بنوع خاص • وذلك لكى تقوم بحملات الدعاية واحداث الشغب كلما سنحت لها الفرصة •

ثم هى تزود أجهزة مخابراتها بوسائل ثلاث :

١ ـ أولها : الاحزاب الشيوعية المختلفة فهى تشكل مصدرا محدد المعالم •

٢ ـ والوسيلة الثانية هى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى الذى يحصل على معلوماته من القسم السياسى فى كل سفارة سوفييتية فى كل دولة •

٣ ـ هناك أفراد من العملاء فى الخارج يكرسون جهودهم على القيام بهذه المهمة • وكان سورج Sorg، رئيس الجواسيس • أحد هؤلاء الافراد •

وتختص ادارة المخابرات الرئيسية فى الجيش الاحمر GRU بجمع المعلومات الحربية والسياسية ، فبالاضافة الى المعلومات حول الامكانيات الاقتصادية والحربية لدول أجنبية • وحول الصناعة هناك وخاصة فيما يتعلق بوسائل الدفاع • فهى تسعى لجمع المعلومات التى تكشف عن خططها السياسية • ولا تقتصر المعلومات على هذه الناحية البالغة الاهمية • بل تتعلق أيضا بمهام لها طابع خاص كمحاولات استراق السمع من التليفونات أو دخول العملاء الى البلاد بطريقة غير شرعية •

والمصادر الاربعة التى تأتى منها المعلومات هى :

١ ـ أوجه نشاط الملحقين العسكريين •

٢ ـ حلقات التجسس •

٣ ـ الانصار •

٤ ـ المجموعات السرية للمخابرات •

وخلال الحرب الماضية كان هناك على الاقل ثلاث حلقات للتجسس تعمل لحساب السوفييت :

١ ـ الاوركسترا الحمراء في أوروبا الغربية ٠

٢ ـ شبكة صوفيا التى كانت تغطى جنوب شرقى أوروبا ٠

٣ ـ حلقة التجسس تحت اشراف سورج في اليابان ، وقد انتهى أمر الاوركسترا الحمراء بعد فترة طويلة ، وفى صوفيا كانت بعثة السفارة السوفييتية تدير حركة الشبكة هناك ٠ ووصفها الهر فون بابن Herr von Papen فى مذكراته بأنها كانت أفضل مركز لجمع المعلومات فى النظام السوفييتي ٠ ولكن عملياتها لم يعرف عنها شيء ، وأما مهمة حلقة التجسس تحت اشراف سورج فتد سبق أن ذكرناها فى الفصل الثالث ٠

وكذلك فان مهمة الانصار فيما يتعلق بالمخابرات فقد تمت مناقشتها فى الفصل التاسع ٠

وكانت مهمة الحزب الشيوعى تكوين مجموعات المخابرات السرية فى كندا من الاهالى هناك ، ومن المفروض أن الاقسام السرية فى كل مكان تقريبا كانت تتكون من أهالى الدولة حيث توجد هذه الاقسام ٠

وتعمل هذه المجموعات السرية فى نطاق نظام غاية فى الحذق والمهارة والحرص ٠ وبطبيعة الحال كان هؤلاء الذين يعملون لحساب الجيش الاحمر لا علاقة لهم بأية وكالة أخرى ؛ ولكن ـ وهذا وضع غريب ـ كانت المجموعات المختلفة التى تستخدمها المخابرات الحربية لا تعمل تحت اشراف رئيس واحد من السوفييت ٠ بل كان لهؤلاء عدة شبكات خاصة يشرف عليها عدة رؤساء ٠

وهذا النظام السرى الذى يسير فى خطوط متوازية يعمل على استتباب الأمن فى شبكات السوفييت ٠ اذ لا يستطيع الأعضاء ولا الرؤساء افشاء كثير من المعلومات اذا اقتضى الامر الاعتراف بأى شيء ، واذا تمكنت المخابرات المضادة من اكتشاف مجموعة واحدة فان مجموعات أخرى تستطيع مواصلة مهامها السرية ٠ ولا يعرف عدد هذه الشبكات ومدى نشاطها غير الادارة الرئيسية فى موسكو ٠

وعندما اكتشفت اللجنة الملكية فى كندا أمر مجموعة NKVD — كما كانت تسمى فى ذلك العهد — وما يتعلق بمهمتها ، كان ذلك يختلف تماما عن مهمة شبكات الجيش الاحمر ، وتأكدت هذه المعلومات فى جلسات اللجنة الملكية فى استراليا • فقد كان العملاء — كما فى السويد — يعملون كل منهم على حده ولا يتبادلون ما لديهم من المعلومات ، وكان الجميع يتبعون نظاما موحدا ، وطبقا لتوجيهات موسكو فان احدى الوسائل للحصول على معلومات سرية هى عن طريق « تسـلل العملاء الى المؤسسـات الحكومية والدوائر الرئيسية » • كمـا أن تدريب مندوبى GRU, MVD يسير على قاعدة واحدة وطبقا لنظام واحد (١٠٢) •

وأمام اللجنة الملكية التى قامت بالتحقيق فى الجاسوسية الروسية فى ملبورن اتضحت لها واجبات مندوب MVD فى الخارج ، وكان ذلك بتاريخ ٦ من يوليه سنة ١٩٥٤ وكان مصدر هذه الواجبات كما يلى :

« خطاب بتاريخ ٦ يونيه سنة ١٩٥٢ يحتوى على ارشادات من موسكو الى (بتروف) لتكوين منظمة من العمـلاء المنحرفين فى استراليـا وذلك للعمل فى حالة قيـام حرب مفاجئة • ولكن بشرط الا يدخل الخوف الى نفوسهم بقوله أن الحرب وشيكة الوقوع فى المستقبل القريب • وجاء فى الخطاب أن المخابرات فى استراليا سنة ١٩٥١ كانت فعلا فى حالة ركود ولم تأت بنتيجة محسوسة • كما تحدث الخطاب عن ضرورة وجود منظمة قوية تشمل جميع أنواع المخابرات للكشف عن مقاصد العدو وتصميماته• ثم الحث على القيام بعمليات غير شرعية فى استراليا واعتبارها من أول واجباتها •

« ومن واجب مسـتر بتروف أن يجند العملاء ممن لهم دراية بأعمال المخابرات والمخابرات المضادة والذين فى استطاعتهم أن يأتوا بمعلومات حول خطط الامريكيين والانجليز •تلك الخطط التى ترمى الى تخريب البلاد السوفييتية والشيوعية ، ثم يعهد الى هؤلاء العملاء بالقيام بمهام محددة مقدما ، اذ أن هنـاك ما يدل على أن حربا وشـيكة الوقوع • على الا يتم اختيار العملاء من أشخاص معروفين للمخابرات المضادة •

---

١٠٢ - *E. H. Ccokridge, Souiet Spy Net, London, 1955 p. 100*

« وكان الاتحاد السوفييتى يعمل على التدخل لكشف القناع من عملاء العدو • كما كان يتحتم على مستر بتروف أن يركز جهوده على الاتصال بالافراد ممن هم فى أعمال حكومية سرية ومن القادرين على الادلاء بمعلومات لها قيمتها • ولتنفيذ الخطة كان لابد له من الشجاعة والدقة والاقدام ومحاولة الابتكار فى اتخاذ الاجراءات اللازمة • ولم يكن هناك مجال للتردد والاحجام أو الاهمال أو الجبن أو الخوف • وكان المندوب الجديد لوكالة تاس يعمل على تعضيد هذه المهمة وتسهيل تنفيذها » •

وتكشف هذه التعليمات عن ناحية هامة أخرى ـ فهى تحث على ضرورة النهوض بمهمة المخابرات المضادة • وتضيف أنها ناحية جديدة بالغة الأهمية (هكذا) • وهنا تتضح لنا نتيجة واحدة : ففى ذلك الوقت بدا أن جماعة الدفاع عن أوروبا أصبحت حقيقة واقعة • وأن السوفييت بدأوا يدركون أن دول العالم الحر قررت الدفاع عن نفسها ضد الاعتداء •

* * *

وهنا نتوقف قليلا لكى نعيد النظر فى وضع عمل المخابرات والمخابرات المضادة داخل نطاق MVD • فنجد أنه من الواضح تماما من التعليمات السابقة أن بتروف كان عليه أن يقوم بهذه العملية المزدوجة • ويتبادر الى الذهن • فى هذا الشأن ـ أن أفراد MVD فى الخارج كانوا يؤدون نفس هذه المهمة ، فقد صدر خطاب دورى من MVD الى عملائها المقيمين فى الخارج بتقديم تقارير منفصلة عن كل نوع من الاعمال التى يقومون بها ، فيرمز للمخابرات بحرف "O" وللمخابرات المضادة بحرف "K" •

وترسل جميع التقارير الى مقر رئاسة MVD وليس الى ادارة معينة ، ولا يعرف فى الوقت الحاضر أى قسم يختص بالمخابرات وأى قسم يختص بالمخابرات المضادة ، وطبقا لما جاء فى تقارير خوخولوف المختزلة فان المخابرات المضادة كانت من اختصاص الادارة الرئيسية الاولى والمخابرات الأجنبية من شئون الادارة الرئيسية الثانية ، ولكن مستر كوكريدج يؤكد أن الادارة الاولى تتناول كلا من المخابرات والمخابرات المضادة ، على حين أن الادارة الثانية من شأنها مراعاة أمن الدولة ، ومما يبدو أشد تعقيدا أن بتروف قرر أن بانيوشكين هو رئيس الادارة الاولى الرئيسية على حين أن كوكريدج والنقيب خوخولوف يريان من وجهة نظرهما ـ أن بانيوشكين هو رئيس الادارة الثانية ، وأخيرا يختلف كل منهما حول من كان رئيس الادارة الاولى •

وفى هذا القدر كفاية من حيث عمل المخـابرات فى الوكالات الثلاث الرئيسية السابق ذكرها ٠

وعلى أنه ظهرت وكالة رابعة وهى « لجنة أمن الدولة » التابعة لمجلس وزراء الاتحاد السوفييتى ٠ ومن وظائف هذه اللجنة الجديدة أن **تعمل على التنسيق بين نشاط كل من المخابرات والمخابرات المضـادة ، فهى بذلك تقوم بالمهمة التى كانت** تتناولها فيما **سبق لجنة الاستعلامات التى هى فرع من اللجنة المركزية التابعة للحزب الشـيوعى** ، وقد يتبـادر الى الذهن ــ وليس على وجه التحقيق ــ أن اللجنة الجديدة ومثلها مثل اللجنة القديمة ٠ لها علاقة مباشرة مع جميع السـفارات ٠ = **راجع الجدول البيـانى لهذه اللجنة وتنظيمها على الصفحة التالية** = ٠

وكانت هذه هى المنظمة السوفييتية للحرب الجديدة (١٠٣) ٠

(د) اعداد مهمة :

وقد جاء فى أقوال خوخولوف :

كان اعداد المناضلين فيما سبق من شئون المكتب رقم ١ من MVD وأطلق عليه فيما بعد سنة ١٩٥٣ القسم التاسع المختص بأعمال الارهاب وتغيير المبادىء ٠ وسبق لنا أن ناقشنا بعض أوجه نشاطه ٠

---

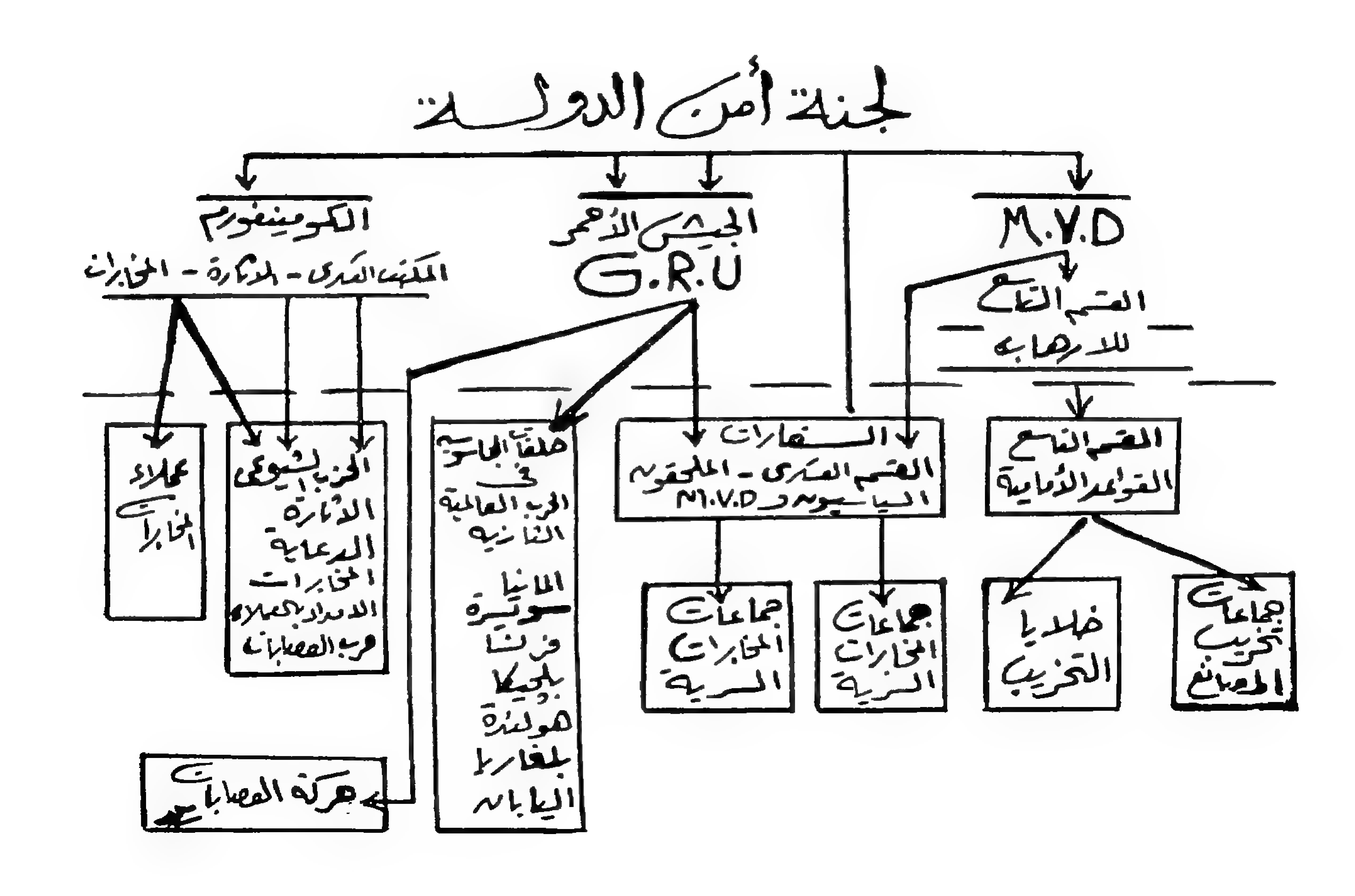
١٠٣ ــ فقط يتلاحظ هنا ٠٠٠

ذكر مستر كوكريدج فى الجدول البيـانى المقابل لصفحة ١٢٨ من كتابه ان (الملحق العسكرى) كان هو واسطة الاتصال بين ادارات *MVD* ونعتقد ان هذا الاتصال المباشر كان قد توقف بعد ان انتقلت *GRU* من *MGB* الى الجيش الاحمر ٠

وفى الجدول البيانى للمنظمة الجديدة ان الملحق العسكرى يشترك مع السفارة فى شبكتها ولكن يبدو مما يتوافر لدينا من أدلة أنه كان لكل شبكته الخاصة به ٠

ولم يجىء فى الجدول البيانى كذلك ان لرياسة *MVD* ضباطا فى السفارات وانها تتصل بهم مباشرة ٠

وكذلك لا نتفق مع ما يقوله مستر كوكريدج من ان «الاوركسترا الحمراء» شبكة جاسوسية التى كانت تعمل فى سويسرة (راجع الفصل الخاص بفقرات من كتاب فن الجاسوسية اصدار المجموعة) كانت تعمل تحت امرة باردينا (ص ٣٦) ذلك لان الواقع ان شبكة (الاوركسترا الحمراء) كانت تمول بوساطة مخابرات الجيش الاحمر ٠



لجنة أمن الدولة
M.V.D
الجيش الأحمر
G.R.U
الكومينفورم
المكتب العسكري - الإثارة - المخابرات
القسم التاسع للإرهاب
القسم التاسع القواعد الأمامية
السفارات القسم العسكري - الملحقون السياسيون و M.V.D
حلفاء الجاسوس في الحرب العالمية الثانية
ألمانيا
سويسرة
فرنسا
بلجيكا
هولندة
بلغاريا
اليابان
الحزب الشيوعي
الإثارة
الدعاية
المخابرات
الإمداد بالعملاء
حرب العصابات
عملاء المخابرات
جماعات تخريب المصانع
خلايا التخريب
جماعات المخابرات السرية
جماعات المخابرات السرية
حركة العصابات

« تكون المكتب رقم ١ فى سنة ١٩٤٥ وكان أعضاؤه من كبار ضباط MVD ومن عملاء مدربين لهم سابق خبرة بأعمال المناضلين خلف خطوط الألمان أثناء الحرب ، وكان الغرض الاساسى هو العمل على تكوين حفنة من كبار العملاء فى المناطق خارج الاتحاد السوفييتى ، وبمرور الوقت يصبح هؤلاء العملاء على دراية باللغةوالعادات وطبيعة الارض والمشكلات السياسية فى المنطقة ، كما كان المقصود منهم أن يتولوا قيادة المناضلين الذين قد يتسللون أو يهبطون بالمظلات فى المنطقة فى حالة قيام حرب .

وقد طبق البرنامج فى الدول التابعة ، واقترح أصحاب الشأن تطبيقه فى دول غرب أوروبا . وتكونت أول فرقة علـى هـذا النظام فى رومانيا سنة ١٩٤٥ ، وبعدها فى بولندة والمجر وتشيكوسلوفاكيا ، وفى مستهل سنة ١٩٥١ تكونت مجموعة فى النمسا وأخرى فى ألمانيا الشرقية فى أواخر السنة ذاتها .

بدأ المكتب رقم ١ فى تغيير رسالته فى سنة ١٩٥١ عندما اتجهت الرغبة الى توسيع نطاق الشبكة فى ألمانيا الغربية ، فقد دلت التجربة على أنه من المتعذر استخدام مواطنى السوفييت فى العمليات ، وتغيرت الخطة الى اختيار وتدريب الالمان الشرقيين الذين يمكن ارســـالهم للاقامـة فى الجمهورية الفدرالية ، كما أن ضباط MVD من الســوفييت يستطيعون ادارة هذه الشبكات من مقرهم فى برلين . حتى اذا نشبت الحرب يتمكن أفراد هذه الشبكات من شق طريقهم فى الخفـاء الى ألمانيـا الغربية حيث يواصلون عملياتهم .

وفى سنة ١٩٥٢ و ســنة ١٩٥٣ حدثت تغييرات أخرى . فقد تقرر استخدام العملاء الموجودين فى أعمال التخريب وغيرها من أوجه النشاط الهدام على حين تقرر صرف النظر عن الاجراءات الاخرى « الطويلة الاجل » الى المستقبل القريب ، وزيادة على ذلك اعتبرت عمليات المكتب رقم ١ وهو ما يعرف الآن بالقسم التاسع للارهاب وبث الفساد ليست سوى ازدواج وتكرار لعمليات المخابرات السوفييتية الاخرى ، وبخاصة عمليات الادارة الرئيسية الثانية وهى التى ــ كما ذكرنا فى الفصل السابع « كان لها عملاء فى الغرب للقيام بأية عمليات يستطيع المكتب رقم ١ أن يعد العملاء ويقوم بتدريبهم وتوجيههم الى مقر نشاطهم هناك ، وبذلك اتخذت الاجراءات لان يكون القسم التاسع تابعا للادارة الرئيسية الثانية (المخابرات الاجنبية) التابعة MVD وعهد الى القسم التاسع بتنفيذ « المهام الخاصة » للادارة الرئيسية الثانية . كما رأينا فى الفصل السابع .

ومنذ قيام الحرب كونت كل من الدول التابعة لواءاتها الخاصة بهـا للقيـام بحرب العصـابات ، وهنـا يتضح السـبب فى صرف النظر عن « الاجراءات الطويلة الاجل » في سنة ١٩٥٢ فيما يتعلق بهذه الدول ، كما أنه ليس هناك أدنى شك فى أن الاعداد لحرب المناضلين فى تلك الدول ــ دول الغرب ــ حيث تعضدها قوة الحزب الشيوعى فان هذا الاعداد لا يزال يعهد به الى الادارة الرئيسية الثانية التى يتم تنفيذ عملياتهـا عن طريق شبكتها من « العملاء فى الغرب » ٠

(هـ) حرب المناضلين :

يقوم الحزب الشيوعى فى الدولة باعداد وتنظيم حركة حرب العصابات٠ فهو يعين القادة ويدير حركة العمليات ٠ وهذه هى الصورة العامة لحرب العصابات فى كل دولة ــ سواء كانت في روسـيا ــ فرنسا ــ الملايو ــ أو الصين ٠ ولكن المنظمة ذاتها لا تعتبر تنظيما جامدا بل يتغير التنظيم من دولة الى أخرى ٠

وهناك أسباب عملية وفنية لاختلاف هذه التنظيمات واتجاهاتهـا ٠ فلقد حاربت العصابات الروسية ــ خلال الحرب الماضية ــ كقوة مساعدة للجيوش النظامية ٠ على حين أنها فى الملايو كانت هى القوات المقاتلة فى الميدان ، وكان المناضلون الشيوعيون فى فرنسا Francs Tireurs et Partisans F T P يقاتلون فى الحرب الماضية فى صف الحلفاء حيث يتبعون القادة هناك ، ولكن قوات المناضلين التى عملت ضد الحلفاء كانت تحت قيادة المكتب الخامس أو المكتب العسكرى التابع للكومنفورم (١٠٤) ٠ وسيتولى الكومنفورم قيادة الفرنسيين الشيوعيين فى حرب العصابات اذا اشتبك الحلفاء فى حرب ضد الروس ، ومع ذلك فان قيادة الكومنترن فى روسيا لم تخرج الى الوجود فى الحرب الاخيرة بأية حال ٠ اذ كان من المفروض خلال نصف الحملة أن التنظيم قد حل ٠ ولعله لهذا لم توضع حركة المناضلين الروس تحت اشراف القيادة العليا للكومنفورم ٠

---

١٠٤ — *Lt. Col. John Baker White, The Armies of Communism Military Digest, G. S, Army H. Q (New Delhi) July 1954*

ولكن من المسلم به أنه فى أى حرب مقبلة فسوف تعود هذه العصابات بقيادتها وعتادها فى تشكيلات أثبتت وجودها وجدارتها فى تجربة القتال فى الحرب الاخيرة ·

وفى الحرب الاخيرة كانت العصابات الروسية تحت أمرة القيادة العامة للمناضلين فى موسكو ، وكانت جميع القيادات التابعة بما فيها عصابات المناضلين تمارس نشاطها فى الجانب الآخر من الخطوط الالمانية ، وكانت القيادة العامة تتبعها مباشرة القيادات الاخرى (روسيا البيضاء واكرانيا والقرم) التى تعد بدورها قيادات عامة تشرف على المناضلين فى الاقاليم وتقوم بعمليات مشتركة بين الوحدات المختلفة التى تعد أصلا من فرق المناضلين أو العصابات وأصبحت من وحدات الجيش ، وكانت العصابات تختلف كثيرا من حيث عدد أفرادها · يضم بعضها عشرة رجال أو عشرين رجلا · بينما يتكون البعض الآخر من ألفى رجل · ولكن القادة لا يزيد عددهم على بضع مئات أو أقل من ذلك ، ومن هنا يتضح أن العصابات لم تصل مطلقا فى عددها الى قوة الكتيبة كما أنها لم تعرف قط التشكيلات الاكبر مثل الآلايات أو الالوية ·

وكانت العصابات تتلقى أوامرها للقيام بعمليات من مقر قيادتها طبقا لنظام قادة الحزب فى انتهاج هذا النوع من الحروب · ولكن اذا طلب الجيش الاحمر فرقة من الانصار للقتال فأنه لا يتبع الاساليب العادية اذ أن العصابات المختلفة تتلقى مثل هذه الاوامر أما من وحدات الجيش مباشرة وهى الوحدات على الجانب الآخر من خطوط الالمان أو من هيئة أركان حرب الجيش الاحمر التى هى على اتصال لاسلكى منتظم مع كل وحدة من الوحدات الكبرى ·

وكان الحزب يستخدم نفوذه على الحركة ليس فقط بتحديد الرئاسة على جميع المستويات بل أيضا بتعيين رؤساء كل وحدة مهما قل عدد أفرادها · وبالاضافة الى ذلك كان اعضاء عدد من الوحدات يقسمون يمين الولاء للحزب ·

كذلك كانت منظمة NKVD ممثلة تمثيلا قويا فى مختلف القيادات ــ العليا منها أو الاقل درجة · وكان عدد من أفراد المنظمة يقاتلون مع العصابات جنبا الى جنب · ولكنهم لم يكونوا مسئولين عن حركة المناضلين

التى كانت تحت أشراف الحزب فى دقة وأحكام ، ومهما كان الامر فانه كان لدى المنظمة عصابات تابعة لها وتقوم بمهام خاصة بالاشتراك مع بعض أفراد المنظمة ٠

أما منظمة المناضلين الشيوعيين فى فرنسا فقد أقيمت على أسس مختلفة ، اذ أن حركة المناضلين الشيوعيين لم تكن هى وحدها التى تعمل فى الميدان ، وكان من الضرورى أن تتبع قيادة الحلفاء ، وكان من الضرورى أيضا أن يتوافر التنسيق بين عملها وعمل المجموعات الاخرى ، واعتمدذلك المجلس الوطنى للمقاومة الذى انفرد باشراف سياسى وعسكرى على منظمة المناضلين الشيوعيين والمنظمات الفرنسية الاخرى التى تقوم بحرب العصابات ، وبذلك كان الاشراف على الحركة خارجا عن نطاق الحزب الشيوعى فى فرنسا ٠

وقد كانت المنظمة الشيوعية فى فرنسا أقل مرونة منها فى روسيا ٠ فعلى حين كانت العصابات الروسية لا تنظيم ثابت لها ، كانت الفرق الفرنسية تلتزم نظاما عسكريا ٠ وكانت أصغر الوحدات وهى « الجماعة » المقاتلة تتكون من قائد ونائب قائد وستة رجال ويكون كل ٣ جماعات فصيلة ، وتتكون السرية من ثلاث فصائل ومجموعات ويكون كل ألف رجل ثلاث سرايا ، وكانت الكتائب تحت اشراف ادارات الحزب وهذه بدورها تتبع هيئة الادارات المختلفة، ثم تجىء فوق هذا مختلف التنظيمات للحزب للاقسام والمناطق (١٠٥) ٠

واذن كان المناضلين الفرنسيون يتبعون نظام القوميسير ولم تتبع كذلك NKVD نفس النظام ٠

وفى روسيا وفرنسا كان المسئولون عن الفرق يحصلون على امداداتهم بأنفسهم ، ويعدون لانفسهم جماعات خاصة للحصول على المعلومات اللازمة لهم ، وفى الملايو يوجد انفصال بين الوحدات المقاتلة التى تكون جيش تحرير شعوب الملايو MRLA ، ولكل منها وحدتها للمخابرات والامدادات ويطلق عليها الاسم Min Yuen ٠ ويشرف الحزب على الحركة ويتم تطبيق نظام القوميسير على جميع المستويات فى دقة واحكام ،

---

١٠٥ - *Miksch, Secret Forces* وله ترجمة عربية للعميد (ا٠ح) محمد عبد الفتاح ابراهيم نشرتها ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة فى رسائل الثقافة الحربية سنة ١٩٥٧ ٠

وتنحدر سلسلة القيادة من الطبقة العاملة الى اللجنة التنفيذية المركزية التى تشرف على الاتحادات الفدرالية الشمالى والاوسط والجنوبى ، وتحت كل اتحاد تأتى فى ترتيب تنازلى اللجان الخاصة بالدولة كلها ، فالخاصة بالاقليم ··· ثم الخاصة بالفرع وأخيرا تأتى الخلايا ·

وتنقسم الوحدات المقاتلة الى ألوية وسرايا وفصائل ثم جماعات · وتتبع الالوية اللجان الخاصة بالحكومة كلها · (وتتبع الوحدات التابعة الاصغر اللجان الحزبية الاصغر فى الخلايا · وتنقسم اللجنـة الرئيسية لموظفى الحزب الى مجموعتين مميزتين : المسئولون عن قيادة جيش التحرير والمسئولون عن حركة « مين يوين »

ومن الصعب فى الوقت الحاضر معرفة تفاصيل التنظيم الصينى لحرب العصابات ، ففى مسارح القتال بعد الحرب العالمية الثانية لم تكن العصابات التى قامت بالقتال من الصينيين بالرغم من أن الصينيين أنفسهم هم الذين نظموها ·

صحيح أن ماوتسى تونج قد وضـع عدة جـداول تخطيطية لتنظيم العصابات الصينية ، ونجد مثل هذه الجداول فى كتابه (مراحل كفاح الصين ضد اليابان) (١٠٦) تعرض لتنظيم (الوحدات المتوسطة المستقلة) أى « السرايا » و (الوحدات الكبرى المستقلة) أى الكتائب (والاقسام المنفصلة) أى الآلايات ثم (القولات المستقلة) أى الفرق وكذلك جداول لتنظيم المنطقة العسكرية · ولكن لم يكن المقصود من هذه الخطط أن يكون لها طابع الدوام · فقد كانت تناسب الظروف الخاصة فى ذلك الوقت كما تناسب حرب العصابات فى الجيش الاحمر الصينى فى تلك الفترة ·

وكان ماو يقصد بنظام حرب العصابات عدم وجود جبهـات ثابتة محددة للعمليات ثم « مرونه » و « ميوعة » مناطق القاعدة ، ولكنه قبل ذلك فى سـنة ١٩٣٦ أوضح أن الجيش الاحمر سـوف يتخلى عن حرب العصابات فى أقرب وقت ممكن ·

---

١٠٦ - « *Aspects of China's Anti-Jap Struggle* » *Bombay 1948 pp. 30, 32, 34, 42*

« ان جمهوريتنـا الديمقراطية التى تضم « العمال والفلاحين » هى دولة ذات سيادة • ولكنها اليوم لا تزل غير متكاملة ، فنحن لا نزل اليوم فى مرحلـة الدفاع الاسـتراتيجى فى الحرب الاهلية • وتكوين قواتنـا السياسية لا يزال أبعد عما يجب أن يتوافر للدولة المتكاملة ، وجيشـنا لا يزال أقل بكثير من جيش العدو سواء من حيث العدد أو العدد ، كما أن رقعة بلادنا لا تزال صغيرة للغاية ، ولكى نحدد معالم سياستنا على هذا الاساس لابد من اتخاذ طابع حرب العصابات فى الجيش الاحمر • وليست هناك جدوى من الشعور بالخجل فى هذا المجال • بل على النقيض فان حرب العصابات هى طابعنا المميز وهدفنا الوحيد ووسيلتنا لقهر العدو •

ونحن يجب أن نسـتعد للتخلى عن هـذا الطابع من الحرب ولكننـا لا نستطيع أن نفعل ذلك اليوم • وسوف يأتى اليوم حيث يصبح هـذا الطابع مدعاة للخزى والخجل وبذلك يجدر بنا التخلى عنه ولكنه اليوم له قيمته ولابد من الاخذ به والسير على هذا •

ثم أن حرب العصابات هى مثال للامركزية وعـدم التجانس ونقص الضبط والربط وتبسـيط الطرق المتبعة فى الجيش ، وأوضح ماو فى قوله بعـد ذلك « كل هذه الامور ظهرت فى بدء تكوين الجيش الاحمر • وبعضها يناسب حاجاتنا فى الوقت الحاضر • ولكن عندما يصل الجيش الاحمر الى درجة أعلى فمن واجبنا أن نتخلى عنها شـيئا فشيئا فى حذر وعناية لكى يصبح الجيش الاحمر متبعا أحداث النظم (١٠٧) » •

ومع هذا الهدف فى فكر ماو يراوده فانه قد أصر بعد مضى سنة على أنه : « لابد من تطور حرب العصـابات تدريجيـا وأن ننهض بقواتهـا الاساسية لكى تصبح جيوشا نظامية ، وذلك لكى نخوض غمـار حرب منظمة بقوات من العصابات أقل تطورا على مثال الموجودة حاليا ، وعلى مثال الجيوش النظامية المشكلة حديثا » ـ « بهذه الطريقة الا وهى الجمع بين الجيوش الحالية والجيوش المعدة على نظام حديث وقوات حرب العصابات التى تطورت أو التى لاتزال على حالها تصبح لدينا كتلة من القوات المسلحة للقيام بحرب ثورية وطنية تحقق النصر فى النهاية » •

---

١٠٧ ـ *Mao Tse-tung, Strategic Problems in China's Revolutionary War, in Selected Works London 1954 Vol. I p. 244*

وهكذا يتضح لنا ان طابع حرب العصابات في الجيش الاحمر الصيني وقد كان حيويا بالنسبة لهم خلال « الحرب الاهلية الثورية الثانية » سنة ١٩٢٧ ـ ٣٨ وكان لابد منه خلال الكفاح التالى ضد اليابانيين سنة ١٩٣٨ ـ ٤٥ • هذا النوع من الحرب يمكن التخلى عنه فى أقرب وقت ممكن وعلى أساسها أعد ماو خططه السابق ذكرها للكفاح ضد اليابان •

وما فى شك فى أن الصينيين سوف ينتهجون أيضا « حرب العصابات فى المستقبل • ولكن لم يظهر بعد نوع تنظيماتهم الجديدة • وعندما بدأت الحرب الاهلية (١٩٤٦ ـ ٤٩) كانت جيوش تشيانج أكبر عددا وأقوى عتادا من القوات الشيوعية التى لم تجد مناصا من انتهاج حرب العصابات، وفى سنة ١٩٤٥ استطاع الشيوعيون أن يجمعوا مليونين ونصف مليون من الرجال ضد تشيانج منها جيش نظامى يبلغ ثلاثمائة ألف رجل يعضده سبعمائة ألف من المليشيا وأفراد لا حصر لهم من جنود العصابات ، حتى اذا نشبت الحرب فى السنة التالية انتصر الوطنيون Nationalists لفترة من الزمن اقتصر خلالها الشيوعيون على حرب العصابات ، لجأ الشيوعيون الى الهجوم ولو أنهم فى أول الامر كانوا لا يزالون يعتمدون على طريقة حرب العصابات ويمتنعون عن القتال فى أرض لا تتفق مع استعدادهم ثم يقومون باغارات سرية وهجمات مفاجئة على الحاميات والوحدات المنعزلة • وبعد ذلك يسرعون بالعودة متفرقين فى أنحاء مختلفة ، وتكللت جهودهم بالنجاح وتمكنوا من التغلب على النقص فى الرجال والعتاد لدرجة أنهم منذ يونيه سنة ١٩٤٧ تمكنوا من التخلى عن حرب العصابات ، قاموا بهجمات على نطاق واسع وبصورة حاسمة ، ولكن على حين أخذ الشيوعيون يتخلون عن حرب العصابات بالتدريج فى القيام بعملياتهم • ظل أفراد العصابات باقين على عهدهم يقومون بنشاطهم المعتاد كقطع مواصلات العدو وكذلك القتال مع الجنود النظاميين جنبا الى جنب أو القتال منفردين بأنفسهم وحدهم • وفى أواسط سنة ١٩٤٨ كان لدى الشيوعيين مليون ونصف مليون من القوات النظامية ونحو سبعمائة ألف من رجال العصابات ، فى مقابل ١ر٢ مليون من جنود كاى شيك • وفى سنة ١٩٤٨ تحولت دفة الحرب ضد القوات التابعة لشيانج كاى شيك ، واستقر الشيوعيون فى بكين • وبعد ذلك بقليل قدر ماو القوات الوطنية بما فيها القوات غير النظامية بما يصل الى المليون ونصف المليون من الرجال •

وهكذا لم يكن الا خلال السنة الاخيرة من الحرب حين بلغ الشيوعيون الى ما يتوازى مع قوات العدو ثم بلغوا حد التفوق على خصومهم فيما بعد ، ان استغنى ماو عن حرب العصابات فى الجيش الاحمر بعد أن استقرت به الحال وأصبح حاكما بمفرده على الصين وأعاد تنظيم جيوشه على غرار الجيوش الروسية ، كما أنه من الضرورى أن نلاحظ بأن النظام الجديد لحرب العصابات لا يختلف كثيرا عما فى روسيا ٠

حقا كانت الاختلافات فى التنظيم بين حركات المناضلين المتنوعة واضحة كل الوضوح ، وكان معظم هذه الاختلافات راجعا الى ظروف محلية ٠٠ على حين كانت الاختصاصات فيها متماثلة ، ومن الوجهة السياسية كانت حركات حرب العصابات الشيوعية هى أداة الحزب للتحريض على الحرب الاهلية واشعال نارها ، ومن الناحية العسكرية كانت هى الجبهة الثانية للجيش الاحمر ٠٠٠

١٠

مناهج النظام الألمانى

صفحة من الكتاب الألمانى

حاولنا فيما سبق أن نوقف فصلا وبضعة أسطر على النظرة السوفييتية للحرب الجديدة . ويشير جزء كبير من الموضوع الى عمليات الروس خلال الحرب الماضية . ويبدو لنا أنه من المناسب أن نقوم بعرض موجز لادارة ألمانيا للحرب التى لا مسارح قتال لها ـ ضد الروس . وذلك لكى نستفيد من تجربتهم ونتعلم من اخطائهم .

والواقع أنه فى مقابلة هذا التخطيط الروسى العظيم كان اقتراب الالمان من هذه الوسائل والاساليب المعقدة اقترابا بدائيا ، فقد أعد الألمان ـ قبل بدء الغزو ـ خططهم معتمدين اعتمادا كاملا على قواتهم المسلحة ، وظنوا أنهم سيلحقون بالروس هزائم منكرة فى وقت أسرع مما يحقق لهم القضاء على البلشفية ، ولكنهم تناولوا حتى بعض المشكلات الحربية فى شىء كثير من الاهمال وسوء التدبير ، وفى يوليه سنة ١٩٤٠ ـ أى قبل أقل من سنة من بدء هجوم الالمان ـ كان نظام المخابرات الالمانية فى الجبهة الشرقية « وليس له قواعد ثابتة بمعنى أننا نحن (الالمان) لم تكن لدينا أجهزة خاصة للتصنت اللاسلكى أو أى نوع من هذا القبيل (١٠٨) » . ولكن مع تدارك الالمان لهذا النقص فانهم لم يوجهوا العناية الكافية الى شئون الحرب السياسية . وفى الحق أشارت القيادة العليا الى الدعاية باعتبارها عاملا هاما فى سير الحرب . ووضعت القيادة تخطيطا لعمليات تهدف للقيام بغزو روسيا . ثم حدث بعد مضى شهر على بدء الغزو أن أدرك روزنبرج Rosenberg ـ المسئول عن الرقابة المركزية لاقليم شرق أوروبا ثم وزير الريخ فى المناطق الشرقية المحتلة أن « هناك حركات معينة للحصول على الاستقلال فى أوكرانيا مما يستدعى العناية والاهتمام » ، ولم تكن المخابرات السياسية تحت اشراف هملر تهتم كثيرا بشئون الحرب

---

١٠٨ ـ أقوال الكولونيل جنرال هولدر فى القضية رقم ١١ من محاكمات نورمبرج المجلد ١٢ ص ١٣٠٦ و ١٣٠٩ .

فقد كان ذلك من مهمة المخابرات الحربية وحدها وكانت على استعداد دائما للقيام ببعض التخطيط الحربى الذى أعده الالمان • كانوا يفكرون بصورة جدية فقط فى تخريب الاراضى الروسية واخضاع قواتها والقضاء عليها •

كما أن الروس المعادين للشيوعية لم يكسبوا شيئا من هذه السياسة بل خسروا الشىء الكثير ، ومعظم الروس الذين رحبوا بالالمان فى بادىء الامر باعتبارهم من دعاة التحرير سرعان ما تلقوا دروسا فى اتجاههم هذا ، اذ أن الالمان لم يقيموا وزنا لتعضيد الروس لهم وهم يعلمون أن ذلك لم يكن عن رغبة صادقة بل كان لفترة من الوقت ، وزيادة على ذلك لم يكن للالمان أصدقاء مخلصون فى المراكز الرسمية العليا لكى يزودوهم بالاسرار الخفية فى لجنة الدفاع السوفييتية •

فلم يكن لدى الالمان Brown Orchestra أو Brown Three تحت تصرفهم أو على استعداد لخدمتهم كما لم يكن لدعاياتهم الهدامة وانتهاجهم الحرب السياسية سوى أثر طفيف على المواطنين الروس •

كذلك لم تعوق الدعاية التى قامت بها الاذاعات الالمانية بوساطة سياسة قصر النظر التى انتهجها زعماء الالمان فحسب • بل كانت تعانى أيضا من نقاط الضعف والعوامل النفسية القاصرة والتى اتسم لها القائمون بشئونها ، وكما أن الروس – فى اذاعاتهم الى ألمانيا – اعتبروا كقضية مسلمة أن نظامهم السياسى سوف يرضى عنه الروس وسوف ينضمنون اليهم ، وهكذا كانت اذاعات الالمان الى القوات السوفييتية غير متقنة الوضوح ولا أثر لها •

ومن الامثلة على هذا ما اذاعته محطة الدانوب الالمانية فى ١٠ يوليه سنة ١٩٤١ :

« الى ضباط وجنود الجيش الاحمر ! تلقى الجيش الاحمر الاوامر للوقوف فى وجه ألمانيا الاشتراكية الوطنية • ومن واجب الجيش الاحمر القضاء على المجموعة الصغيرة من الجنود الذين يتضورون جوعا والذين تستأجرهم الرأسمالية • ثم تحرير الشعب الالمانى من عصابة الكلاب الفاشيست ، هكذا يقول اليهود وهكذا يقول رجال السياسة فى الحكومة الروسية • فهل هذا حقيقة ؟ هل تعلمون أن الجيش الالمانى جيش قوامه

العمال والفلاحين ؟ وأن الجيش الالمانى هو جيش اشتراكى ؟ وهل تعلمون أن هذا الجيش هو أفضل جيش فى العـالم ؟ ثم هل تعلمون أن الجيش الالمانى يقف وراء قائده الاعلى أودلف هتلر صفا واحدا ؟ ٠

هل تعلمون من هو أودلف هتلر ؟ لقد كان جنديا بسيطا خلال الحرب العالمية وبعد ذلك بدأ ـ مع أفضل أبناء قومه ـ فى المكافحة ضد سيطرة اليهود العالمية ٠ لقد مضت أربعة عشر سنة وهو فى جهاد مرير ٠٠٠

ثم من هو ستالين ؟ لقد بدأ حياته ومثله كمثل قطاع الطرق ٠ وعن طريق الخيانة وارتكاب عدة اغتيالات وصل الى أعلى المراتب وبدأ يطلق على نفسه زعيم أمم الاتحاد السوفييتى وزعيم العمال فى جميع أنحاء العالم ونبى الثورة العالمية ٠ وهذه الثورة العالمية لم تصـل الى نهايتها بعد ٠ ولذلك أقام اشتراكية على دماء وانقاض الملايين ٠ ثم ما هى الاشتراكية ؟ هل هى التجربة الدموية للاخضاع والاذلال والاستغلال ؟ كم من الناس ماتوا جوعا أو شردوا فى أنحاء الارض خلال الاربع والعشرين السنة من حكومته الشعبية ؟ انكم لتعلمون ذلك حق العلم ٠٠٠

« ان الجيش الالماني يعمل على تحرير بلادكم ٠هذا الجيش القوى المدرب فى طريقه الآن لمواجهة القوم الطغاة فى الكرملين ٠ وهذه القوات الالمانية المظفرة لن تتأثر بتهديد اليهود فى موسكو ٠٠٠

« لا جدوى من مقاومة الجيش الالمانى ٠ والآن يجب أن تعلموا من هم الذين توجهون اليهم مدافعكم وقنابلكم اليدوية وبنادقكم الرشاشـة ٠ فليسقط ستالين ٠ وليسقط كاجانوفيتش ٠ وليسقط بريا ٠ وليسقط جميع اليهود الرعاع ، ٠ وليسقط الطغاة الذين يحكمون شعوبكم وشعوب العالم أجمع ٠٠٠

« أيها الجنود والضباط فى الجيش الاحمر انقذوا حياتكم ! انضموا الينا ! لا تتخلوا عن أسلحتكم وعتادكم ٠ واحتفظوا بمستوياتكم الحربية ٠ وانتم ايها العمال والفلاحين حافظوا على حصادكم وعلى المواد الغذائية وعلى رغيف العيش ولا تغرب عن بالكم المجاعات وما ينجم عنها (١٠٩) » ٠

١٠٩ - *B. B. C. Daily Digest of Foreighn Breadcasts*
No. 723 Part I, 749 Part 2

كذلك كان الالمان يشرفون على اذاعات أخرى من محطة الحرية الروسية التى كانت تذيع الاحاديث لاسرى الحرب من الروس ، وهى أحاديث كانت تسير فى نفس الاتجاه ٠

ومن الصعب أن نعتقد أن جنود الروس كانوا يخاطرون بحياتهم بالاستماع الى هذه الاذاعات المزعجة أو أن خبراء من الروس اشتركوا فى اعدادها ٠

بيد أن هناك درسا يجب أن نتلقاه من دعاية الاذاعة الالمانية ومعايبها : فعلى النقيض من اتجاه الالمان ينبغى لنا ألا نسلم بأن الروس يرغبون فى احتضان نظام سياستنا ٠ ذلك لان تعاليمهم الاعتقاد بأن البلشفية هى الوضع السليم للديمقراطية ٠

كما أن الدعاية فى الجبهة الامامية للالمان لم تكن ذات أثر واضح ٠ وقد جاء وصف لاسلوبها العادى فى احدى اذاعاتها بتاريخ ٣ من يوليه سنة ١٩٤١ فقد جاء بها :

« تدل التقارير الواردة » من الجبهة الشرقية على أن مجموعات كبيرة من جنود السوفييت تختفى فى الغابات وتقوم بمهاجمات واغارات فجائية فى المناطق المجاورة ٠ وفى بعض الاحيان تحاول قطع خطوط المواصلات الالمانية ، فاذا استخدموا السلاح فى مثل هذه العمليات فان القوات الالمانية تقوم فى الحال بالقضاء عليهم وابادتهم عن آخرهم ، ولكن اذا كانوا يقصدون الاختفاء فقط وكان لدى الجنود الالمان من الامور الهامة الاخرى ما يشغلهم ، فانهم يتخذون اجراءات أخرى مع هذه المجموعات من الفارين، ويأتى هنا دور الدعاية الالمانية فيذيع ضابط يتحدث الروسية فى مكبر الصوت ليقول لهم : « لقد اندحرت قواتكم وسوف نعاملكم معاملة حسنة ونوفر لكم الطعام والشراب » ٠ حتى اذا استمرت هذه الاذاعات لبعض الوقت ثم يسمع من بعيد نغمات انشودة « بالايكا » مع النغمات الرفيعة من الاناشيد الشعبية الروسية وهنا تهدأ مشاعر الجنود الروس وطباعهم الوحشية ويعود ضابط الدعاية الالمانية فيلفت أنظار هؤلاء الجنود الى زوجاتهم وأطفالهم ومحصولاتهم الزراعية ٠ وسرعان ما تبدأ الاشباح فى الزحف من أوكارهم التى كانوا يلجأون اليها خوفا وهلعا ومن التقارير الكاذبة عن الالمان (١٠٩) ٠

---

١٠٩ ــ نفس المرجع السابق ٠

كذلك كان الالمان يسقطون نشرات فوق الجبهة الروسية وأكدوا للجنود الروس أن هذه النشراب سوف تكون بمثابة تصاريح مرور لهم اذا لجأوا الى التسليم ، ولما كان من الخطر على الجنود الروس أن يحملوا مثل هذه التصاريح أثناء عملهم فى وحداتهم· استبدلت التصاريح باصطلاحات خاصة تمكنهم من المرور مثل : « لقد ضقنا ذرعا بالرؤساء اليهود » · ثم أسقطت تصاريح خاصة فوق مناطق المناضلين · وفى كل يوم كانت الاذاعات الالمانية تحاول ارهاب أولئك الذين فضلوا مواصلة القتال ، ولكن ذلك لم يحقق غير قسط قليل من النجاح كما أشير الى ذلك فى احدى الاوامر الصادرة من الالمان وتنص على : « ان اطلاق النار بالرغم من الوعد الوارد فى النشرات سوف يكون معلوما للجميع » ·

وعلى أية حال لم تذهب كل جهود الدعاية الالمانية هباء منثورا ولو أن فشلهم كان يزيد كثيرا عما حققوه من نجاح ، واستطاع الالمان أن يكونوا فرقا للمخابرات من متطوعى أوكرانيا والقوقاز وغيرهما ، كما كونوا فرقة للمخابرات من فرسان القوزاق · وكان لديهم بعض أنصار يقاتلون من أجلهم ضد الروس ، وتمكنوا من الحصول على تأييد الجنرال الروسى فلاسوف الذى وقع فى الاسر مع القوات الشرقية· وهو جيش من السوفييت من أسرى الحرب بين أيدى الالمان · ثم تطوع عدد كبير من مواليد الروس للخدمة معهم · كذلك كانت برامج الدعاية (Winter Fairy Tale) (Winterm ärchen) (Silver Lining) (Silberstreif) كلها تستهدف تحريض الجنود السوفييت فى الخطوط الامامية على ترك مواقعهم والانضمام للالمان وكان هناك جماعات من الروس تجمعت فى وحدات الامن مواليد روسيا وساعدت الالمان فى قتالهم ضد المناضلين السوفييت ، ولكن الالمان أنفسهم ــ بسياستهم العقيمة ــ أثاروا روح المناضلين أكثر عددا ومهارة وتمكنوا من التغلب على كل من تعاونوا مع الالمان على الوقوف فى وجوههم ·

ولا يدخل فى نطاق هذا الكتاب استعراض أوجه النشاط للمتعاونين مع الالمان ولكن الالمان قاموا بعدة عمليات تستحق الاهتمام بها وبخاصة عمليات التجسس وعمليات التخريب Action Zeppelin وعمليات أخرى متشابهة قامت الخدمات السرية العسكرية والسياسية · « وعملية زيبلن » Action Zeppelin هو الاسم الحركى لنشاط خاص للفرع السادس من ادارة الامن الرئيسية فى الريخ والتى كانت تحت اشراف هملر· » وفى ألمانيا ذاتها كان الفرع السادس يضم ما سمى « فرقة المراقبين »

Observers في كل قسم من أقسام المخابرات ويؤدى مهام مماثلة لمهام مكاتب المخابرات الحربية ولكن فى نطاق ضيق فى أول الامر • وفى كل من الدول المحايدة والدول الصديقة كانت منظمات المخابرات تحت اشراف « النائب الرئيسي ــ فرع ٧١٠ » • وكانت هذه ــ فى الواقع ــ هى المخابرات الحربية الخاصة تحت رئاسة هملر • واستمرت هذه الشئون غير العادية حتى سنة ١٩٤٤ حتى تمكن أخيرا من ضم المخابرات الحربية الى منظمته الخاصة • وفى سنة ١٩٤١ لم يعهد ب Action Zeppelin الى القيادة العليا بل الى مخابرات هملر • وكان غرضها : استخدام أسرى الحرب السوفييت للقيام بأعمال المخابرات واحداث التخريب وراء الخطوط الروسية × • وكان الالمان فى قيامهم بالعملية زيبلن ينقلون صورة طبق الاصل مما يقوم به السوفييت •

وكان ميجر جنرال شلنبرج رئيسا للفرع ٦ كما كان يتولى رئاسة العملية زيبلن Action Zeppelin ، والآتى بعد منقولا عنه :

« تبين لنا بعد فترةمن الوقت تواجد نظام دقيق للجاسوسية الروسية يشمل سكان منطقة روسيا السوفييتية التى تحتلهـا قواتنا ، كما أنه يقوم كذلك بين الملايين من أسرى الحرب من الروس الذين سـقطوا فى أيدينا • وكان نظام الجاسوسية السوفييتية يعمل بمساعدة الالمان من أسرى الحرب الذين نالوا قسطا وافرا من التدريب فى الاتحاد السوفييتى فى هذا النوع من العمل ، وكانت مهمة هؤلاء الالمان بخاصة هى ، نقل المعلومات باللاسلكى بعد تدريبهم على استخدام أجهزة الارسال والاستقبال، ونبعـا لسرعة العمليـات الحربية كان تقـديرنا للامور يسير فى شيء من الغموض • وأصبح القائمون بشئون العمليات الحربية والسياسية موضع انتقاد عنيف لان مخابراتنا لم تستغل كل ما لديها من الوسـائل ، وكانت النتيجة أن صدرت الى الاوامر واضحـة جليـة تنص على آنه من واجبى ــ والامر كذلك ــ أن أستخدم أسرى الحرب من الروس فى عمل المخـابرات لصالح ألمانيا فى الاتحاد السوفييتى » •

ولهذا الغرض تكونت ادارة خاصـة VI — C — Z ضمن تشـكيل الفرع السادس ، وكان أول واجب لها أن تختـار من معسـكرات أسرى الحرب من يروق فى نظرها من الروس من المعادين للنظام السوفييتى ،

× *Wilhelm Hoettl, The Secret Front, London. 1953. P. 17*

وممن يؤمن جانبهم لكى يتطوعوا للقيـــام بأعمـــال التخريب أو كعملاء للمخابرات ، وفى الواقع كان لدى الالمان عدد كبير من المتطوعين للقيـــام بالعمل • ولكن من سوء الحظ كان معظمهم من متسللى السوفييت (.١١) •

وتعد قضية كوشليف Koschilev مثالا صادقا لما تقدم • فقد كان استجوابه أمام الهر هوبتمـــان كرانزل عمـــدة مدينة ستودولســـكى Stodolischtsche وكانت النتيجة واضحة جلية :

« يتبين لنا من هذا الاستجواب أن الرجل يعمل جاسوسا فعلا • ولكن هل فى خدمة الروس أو فى خدمة الالمان » وأخـــذ الرجل يوضح موقفـــه شيئا فشيئا • فذكر أنه كان عميلا للجستابو فى سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٧ تحت مباشرة من يدعى كيلار Keller فى موسكو •

« ويدعى بأنه تلقى تعليمات من هذا الرجل فى سنة ١٩٣٦ للقيـــام بنسف محطـــة للفحـــم فى سبتز برجن Spitzbergen ولم يحـــالفه التوفيق فى مهمته فقام بتدمير محطة رقم ٢ بدلا منها • ثم تلقى أمرا بعد ذلك لنسف محطة الاذاعة فى جزيرة رانجل • وفيما ذكره أيضا أنه بناء على الاوامر Keller أغرق الباخرتين Somji, Ulitka بمســـاعدة رجلين من عمال الفحم • وكانتا تحملان مستندات سرية من فلاديفستك الى مورمانسك • وفى سنة ١٩٣٧ وطبقا للاوامر قام بتدمير المواصـــلات اللاسلكية بين جزيرة شميدت Schmidt والباخرة سيبرياك Sibirjak وذلك بتدمير الاجهزة الكهربائية فى الجزيرة ، وفى نفس الســـنة نسف محطة الاذاعة فى موســـكو • وفى ســـنة ١٩٣٧ تمكن من الحصـــول على التصميمات التى وضعهـــا البروفسور بروكوفييف Prokofjev للطائرة الجديدة •

وبناء على ما ذكره رئيس المخابرات الذى قام باســـتجواب كوشليف Koschilev أن هذا الرجل « يدعو الى الاطمئنان والاقتناع بما ذكره » • ولكن عندما قامت ادارة الامن الرئيسية التابعة للريخ بالاستقصاء عنه اتضح لها « أن الرجل المذكور وكذلك الاقوال التى وردت على لسانه عن حوادث انما هى كلها أمور غامضة ولا يستدل على شىء منها » • وقد يتوقع

---

١١٠ ـ اطلق هؤلاء على انفســـهم اســـم *Acticists* وهى كلمة منحوتة من كلمة *Active* تعنى النشاط او « الفعالية » ـ المترجم •

الانسان أن هذه هى نهاية المعلومات عن اخلاق وتصرفات الرجل ولكن الامر كان غير ذلك• ففى الاشهر التالية وضع فى المعسكر الخاص للمخابرات لتدريبه هناك ـ ويتبادر الى الذهن أنه مما يدعو للعجب كيف يتسنى للمخابرات تدريب رجل كان بطلا قام بعدة مغامرات مثيرة ـ وجاء فى تقرير المخابرات • « أن هذا التدريب والانطباعات التى تركتها فى نفسه رحلته الى ألمانيا (من ٢٤ يونيه الى أول يوليه سنة ١٩٤٢) اقنعته ـ دون شك ـ بأنه لابد من القضاء على البلشفية » • ويستنتج تقرير المخابرات أن « كوشيليف يبدو أنه يصلح تماما للقيام بأعمال التخريب فى نطاق Action Zeppelin • ثم تغير مجرى الاحداث فجأة • وقتله الالمان باطلاق النار عليه بعد بضعة أشهر بناء على تقرير من المعسكر الخاص للمخابرات فى فيسبكويا Vissokoje « حول أحداث مختلفة جرت فى ذلك الحين » • كذلك جاء تقرير آخر من نفس المعسكر حول أن الكثيرين من الذين تطوعوا لخدمة الالمان غادروا معسكرهم سرا دون سبب لذلك » •

وفى حالة واحدة على الاقل تمكنت NKVD من التسلل الى احدى تلك المجموعات وعرقلة جهود هؤلاء المتطوعين •

« تمكن جواسيس NKVD من التسلل الى وحدة دروشينا Drushina ومن اقامة صلات قوية عن طريق حاملى الرسائل مباشرة الى ألمانيا ، وحدث ذات يوم أن جميع جنود الالمان فى هذه الوحدة من رجال المخابرات ومن اتباع الفوهرر قتلوا أو شوهوا بصورة وحشية وكذلك فى نفس الوقت جميع أولئك الروس الذين كانوا يرغبون فى العمل من أجل ألمانيا ضد الروس • كل ذلك قامت به مجموعة صغيرة من منظمة NKVD فمن تمكنوا من الهروب بعد ذلك الى موسكو بالطائرة » •

وبينما كان الروس يحاولون القضاء على نشاط المتطوعين لخدمة الالمان أطلق الالمان النار على من بينهم من الجواسيس المشتبه فى أمرهم ، وفى وشفيتز Auschwitz وحدها يبدو أنه قد تم القضاء على مائتين ممن حامت حولهم الشبهات ، ولكن الالمان لم يستطيعوا تنقية صفوفهم من المتسللين • وسرعان ما حدث بعد نقل خمسين من المتطوعين الى وحدة Drushina أن قتل ضابط الاتصال الالمانى • بعد ذلك تحولت الوحدة بأكملها نحو المناضلين الذين كانوا من المفروض محاربتهم •

ولم تكن مهمة Action Zepplin مقصورة على ارسال العملاء خلف الخطوط الروسية فقد كانت تقوم أيضا بجمع المعلومات من الملحق بأعمال

الشرطة أى وحدة Einsatzgruppen ذات السمعة السيئة ـ ومن أسرى الحرب فى المعسكرات • وكان الالمان يبحثون عن الخبراء فى معسكرات أسرى الحرب اذ كانت مهمة القائمين بالاستجواب « هى بجانب جمع المعلومات الصحيحة الهامة • عليهم أن يحصلوا على معلومات أخرى حول الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية فى المناطق الروسية التى لم يتم احتلالها بعد ، وذلك بطريق الاسئلة والاستجوابات » • وكان يتم استجواب أولئك الاسرى فى معسكراتهم وكذلك استجواب من تطوعوا للقيام بمعاونة الالمان • كما كان الاستجواب يتم فى معسكرات الاعتقال المتنقلة ، ومن وجدوا منهم صالحين كانوا ينقلون الى معسكر خاص بالمخابرات حيث يتلقون درسا فى النواحى السياسية • وبلغوا الذرة فى رحلة استغرقت أسبوعا الى ألمانيا حيث أقاموا فى المزارع وزاروا المصانع وتأثروا كثيرا بما شاهدوه من ارتفاع مستوى المعيشة بين الالمان ، كما تلقوا تدريبات خاصة بعملاء المخابرات والقيام بأعمال التخريب • وصدر تقرير عن هذه التدريبات وعن القائمين بشئونها وفى أحدها جاء ما يأتى :

« ان كوشيليف ـ بوصفه ضابطا ـ يعبر عن وعى خاص لمركزه الاجتماعى وبدراسته فى معسكر فيسوكويا Vissokoje أصبح له اتجاه سياسى واضح ، فكان فى نظره أن القضاء على البولشفية معناه حرية الشعب الروسى • ودل على أنه مثالى فى أوجه نشاطه » •

وكان هذا على الاقل ما يبدو فى نظر القائمين بشئون المخابرات حتى « لجأ كوشيليف الى الهرب دون أى سبب » •

وبعد انتهاء فترة التدريب كان العميل يطلق عليه اسم مستعار ويعهد اليه بمنطقة للعمليات وراء الخطوط الروسية •

هذا • وقد تم تدريب آلاف من العملاء على فرض أنه كلما ازداد عدد المهام كلما بلغت نتائج المخابرات أقصى حد لها ، وفى نطاق هذا المستوى لم يكن أمام الالمان اختيار آخر ، ولكن ليس هناك شىء يكشف عن هذه الوسائل البدائية أكثر من مقارنتها بنظام السوفييت من حيث التسلل الى مراكز الالمان بعدد قليل من الروس المتسللين •

وأما مكتب VI-C-Z فكان يصدر أوامره الى مختلف العملاء ويعهد اليهم بمهامهم وكانت هيئة الادارة المركزية في برلين ، وكان لديها في البداية مركزان للمخابرات ثم ازداد عدد هذه المراكز قليلا فيما بعد أما Melde-kampf kommandos ، فكان موقعها بالقرب من مقر رئاسة مجموعات الجيش . وكان يتم ارسال العملاء في طريقهم الى روسيا غير المحتلة اما بأن يجتازوا الجبهة الامامية واما باسقاطهم من الطائرات في هيئة مجموعات عادة ، كذلك وضعت الخطط لانزالهم في منطقة البحر الاسود بواسطة الزوارق السريعة . وفي بعض الحالات – على الاقل – كانت عملية Action Zeppelin تواجه الصعوبات الى حد كبير بسبب النقص في الطائرات ، وخلال الفترة من ديسمبر سنة ١٩٤٢ الى مارس سنة ١٩٤٣ لم تكن هناك أية طائرات متوافرة على الاطلاق للقيام بهذه المهام ...

وكانت احتياجات عملية Action Zeppelin من المعلومات تتميز بشيء من الغرابة . واليك مثالان : في ذات مرة احتاجت لاغراض التخطيط الى تفصيلات عاجلة عن موقع وظروف معسكرات الاعتقال في روسيا غير المحتلة ، وكانت تحتاج على الاخص الى بيانات عن المعتقلين . وكم عدد المعتقلين من السياسيين ومن المجرمين ، وأجناسهم من ذكور وأناث ثم جنسياتهم وحالاتهم الصحية وانتاجهم الحالى داخل المعسكر وخارجه ، ومواقع المعسكرات ووسائل المواصلات . كذلك عدد الحراس وأسلحتهم وعتادهم .

وفي وقت آخر كان الاسرى يستجوبون بوساطة VI-C-Z مباشرة فيما يتعلق بوجهات النظر السياسية في ذلك الوقت وبمشاعر السكان في الجمهوريات الخمس التركستانية التابعة للاتحاد السوفييتي ، وعما اذا كانوا يرغبون في البقاء في نطاق الاتحاد السوفييتي أو يفضلون الحصول على الاستقلال، وكذلك عن موقفهم من حيث وفرة الطعام والشئون الاقتصادية .

وبالاضافة الى ذلك كان الاستجواب يدور حول « الموقف العسكرى ومعسكرات اعتقال القوات والروح المعنوية لجنود الحاميات ومليشيا البوليس السرى السوفييتي ثم أوجه نشاط هذه المنظمة واتجاه السكان ووجهة نظرهم بالنسبة لها ، وظروف ولوائح السفر والانتقال وهكذا ..

وكانت تستخدم هذه المعلومات على أحسن وجه . وهى المعلومات التي كانت تجمع من وحدات الملحقين بأعمال الشرطة ومن أسرى الحرب.

وسن المتطوعين الروس الذين يخدمون الالمان · وكانت ادارة VI - C - Z بعد التقارير والبيان التالى المقتبس من « تقرير رقم ٢ من الاقاليم الشرقية المحتلة » المقدم من رئيس شرطة الامن و SD بتاريخ ٨ مايو سنة ١٩٤٢ . ومن المحتمل أن يكون هذا البيان على أساس المعلومات التى جاءت بها عملية زيبلن :

« يبدو من استجواب العملاء السوفيت أن الموقف فى موسكو حتى حوالى مارس سنة ١٩٤٥ كان كما يلى : « خلال الايام الحرجة من شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ كان السكان فى حالة من الكدر الشديد بسبب تخلى ذوى السلطة من السوفييت عنهم ورحيلهم عاملين على النجاة بأنفسهم وترك السكان يلقون مصيرهم ، ولكن أجهزة الدعاية السوفييتية تمكنت من السيطرة على الموقف بعد ذلك بسبب عودة ستالين الى موسكو فى أوائل نوفمبر وأخذت الصحف والراديو تذيع أنباء الانتصارات · وفى الحق لم يعد يدور فى الاذهان أن موسكو يمكن أن تسقط فى أيدى الالمان » ·

وتتلو بعد ذلك فقرة حول الحياة فى موسكو : حول وسائل النقل ودور العلم والصحف والمجلات والمواد الغذائية والدعاية التى غيرت وجهة النظر نحو الكنيسة ·

وقد تم جمع هذه المعلومات وتنظيمها لصالح بعض كبار النازيين الذين كانت أسماؤهم واردة فى كشوف التوزيع لتقارير المعلومات ، كذلك كان هناك تبادل للتقارير المتبادلة بين هيئة العملية « زيبلن » وبين قسم الجيش الذى يعنى بشئون الجيوش الاجنبية فى الشرق ·

واذا كان الفرع السادس يعتبر أن هذا النوع من المعلومات ذات نفع بنوع خاص فسرعان ما تلقى القائمون بشئونه لطمة قاسية · اذ قل نشاط المتطوعين Activists الى درجة كبيرة من شهر يناير سنة ١٩٤٣ فما بعده بسبب تحول مجرى الحوادث ، « فقد قرر مدير المخابرات ميجر جنرال شلنبرج حين استجوابه فى سنة ١٩٤٥ أنه بعد موقعة ستالينجراد وارتداد الجيوش فى روسيا أصبح من الصعب جدا التأثير على أسرى الحرب من الروس · كما كان لزاما علينا أن نوقف عملية ارسال الاسرى الروس على نطاق واسع وبطريق المظلات على سبيل المثال · وأن نستخدم بدلا من ذلك عددا قليلا من الروس ــ الاذكياء منهم والمدربين ــ فمن خدموا معنا طواعية منهم » ·

بذلك كانت عمليــة زيبلن Zepplin عملية قصــيرة الاجل فهى لم تشرع فى مزاولة نشاطها الا فى أواخر سنة ١٩٤١ ، ولم تكد تستطيع اختيار وتدريب أولى مجموعاتها للتنفيذ قبل ربيع ســنة ١٩٤٢ • وفى ديسمبر من السنة ذاتها توقفت العمليات بسبب نقص الطائرات • وبعد مضى شهرين أصبحت فى حالة ركود تام لقلة المتطوعين ، ومن المعروف أن الفرع السادس قام بتنظيم عمليات لانزال قوات بالمظلات فى حقول الزيت الايرانية • كذلك اتخــذت خطط قوية بعيــدة المدى تعرف بمهمة أولم Ulm لشل حركة مراكز التسليح خلف جبال أورال بمساعدة رجال المظلات من الروس المعادين للبلشفية ، ولكن كل ذلك لم يتجاوز مرحلة التخطيط لانه لم تكن هنـــاك مطـارات صـالحة لانزال القوات • كذلك المعلومات التى جمعت لم تكن ذات قيمــة تذكر • واذا قورنت بنظـام المخابرات السوفييتية ، ذلك النظام الرائع المحكم • فهى تعــد تصرفات هوجاء لا تقوم على أساس متين من حيث الآراء والتنفيذ •

وعلى أية حال فان المخابرات الحربية الالمانية قامت بمهمتهـا بعناية وتفكير وذلك عن طريق رجالها المدربين بنوع خاص وكانوا يعرفون بالاسم المستعار Walli ، وكان تكوين هذا الجهاز من المخابرات فى مايو سنة ١٩٤١ قبل بدء الهجوم • فكان الالمان المتجولون فى روسيا فى مهمات مختلفة يستخدمون كعملاء للمخابرات ، ومنهم عمــلاء آخرون ينتشرون وراء الجبهة الروسية الاماميةويوجهون عنايةخاصة للقيام بأعمال التخريب، وقد أدلى نائب رئيس القســم الثــانى من المخــابرات الحربية الالمانية ــ كولونيل اروين ستولز Erwin Stolze ــ أدلى بالمعلومات الآتية الى الروس فى سنة ١٩٤٥ :

« تلقيت التعليمات للقيام بتنظيم وقيادة مجموعة خاصة تحت اســم مستعار «A» للتمهيد والاعداد لعمليات تشكيلية فضلا عن العمل على تحطيم مؤخرة السوفييت بالاتصــال بالهجوم المعتزم القيــام به على الاتحــاد السوفييتى ، وفى نفس الوقت تسلمت أمرا من هيئة العمليات فى القوات المسلحة يتضمن تعليمات مشددة للقيام بأوجه نشاط تخريبى فى أرض الاتحاد السوفييتى بعد هجوم الالمان على الاراضى الروسية » •

« كما أشير فى هــذا الامر الى أنه لالقاء ضربة خاطفة ضــد الاتحــاد السوفييتى فان القسم الثانى منمنظمة المخابرات بانتهاجه أعمال التخريب

ضد روسيا بمساعدة شبكة من V - Men — العملاء السريين — عليه أن يستخدم هؤلاء العملاء لاشعال نار العداوة والبغضاء بين سكان الاتحـاد السوفييتى » ٠

« ولتنفيذ التعليمات المذكورة بعاليه اتصلت بالاشتراكيين الوطنيين فى أوكرانيا ممن كانوا فى ادارة المخابرات الالمانية كما اتصلت باعضاء آخرين من مجموعات الوطنيين الفاشست وتمكنت من اغرائهم على تنفيذ المهمات المذكورة بعاليه » ٠

« وبنوع خاص كنت أقوم باعطاء التعليمات بنفسى الى الزعمـاء من الاشتراكيين الوطنيين فى أوكرانيا ومنهم ملنيك Melnik (واسمه المستعار قنصـل ١) و Bandera بنديرا لينظما فور هجوم الالمان على الاتحاد السوفييتى المظاهرات فى أوكرانيا لارباك مؤخرة جيوش السوفييت ولاقناع الرأى العالمى بالقضاء على مؤخرة السوفييت » ٠

* * *

ولم يحالف الالمان التوفيق فى اختيارهم لكل من ملنيك Mnleik وبنديرا Bandera ، اذ أنه بعد أن احتل الالمان أوكرانيا ٠ « عارضهم بنديرا Bandera علانية » كما أشار الى ذلك رئيس شرطة الامن و SD فى تقريره عن الاحداث فى الاتحاد السوفييتى بتاريخ ٢ فبراير سـنة ١٩٤٢ ٠ و Bandera هذا ٠ الرجل الثورى ان كانت هناك فئة من الثوار — رفض أن يكون اداة فى أيدى القيادة الالمانية العليا كما كان فى أيدى السـوفييت ٠ وسرعان ما اختلف مع ملنيك Melnik وكان من المحافظين الى حد كبير وزعيم منظمة الوطنيين فى أوكرانيا ، وبذلك سبب للالمان كثيرا من المتاعب كما دلت تقارير SD فيما بعد — كذلك حاول الالمان فى يونيه سنة ١٩٤١ تشجيع واعـداد ثورة من الوطنيين فى جمهورية جورجيا (الاسم الحركى تمارا) ٠ ولكن يبدو أنها باءت بالفشل ٠

ومما ذكره الكولونيل ستولز Stolze أمام مستجوبيه : « وفضلا عن ذلك كانت هناك وحدة عسكرية خاصة يجرى تدريبهـا على أعمال التخريب فى منطقة السوفييت ٠ وهى فرقة براندنبرج Brandenburg ٨٠٠ التى تقوم بمهمات خاصة تحت مباشرة لاهوزين Lahousen رئيس القسم الثانى من المخابرات الالمانية ٠ ومن بين أهداف هذه الوحدة الخاصة

التى أنشئت فى سنة ١٩٤٠ الاستيلاء على المراكز الهامة كالجسور والانفاق والتركيبات العسكرية والاحتفاظ بها حتى وصول أول وحدة من الجيش الالمانى ٠

« وقد اســتخدم أفراد هذه الفرقة المكونة من الالمــان خارج الحدود الملابس الرسمية ومعدات العدو لتكون ستارا لعملياتهم » ٠

وقد أنشــئت Brandenburg هذه أول الامر فى ســنة ١٩٣٩ واحدثت بعض الاضرار وراء الخطوط البولندية لبضع ســاعات قبل بدء الهجوم ، كذلك قامت بأعمال التخريب هناك وحدة مكونة من ٥٠٠ الى ألف من مهاجرى أوكرانيا من غاليسيا ممن تلقوا بعض تدريبات شبه عسكرية تحت مباشرة المخابرات الحربية الالمانية ثم عهد اليهم بالقيام ببعض أعمال للتدمير وبث الاضطرابات ـ كتحطيم الجسور وبعض أهــداف أخرى لها أهمية حربية ، وذلك طبقا لتعليمات ادارة العمليات فى القيادة العليا بما يناسب احتياجات الجيش الالمانى ٠

وكان لهذه الوحدة الاوكرانية نشاط ملحوظ طيلة فترة الغزو ، ثم ما لبثت هذه القوات الطارئة أن اندمجت فى وحدة Brandenburg وألحقت بها كتيبة من الجنود البولنديين السابقين وأخرى من القوقازيين ممن عرفوا بقتالهم لبضعة أشهر فى عمليات المناضلين فى جبال القوقاز حيث نزلوا بالمظلات خلف خطوط الروس ،« نزل متطوعو الاتراك بالمظلات فى منطقة بحيرة آرال للقيام بتدمير منشآت الزيت ٠ وكذلك تكررت هذه العمليات عدة مرات فى المنطقة الشاسعة التى تضم السوفييت بين الفولجا والاورال » ٠ وفى نفس الوقت اتسع نطاق وحدة Bradneburg ٨٠٠ الى حد كبير ٠ ثم أخذت منذ سنة ١٩٤٠ تزداد عددا وعتادا حتى بلغت فى سنة ١٩٤٢ قوة فرقة كاملة ٠

وبالاضافة الى أعمال التخريب قامت فرقة براندنبرج بعدة عمليات عارضة تتعلق بشئون الحرب السياسية فى بعض الاحيان ، حتى اذا لم يكن النجاح حليفها لفترة ما كانت تبــذل جهــدها فى تأدية مهمتها بما فيه الكفاية وذلك بأن تظل وراء خطوط الروس وتعمل على بث عوامل القلق والاضطراب بين السكان ٠

وكانت براندنبرج ٨٠٠ تحت تصرف القســم الثانى من المخابرات الحربية ولكن كانت تشكيلاتها ملحقة أيضــا فرادى بمجموعات الجيش ،

فكان هذا الانقسام مدعاة للقلق والمشقة بين أفرادها · اذ كانت تستخدم فى أغلب الاحيان فى جبهة القتال كوحدة مقاتلة عادية ليس الا ، وبلغت ذروة نشاطها خلال تقدم الالمان عندما اخترقت وحداتها الاستطلاعية الطريق وراء الخطوط الروسية فى لوريات الجيش الاحمر · مستولية على أحد الجسور هنا أو مدمرة أحد الخطوط الحديدية هناك ، ثم تحدث الارتباك والاضطراب فى مؤخرة العدو وتقوم باغارات صغيرة كانت لها نتائج واثار هامة ، وفى سنة ١٩٤٣ انتشرت الفرقة بأكملها فى أنحاء البلقان كفرقة عادية من المشاه تقاتل ضد المناضلين ونزلت منها وحدة من الفدائيين مع جنود آخرين على شاطىء ليروس Leros لاستلام المنطقة من الايطاليين بعد الهدنة التى عقدها بادوليو ، ولم تبق فى روسيا سوى كتيبة واحدة · وبذلك أصبحت الفرقة عبارة عن وحدة لاهدف لها · وما لبثت اذ ابتلعتها قوات سكوررنبى الخاصة وأعيد تشكيل باقى الفرقة فى فرقة من فرق البانزر

وكانت المخابرات الحربية الالمانية تستخدم غالبا أسرى الحرب من الروس للقيام بأعمال التخريب · وكعملاء للمخابرات بخاصة ، وشأنها فى ذلك شأن الخدمة السرية السياسية ولكن لا حاجة بنا للدخول فى أية تفصيلات عن هذا اذ كان مجال النجاح محدودا :

ويوضح دكتور لفركوهن Lever kuehn فى كتابه يقول : « لم يتسع نطاق هذه العمليات ليشمل أعمالا للتخريب لها دلالة تكتيكية أو استراتيجية أو حتى لكى تحدث مضايقة على نطاق واسع ويرجع ذلك الى النقص الفنى فى منظمة المخابرات ، كما يرجع أيضا الى السياسة الغاشمة التى انتهجها الالمان فى المناطق الشرقية والى سوء معاملة الاقليات داخل الاتحاد السوفييتى » ·

كان القائمون بتدريب وارشاد من وقع عليهم الاختيار من أسرى الحرب هم أنفسهم غير مدربين تدريبا كافيا للقيام بمهمتهم ، وشأنهم فى هذا شأن أمثالهم من رجال المخابرات السياسية ، وأصبحت « السياسة الخرقاء » الى انتهجتها ألمانيا فى الشرق معروفة حتى أنها لا تتطلب منا أى ايضاح أو شرح هنا ، وهناك أسباب أخرى يجب أن ننسبها الى فشل منظمة المخابرات نفسها · فهى · أولا · لم تستطع أن يكون لها اشراف محكم على أفرادها · وكانت دائما على حذر من تدخل المخابرات السياسية فى شئونها ومن انتخاب أسرى الحرب بوساطة أطقم متنافسة ولاسباب

متنافسة مما يعود بالضرر على أفراد المنظمة ، ولكن لم يكن هذا كل ما فى الامر : فان تعيين بعض قوات براندنبرج فى مجموعات الجيش وتبعيتهم الى قادة الخطوط الامامية كل ذلك أخل بمقدرتهم الاستراتيجية على القيام بهذه المهمة • وفوق كل شيء فان المخابرات الحربية ـ ولا يستثنى من ذلك المخابرات الحربية الالمانية ـ ليست هيئة لتنفيذ العمليات • وعلى ذلك لا يصح أن يعهد اليها بالقيام بعمليات شبه عسكرية •

وهنا تبرز نقطة جديرة بأن نتناولها بالفحص والتمحيص ، ومن المؤكد أن أول سؤال يتبادر الى الذهن هو عما اذا كان لابد لنا من قوات استراتيجية للهجوم أو أن هذا أمر يمكن الاستغناء عنه • وأولئك الذين اطلعوا على ما كتبه Charles Foley لا يعتورهم أدنى شك فى أن الرد على هذا السؤال هو « بالايجاب » (١١١) •

ويشير الميجر جنرال سيرروبرت ليكوك فى مقدمة لكتاب مستر فولى Foley الى « أن المنطق فى هذا الكتاب يوحى بان اتخاذ خطوة أخرى الى الامام فى مجال الهجوم الاستراتيجى مفاجيء لمسألة واحدة ، ولابد وأن يشعر القاريء ـ بعد أن يستعرض الادلة التى تثبت ذلك ـ بأن هذا أمر لا يجوز تأجيله » •

ولكن اذا كان الامر كذلك واذا كانت الحرب لا مناص منها فهل لابد أن نستخدم نحن أيضا أسرى الحرب فى أعمال التخريب وكعملاء للمخابرات؟ وكما رأينا أن الالمان ـ لو أنهم لم يحققوا نتائج تستحق الذكر ـ كانوا يعتمدون عليهم بدرجة كبيرة •

ولا شك فى أن الروس قد تناولوا المشكلة كلها بالتفكير العميق وبصورة جدية ، ولا يعرف على وجه التحقيق عدد ملفات المخابرات الالمانية التى استولى عليها ، كما أن المجموعة التى لدى البنتاجون منها لا تعتبر كاملة ، ومن بين الاسرى الذين وقعوا فى أيدى الروس الرئيس السابق لقسم آمن المخابرات الحربية لفتننت جنرال بيكينبروك Piekenbrock ، ونائب رئيس القسم الثانى كولونيل ستولز ، ولكى نكمل الصورة • وقع

---

١١١ - *Chrles Foley, Commando Extraordinary* مع مقدمة بقلم الميجر جنرال السير روبرت لايكوك طبع نيويورك سنة ١٩٥٤ •

فى الاسر رئيس القسم الثالث لفتننت جنرال بنتفنجى Bentivengi •
ومما يشير اليه مستر فولى Foley فى كتابه أنه بعد الحرب قام عملاء السوفييت بمحاولتين لاختطاف سكورزنى Skorzeny ونقله الى موسكو •

ويستخدم الروس ما لديهم من أسرى الحرب فى أى غرض كما يشاؤون • وقد فعلوا ذلك من قبل خلال الحرب الماضية ، واذا قامت روسيا بمهاجمتنا فسوف يكون هدفنا تحرير القوم المغلوبين على أمرهم فى الشرق ، اذ ليس هناك ما يمنع مساعدتهم لتحرير أنفسهم • كذلك مما لا شك فيه أننا ـ فى أى حرب مستقبلة ـ سوف نهتم أشد الاهتمام بأى حركة للمقاومة كما فعل الروس فى الحرب الماضية •

واذا كان لابد لنا حينئذ أن نستخدم أسرى الحرب فلن يكون من الحكمة أن نعتمد عليهم كثيرا كما فعل الالمان ، فقد تكون الحرب المستقبلة حاسمة فى الاسابيع الاولى أو حتى فى الايام الاولى حيث لا يتوافر لنا أفراد مدربين من أسرى الحرب ، **ثانيا** : نرى أن الكثيرين من المتطوعين قد يصبحون اذا تحولت دفة الحرب أعداء لنا أكثر من أن يكونوا فى جانبنا ،ولكن لاشك أننا قد ننتفع بالكثيرين منهم فانهم قد لا يستطيعون القيام باجراءات حاسمة كتعطيل المطارات • ولكن من السهل تدريبهم على أعمال المناضلين ، وكذلك على أعمال العملاء •

وقد أثبتت تجارب الالمان ما هو واضح كل الوضوح ذلك أنهم اذا انتهجوا سياسة سلبية أو لا سياسة على الاطلاق فان ذلك يحول دون تحقيق أغراضهم ، لذلك فانهم يتخذون سياسة ايجابية • تضمن مستقبل متزن •

• هنا يواجه للحلفاء لغزا محيرا فأى سياسة للروس عليهم أن يعضدوها•
هل هى سياسة الوحدويين أو الفدراليين أو الانفصاليين ؟ سياسة الديمقراطيين العاديين أو الديمقراطيين الجدد ، بل أى سياسة لاى من المجموعات المختلفة من المهاجرين والتى تزعم كل منها بأنها تمثل أغلبية الرأى العام ؟ اذن فأى سياسة يتبعونها لن تخلق لهم أصدقاء فحسب بل أيضا تكون مدعاة لوجود أعداء لهم •

ومع ذلك فقد تكون المسائل السياسية هى الاقل شأنا اذ أن الروس لم يعرفوا قط حرية الحديث والافصاح عن اتجاهاتهم • ولم يسمح لهم من

قبل الدخول فى مناقشات سياسية حرة على ما نفهمها نحن كما أن وجهات نظرهم حول الانظمة السياسية فى الغرب لا تقوم على أساس سليم • ولا حاجة بنا لان نقرر أن الروس خاملون من الناحية السياسية كما يتبين فى كثير من الاحيان أو يزيدون كثيرا فى تفكيرهم السياسى عن المدنيين فى الغرب كما يظن الآخرون ، والروس قوم لا يهتمون كثيرا بالسياسات المعنوية أو بأجهزة الحكومة ومقدار صلاحيتها ، كل ما يهمهم هو الآثار المترتبة على تصرفاتها ، هل هى أجهزة صالحة أم أنها لا تستطيع تأدية مهمتها ؟ •

والروس وحدهم • هم المسئولون عن وجود نظام سياسى جديد • واذا كانت الحرب أمرا لابد منه فان دعاية الحلفاء يجب أن تتركز على ثلاثة أمور :

١ ـ التعويض باعادة الممتلكات الخاصة لاصحابها وهذا معناه فى روسيا حل Kolchos • وفى سنة ١٩٤٢ كتب الدكتور براوتيجام Braeutigam مذكرة حول هذا الموضوع وكان أحد كبار الموظفين فى لادارة السياسة الرئيسية التابعة لوزارة ألمانيا لشئون المناطق الشرقية المحتلة • يقول فيها :

« تقديرا للاهمية الكبرى الاستثنائية لموضوع الزراعة فى الاتحاد السوفييتى فان الادارة الرئيسية للسياسة كانت تطالب ـ حتى قبل بدء الغزو فى الشرق ـ بحل Kolchos واعادة الممتلكات الخاصة لاصحابها ، ولكن المكتب الالمانى لشئون مشروعات السنوات الاربع رفض هذا الاقتراح بحجة أن التغييرات الجوهرية لا يصح أن تحدث خلال فترة الحرب •••

« أن حكومة لا يكون اهتمامها مصحوبا بالنهب والاستغلال وتتخلى عن التمسك بالبولشفية • فى وسع هذه الحكومة أن تلهب شعور القوم وتضع تحت تصرفنا جمهرة من الملايين • وربما كان الحماس فى الاقطار الشرقية المحتلة أبلغ الاثر فى تدعيم مقاومة الجيش الاحمر ، وربما كان هذا مدعاة لان يقول رجل الجيش الاحمر لنفسه : انى أقاتل من أجل نظام هو فى مجموعة أشد سوءا مما أتوقعه فى حالة الهزيمة : وسوف أكون من كل ناحية أحسن حالا بين الالمان مما أنا فيه الآن » •

٢ ـ **استعادة الحرية الدينية** : فقد تغير اتجاه البولشفيك نحو الكنيسة خلال الخمس عشرة السنة الماضية ، وفى الحرب الاخيرة كان على السوفييت أن يتخلوا عن عقيدة الالحاد الاعتدائية واعادة

فتح الكنائس لكى يسبقوا الالمان فى هذه الحركة · ولا تشجع صحف الحزب فى الوقت الحاضر على هذا الاتجاه نحو الكنائس بما تشير به دائما الى أن هذا لا يتناسب مع عضوية الحزب ، ولكن ليس هناك أدنى شك فى الشعور الدينى العميق الذى يتميز به القوم فى روسيا · كما توضح هذا فى كثير من تقارير الجيش فى الحرب الماضية ، والقصيدة الدينية هى البلسم الوحيد للشفاء من مساوىء الماركسية ·

٣ ــ ولكن لا يكفى أن نؤكد للروس أنهم فى مستوى مرتفع من الناحية الاقتصاديةومن حيث روحهم المعنوية ــ فهم ــ كغيرهم ــ يعتبرون أن الحكومة الذاتية هى أفضل نوع من الحكومات · ودعنا نقتبس مرة أخرى من مذكرة براوتيجام

« كانت الادارة الرئيسية للسياسة تصر دائما على أن القوم فى الشرق لابد لهم من أدلة ثابته حول مستقبلهم · وطبقا لذلك أخذت تستلفت أنظار وحدات القيادة العليا الى ضرورة قيام السلطات الالمانية بتهدئة خواطر شعوب الشرق من السلاف Slavic « بتطمئنينهم على مستقبلهم · وأشير الى أن أفضل وسيلة هى اقامة نظام مضاد لحكم ستالين وعلى رأسه جنرال من الجيش الاحمر ممن وقعوا فى الاسر · أو اذا أردنا أن نتجنب ذكر كلمة حكومة · فهو جنرال ثورى طبقا للطابع الذى خرج به ديجول · وتقدم أسرى الحرب ببيانات لا حصر لها لتصحيح هذا الرأى واتفقوا جميعا على أنه يخشى أن تحدث أسوء الامور اذا لزمت ألمانيا الصمت حول مستقبل الروس · ثم أن كثيرين منهم يرغبون فى الهجرة ولكنهم لا يعلمون الى أى جهه يقصدون » ·

وكان الفشل فى اجماع الآراء هو السبب المباشر فى حادثة من أغرب حوادث الحرب الاخيرة عندما اقتتلتوحدتان مسلحتان من الروس وكلتاهما تعاديان البولشفية وكان ذلك فى موقعة كبرى · وكل وحدة كانت ترغب فى أن تكون روسيا مستقلة وليست تحت اشراف الالمان والسوفييت · ولكن احداهما اختارت القيادة الالمانية العليا · واختارت الاخرى الجيش الاحمر ليكون ذلك بمثابة حليف لها لتحقيق هذا الغرض ·

وسرعان ما عثرت ألمانيا على ضالتها ــ ان لم تكن نقطة الارتكاز ــ فى شخص لفتننت جنرال فلاسوف من الجيش الاحمر · وقد لمع اسم هذا

الجنرال فى الدفاع عن موسكو • وفى صيف سنة ١٩٤٢ كان بين أسرى الحرب لدى الالمان وحتى ديسمبر سنة ١٩٤٢ وضع على رأس اللجنة الوطنية الروسية التى أشرف عليها الالمان • وفى سنة ١٩٤٥ دفع هو ومن معه من جيش التحرير الروس الذى جمع من أسرى الحرب فى أيدى الالمان ثمن تعاونهم مع العدو ، فقد سلمهم الحلفاء الغربيون الى السوفييت الذين قاموا باعدام الزعماء منهم ، وخلال فترة السنتين ونصف التى قضاها مع الالمان كان فلاسوف يستخدم كأداة للدعاية • ولم يسمح له بأية صيغة سياسية مما كان يتعارض مع نصيحة عدد من الضباط الالمان الذين كانت لهم آراء واضحة حول الموقف الراهن • حتى قيادته العسكرية لم تكن أكثر من قيادة اسمية •

ولما كان فلاسوف واتباعه من العسكريين فقد أرادوا مكافحة البولشفية باعتبارهم هيئة عسكرية جنبا الى جنب مع الالمان ، الا أن هتلر قرر بأن الالمان وحدهم لهم الحق فى حمل السلاح ، وعلى أية حال فقد اشترك بعض هذه القوات الشرقية فى القتال فى الجبهة الامامية برغم أن معظمهم كانوا يقومان بأعمال فى المؤخرة اما كوحدات للشرطة أو لمقاتلة المناضلين الروس والبولنديين والايطاليين والفرنسيين بينما كان آخرون يعملون كوحدات من العمال • حتى اذا جاء موعد انزال القوات فى نورماندى كان معظم القوات الشرقية قد سحبت من روسيا وأرسلت الى ميادين قتال أخرى •

ومما يدعو الى التفكير السبب الذى من أجله قام هؤلاء الرجال بمكافحة البولشفية ، لا شك أن بعضا منهم أرادوا أن يتجنبوا الظروف القاسية فى معسكرات الاعتقال الالمانية • وتحت تأثير الدعاية الالمانية اعتبروا أن حركة فلاسوف هى أفضل وسيلة ممكنة ، ولكن فى الواقع كان الكثيرون منهم مدفوعين برغبتهم فى القضاء على البولشفية • وقد يتبادر الى الذهن أنهم جميعا لم يكونوا مخلصين فى هذه الرغبة • ولكن نلتزم جانب الصدق نقول أن القليلين منهم قاموا بهذه المحاولة — وأن مساعدة الاسرى لحركة فلاسوف لابد أن كانت مساعدة حقيقية كالتى قام بها السكان المدنيين فى روسيا المحتلة • ثم أن الاسقف الروسى للكنيسة الارثوذكسية فى دول البلطيق — والمعين من قبل السوفييت — لم يكن وحده الذى وافق على مساعدة فلاسوف • بل وافق أيضا معظم السكان على حركة فلاسوف • واذا كانت هذه الموافقة يعتورها شىء من الارتياب فان ذلك كان راجعا الى الشكوك حول مقاصد الالمان • تلك الشكوك التى كان لها ما يبررها •

ولكن اذا كان السكان المدنيون يساورهم الشك في حركة فلاسوف اذ كانت حقا حركة يقصد بها التحرير · فان الجنود · وخاصة بعد سحبهم من الجبهة الروسية · لم يكن من المتوقع ـ على الاقل ـ أن يعلموا السبب الذى من أجله يقاتلون · وبالرغم من مطالبته المستمرة فان فلاسوف لم يسمح له بقيادة جيش التحرير حتى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٥ عندما خسرت ألمانيا الحرب واستمرت حركة فلاسوف خشية بطش السوفييت · ولكن حتى فى ذلك الحين رفض الالمان أن يكون لفلاسوف أى نفوذ سياسى · وحقا أنه نشر خطابا مفتوحا وتصرح له بالقيام بجولتين للدعاية السياسية فى أرجاء المنطقة الروسية التى يحتلها الالمان ، ثم فى خريف سنة ١٩٤٤ وافق هملر على أن يعلن فلاسوف أغراضه السياسية فيما أصبح معروفا « بتصريح براج للجنة تحرير شعوب روسيا » والذى نشر فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٤ · على حين سمح الالمان لفلاسوف واتباعه بتكوين لجنة سياسية لم يعترفوا بهم كنوع من النظام المعادى لستالين كما طالب بذلك دكتور براوتيجام Bræutigam وآخرون · فقد كان أى نفوذ خارج عن المناطق التى يحتلها الالمان ـ كما كان الحال فى فرنسا فى عهد جنرال ديجول ـ لا يسمح لهم به ·

ولكن « تصريح براج » كان لا يزال موضع اهتمام ، فقد اعترفت به وأقرته بصورة عامة مختلف الهيئات الروسية المعارضة · لان هذا التصريح كان بمثابة قاعدة عامة لحكومة غير شيوعية فى روسيا · وكان أغلب آمال اللجنة يكتنفه شىء من الغموض كالعمل على تدعيم أركان الاسرة والتشجيع على الزواج وضمان العدالة الاجتماعية وتهيئة الفرصة للمثقفين للعمل والابتكار فى نطاق من الحرية وهكذا · ثم أن التصريح ـ الى حد ما كما تبين فى مذكرة بروتيجام منذ سنتين ـ كان يشير الى الامل فى تصفية ال Kolchos · والى اقامة الممتلكات الخاصة عن طريق كسب العمل ، والغاء المدفوعات الجبرية ، وعدم الاضرار بالاشخاص والممتلكات والمساكن · ثم أخيرا وليس آخرا اطلاق حرية الدين بين الافراد · ومما هو جدير بالملاحظة هو العناية بتجنب أى انحراف فى أنظمة الحكومة ·

ونحن لا نقصد التوسع فى هذه النقاط ، بل نذكر ما لاحظه أحد كبار المراقبين مستر أوليج انيسيموف Oleg Anisimov الذى قام بجولات كبيرة فى روسيا المحتلة خلال الحرب الاخيرة ، حول أن العناصر الاساسية لسياسة « حكيمة » كما كان يفهمها الروس ممن تبادل معهم الحديث · هى : الحرية والعدالة والرخاء والامن والمساكن والملائمة ثم المزيد من الطعام

والملابس باثمان زهيدة ، ونحن نضيف الى ذلك أن من بين الحريات كذلك التحرير من الثورات العالمية التى تدور بخلد كثير من الناس فى كل مكان وتسكن فى طيات قلوبهم ٠

ومن ثم فان الامر فى حاجة الى دراسة جدية ٠ فهو ليس شيئا تقرره دولة واحدة فى حلف شمال الاطلنطى نيابة عن الجميع ٠ أو أمر تختلف فيه الدول الاعضاء فتصل الى نتائج متنوعة ٠ لابد من وضع سياسة عليا يقبلها الجميع قبل بدء الاعمال العدوانية بزمن كاف ٠

وخطوتنا التالية واضحة المعالم ٠ فاذا أردنا أن نستخدم أسرى الحرب من السوفييت كعملاء لنا فلابد من تكوين منظمات فى وقت السلم لاختيار وتدريب واعداد توجيه العملاء فى حالة قيام الحرب ٠ كما يقتضى الامر أن تتولى الامر منظمة واحدة لا كما فعل الالمان ٠ وأن يكون أعضاؤها ممن تلقوا قسطا وافرا من التعليم وبخاصة ممن يتحدثون اللغة الروسية ليتمكنوا من تأدية مهمتهم الشاقة ، ثم لا يكفى أن تكون هذه المجموعات لتأدية الغرض الذى أنشئت من أجله فحسب كما كان يفعل الالمان فى كل من ادارات مخابراتهم الحربية والسياسية ٠

ويفخر السوفييت بمهارتهم فى التخريب ٠ فعندما أدلى ستالين بتقريره الى الرسميين من أعضاء الحزب الشيوعى سنة ١٩٢٥ هدد بأنه فى حالة قيام حرب سوف يفتح أبواب الثورة فتشمل أنحاء العالم ٠ وأضاف أن الشخصيات البارزة فى الدول الرأسمالية لا تستطيع أن تنكر أن السوفييت لديهم التجارب فى هذا الميدان ٠

ونحن نعتبر أن هذا النوع من الحرب لا يستسيغه العقل والمنطق ٠ ولكن لما كان الاختيار بين السلم والحرب لن يكون من شأننا بل هو من شأن السوفييت ٠ فسوف يكون اختيار الاسلحة فى الحرب التى لا مواقع محددة لها للقتال ٠

وعلى ذلك يجدر بنا أن نكون على أهبة الاستعداد لاستخدام كل ما فى الجبهة من الاسلحة اذ أن السوفييت سوف يفعلون ذلك ٠٠٠٠

١١

المسألة من الناحية القانونية

على أنه على أولئك الذين لا زالوا يتمسكون بفكرة الحرب التقليدية ويرفضون الاشتباك فى حروب غير نظامية بكافة أنواعها أن يدركوا أنهم أشد تمسكا بالتقاليد من غيرهم من المسئولين عن التقاليد الدولية ومؤتمراتها • فان هذه المؤتمرات تعترف بشرعية هذه الحروب غير النظامية •

وحروب العصابات ـ بخاصة ـ مصرح بها بمقتضى قرارات مؤتمر لاهاى فيما يتعلق بقواعد وأسس الحرب فى البر المدرجة فى المادة ١ من القواعد المشار اليها • كذلك وافق مؤتمر لاهاى ومؤتمر جنيف على أن معاملة أسرى الحرب لا تمنيع تجنيد متطوعى هؤلاء الاسرى بناء على رغبة المسئولين عنهم •

ومن المؤكد أن القانون الدولى لم يأخذ بالتحديدات الحديثة فى صور الحرب • فهو ينص على حماية السكان فى البلاد المحتلة ضد المحتلين • وحماية أسرى الحرب والجرحى ضد من وقعوا فى أيديهم • كما ينص على حماية الجندى من استخدام أسلحة معينة ، ولكنه لا يحمى دولة مقاتلة ضد نذالة دولة أخرى اذا أدخلت بين صفوفها الخونة من مدنيين وعسكريين ، اذ من المفروض أن هؤلاء يحاكمون بمقتضى القوانين السارية فى البلد التابعين لها • وثبت فى الحرب الماضية أن ولاء السكان لاوطانهم أقوى من أية مؤثرات أو مغريات يقدمها العدو •

وسوف نتناول هذا الموضوع الآن :

⊙ أخلت أسلحة الحرب الحديثة بالاجراءات الوقائية التى ينص عليها القانون الدولى • وفيما يتعلق بحماية المدنيين طبقا للقانون الدولى يوجد مثالان يوضحان هذه النقطة •

ففى احدى محاكمات مجرمى الحرب أمام المحاكم العسكرية الامريكية فى نورمبرج أثيرت عدة مناقشات قانونية استمرت بعض الوقت حول

اذا كان القائد الالمانى قد ارتكب مخـالفة قانونية بمنعه السكان الروس الذين كانوا يموتون جوعا فى لننجراد من مغـادرة المـدينة المحـاصرة مستخدما القوة فى هذا المنع ، والغريب أنه لو كان لديه قنابل ذرية والقاها على المدينة لما كانت هناك أسئلة قانونية يمكن توجيهها اليه فيما بعـد ، ولكان السكان المدنيون قد قاسوا ما هو أشد وأنكى (١١٢) ٠

⊙ والايضاح الثانى : « مما أخذت به احدى المحاكم الأمريكية أنه فى ظروف مشددة وفى نطاق معين ٠ وبمقتضى ضمانات قوية يمكن الاستيلاء على الرهائن ٠ وبعد محاكمة قانونية تطابق الشروط السابقة مطابقة تام وكعلاج أخير ميئوس منه يجوز الحكم باعدام هذه الرهائن ٠٠٠ والاعدام دون مطابقة مثل هذه الشروط يصبح فى حكم الاغتيال الارهابى » ولا يزال هناك سؤال يتردد عما اذا كان قتل الرهائن أمرا مسموحا به ٠ بينما هو غير ذلك من وجهة نظر البريطانيين ٠ وعندما قام كبير القضـاة مسـتر كلينجوود Justice Collingwood بتلخيص الادلة فى القضية المقامة على الفيلد مارشال السابق فون مانستين Manstein نصح القضـاة العسكريين البريطانيين بأن سلطة القانون تؤيد وجهة النظر حول أن قتل الرهائن أو الانتقام من الاسرى هو انتهاك لقوانين الحرب ويعد نوعا من الاغتيال ٠ والنتيجة التى نصل اليها هى : أن الدولة المحتلة ـ تحت ضغط استفزازات شديدة ـ تتصرف فى غير حدود القانون اذا تنفذ حكم الاعدام فى رهينة من رهائنها ، ثم تنتهج حرب العصابات وما ينجم عنها من أخطار فى المنطقة مع مراعاة حماية المدنيين ، ولكنها ـ من ناحية أخرى يستطيع المحتل أن يستخدم القنابل الذرية ضد قوات العصابات بمطلق الحرية ودون أن يجيب عن أسئلة حول عدد المدنيين الابرياء الذى راحوا ضحية هذه الاجراءات ٠ وفى هذه الحالة لا يجد المدنيون ما يقيهم شر هذه النكبات والاثام ٠

⊙ كذلك يتمتع الجندى فى الميـدان بشىء من الوقاية ضـد الحروب الوحشية بسبب تحريم استخدام الغازات السامة ٠ على حين نجد ـ فى نفس الوقت ـ أن استخدام الاسلحة النووية لا نطاق له ولا حدود ، ومن الممكن أيضا استخدام الاسلحة النووية ضد السكان المدنيين الآمنين ٠

---

١١٢ - *U. S. War Crimes Trials against F. M. von Leeb, High Command Case, No 12*

⊙ وقد ثار الجدل حول تحريم استخدام الاسلحة النووية • فاذا حرمت ـ أمكن أن تنسجم قوانين وأنظمة الحروب مرة أخرى مع الاتجاهات الدولية القديمة التى تعمل المؤتمرات على تنظيمها وتدعيم أركانها ، وهنا نجد أن الامر يختلف اذا استبدلنا الاسلحة المعتادة بالاسلحة النفسية فى الحروب •

* * *

ومع ظهور الحرب النفسية ـ كما نعلم الآن ـ أصبح من الممكن اغراء جنود العدو على القاء أسلحتهم وقد يكونون قادرين على الصمود فى وجه خصومهم • وتعد هذه شر جريمة يرتكبها الجندى المقاتل • ولا يمكن تحريض الجنود على التخلى عن أماكنهم اذا تجاهلنا الروح المعنوية للسكان المدنيين وكانت النتيجة ثورة الاهالى ضد حكومتهم • وارتكاب جريمة الخيانة • وفى هذه الحال تصبح الدعاية أمرا لازما لتحقيق النجاح ، ولكن للآن لم تجد الحروب النفسية من يشجع على الغائها • وطالما حققت الغرض منها فهى باقية تحتفظ بمكانتها على الدوام •

ومن الواضح أنه فيما يتعلق بالحرب النفسية نجد أن الفكرة الاساسية لتحقيق النصر هى : أن ندع العدو يشعر بالقلق حول عدم ولاء السكان من مدنيين وعسكريين ثم محاولة الاستفادة من هذا الاتجاه والحصول على عدد من المتطوعين • وضمهم الى صفوفنا • واذا كان القانون يسمح بتحريض سكان العدو على رفع السلاح فى وجه حكومتهم فمن السهل تطبيق القاعدة ذاتها على الاسرى من جنود العدو •

واليك الموقف بكل بساطة : بعد التوقيع على معاهدة لاهاى وحتى قبل أن يقوم الالمان والروس باستخدام أسرى الحرب فى جميع أنواع الأعمال • كان المبدأ واضحا مهوما ، ولقد قام كل من اللنبى ولورنس بتوجيه «المغلوبين على أمرهم فى تركيا» ضد الاتراك فى الحرب العالمية الاولى • وخلال الحرب النفسية التى انتهجتها جميع الجيوش المقاتلة خلال الحربين الماضيتين أدرك القائمون بها أن اغراء سكان بلاد العدو يدخل ضمن حدود القانون • كذلك فى سنة ١٩٤٦ عندما تضمنت أحكام كبار قضاة المحكمة العسكرية الدولية فى نورمبرج أنه فى سنة ١٩٣٩ اعترفت جميع الامم المتمدنية بقرارات مؤتمر لاهاى • أشار القاضى الروسى الى

موافقته على وجهه نظر الروس من حيث أن القوانين والتقاليد فى الحرب تسمح للدولة المحاربة باستخدام أسرى الحرب كمتطوعين ــ كما يتراءى لها ــ للعمل ضد بلادهم · ومن الواضح أن وجهة نظر الروس تنطبق على جميع تصرفات مواطنى العدو فى مصلحة روسيا فى الحرب العالميـة الثانية ·

ومما هو جدير بالملاحظة أن لوجهة نظر الروس مايبررها ، فليس فى المؤتمرات الدولية مايحرم على الدولة المحاربة أن تستخدم مواطنى العدو فى أى غرض يتطوعون للقيام به · فقط هناك مايمنع الارغام على ذلك ·

ويقرر مؤتمر لاهاى فيما يتعلق بالمدينين :

مادة ٢٣ : لايجوز للدولة المحاربة أن ترغم شعوب الدولة المعادية على الاشتراك فى عمليات القتال ضد بلادهم ·

مادة ٤٥ : «**لايجوز ارغام سكان المناطق** المحتلة على حلف يمين الولاء للدولة المعادية · »

مادة ٥٢ : لاتطلب الاحتياجات والخدمات بانواعهـا من السـلطات المحلية أو السكان · الا اذا كانت لسد حاجات جيش الاحتلال · كمـا يجب **الا يرغم السكان** · على الاشتراك فى عمليات حربية ضد بلادهم ·»

ويبين مؤتمر جنيف فيما يتعلق باسرى الحرب من الجنود بتاريخ ١٢ من اغسطس سنة ١٩٤٩ :

مادة ٥٠ : « يجوز **ارغام** أسرى الحرب على القيام بالمهام الواردة فيما يلى:

والالفاظ المستعملة بالنسبة للجنود والمدينين هى «**ارغام**» «**اضطرار**» «**مطالبة**» «**الزام**» Obligation **ومن الوجهة القانونيـة بالنسبة** للعدو فهو يستطيع الحصول على مثل هذه الخدمات من المتطوعين ·

كما أن هذه هى وجهة نظر الالمان المقبولة · وكثيرا ما أعربوا عنهـا فى مختلف محاكمات جرائم الحرب ، كذلك كانت وجهة نظر الامريكيين حول القانون والتى تبينت كما يأتى فيما يتعلق بعملية زبلين Zepplin

«**تعترض هيئة الاتهام** على استخدام اسرى الحرب فى **اعمال الجاسوسية** وما **يماثلها** من الاغراض الاخرى ضد **بلادهم حتى ولو تطوعوا لفعل ذلك** اذ يعتبر هذا التصرف انتهاكا للقانون الدولى ومؤتمر لاهاى الذى يحترم قوانين وتقاليد الحرب (المادة ٦ من الفصل الثانى والمادة ٣١ من الفصل السادس من قرارات مؤتمر جنيف) ولم يتبين لنا أى مواد أخرى غير هذه المواد ذاتها • كذلك **جرت العادة بأن المواطن فى أى دولة سواء كان فى الخدمة العسكرية أم لم يكن • اذا قدم مساعدة أو خدمة للعدو فهو يعتبر خائنا لوطنه • ولكننا لم نسمع من قبل أن العدو الذى ينتفع من خيانة المواطن يعد متهما بالاخلال بالقانون الدولى** • ويتبين من قرارات مؤتمر لاهاى منع استخدام أسرى الحرب فيما له علاقة بالعمليات الحربية ينطبق فقط عندما يجىء هذا الاستخدام بالقوة أو التهديد وليس عندما يتطوع أسرى الحرب وحدهم باختيارهم للقيام بهذه الخدمات (١١٣) •

ولنفس الاسباب ينطبق هذا الوضع على المدنيين كما ينص على ذلك القانون الدولى • وربما كان الامر الواقع أهم بكثير من الوضع القانونى : اذ أن انتهاج الحرب النفسية خلق اتجاها جديدا فى الحروب ولكى لا نسير الى أبعد من ذلك فان مواطنى العدو يمكن أن يحرضوا على المقاومة السلبية التى قد تتطور فيما بعد الى مقاومة ايجابية والى التعاون مع أعدائهم •

وبينما تحاول الحرب النفسية ـ كما نعلم ذلك فى الغرب ـ تشجيع المقاومة داخل معسكر الاعداء وقد تتطور الى التعاون بعد بدء الحرب نجد أن الحروب الجديدة قد أحكمت نظام المقاومة والتعاون قبل نشوب الحرب •

صحيح أننا اذا أدركنا الحقائق قد نأسف على ما ينجم عنها من تطورات• ولكن ليس هناك ما يبرر التخلى عن أسلحة الحرب التى تدور فى غير مواقع للقتال • سواء كان ذلك على أسس قانونية أم لم يكن !! •

---

١١٣ ـ *U. S. War Crimes Trial Against Von Weizscekcer, Ministries Case, No. 11 Judgement on p. 28564 of The Transcript*

١٢

الطابور الســادس السوفيتى

هل صاغ السوفييت من الجاسوسية والتسلل وأنواع التخريب والتدمير بخاصـــة آلات للحرب ؟ واذا كان الامر كذلك فهل تســتطيع هذه الآلات اذا استخدمها المدنيون على ما هى عليه ، أن تغير من طابع الحروب التقليدية؟ ان الاجابة على هذه الاسئلة تبدو فى حد ذاتها واضحة ٠٠٠

ولقد عرضت دراستنا الكلاسيكية للجاسوسية الســوفييتية فى زمن الحرب ٠ والتى كان نجاحها ـ كما أوضحنا ـ يرجع الى التسلل كما فعلت الشبكة الروسية التى كان يتولاها الجاسوس الالمانى دكتور سورج فى اليابان وحققت نجاحا فى الجاسوسية ليس بالقليل نتيجة للتسلل ٠

والتسلل ـ فى نظر السوفييت ـ سلاح الغرض منه مساعدة الجيش الاحمر وقت الحرب ٠ ومهمة المتسللين ـ فى زمن الحرب والسلم ـ هى الحصول على المعلومات الرسمية السرية التى تنفع العدو بطريق مباشر أو غير مباشر ثم نقل هذه المعلومات الى هذا العدو ٠

فكان المتسللون الذين يعملون لروسيا السوفييتية ضد بلادهم هم من الالمان واليابانيين ٠ وترجع صلتنا بالتدمير الى الحرب الماضية عنــدما كان الروس يقومون بأعمال التخريب لصالح حليفتهم ألمانيا فى ذلك الحين ٠ وكان أنصار السوفييت اذ ذاك من الفرنسيين الذين أخذوا يعملون على هزيمة بلادهم ٠ فمن النفاق أن ندعى أن الســوفييت ـ بينما كانوا على استعداد لمعاونة صديقهم السابق هتلر بهذه الطريقة يرفضون استخدام نفس السلاح وقت الحرب لمصلحتهم الشخصية ٠

كذلك لا شك أن السوفييت سوف يســتخدمون التخريب على أيدى المدنيين كسلاح فى الحرب ٠ ولما كان معظم ما ذكرناه فى الفصل السابع يتعلق بخطط السوفييت وليس بتنفيذ تلك الخطط ٠ فلابد وأن نعود الى تصريحات زعماء السوفييت لنبين الاغراض التى وراءها ٠ وسنجد أن هذه البيانات متعددة وواضحة ٠

وفى سنة ١٩٢٧ أوضح ستالين الفكرة العامة فقال :

(« الثورى » هو الذى يكون مستعدا للدفاع عن الاتحاد السوفييتى وتقوية دعائمه بأمانة وصراحة دون جدال أو طبقا لشروط وقيود معينة • اذ أن الاتحاد السوفييتى هو أول دولة فى العالم تضم العمال والثوار • والشخص العالمى هو من يكون على استعداد دائما للدفاع عن الاتحاد السوفييتى دون تحفظ أو تردد أو شروط أو قيود • ذلك لان الاتحاد السوفييتى قبل كل شىء هو دعامة الحركة الثورية العالمية) ولا يمكن الدفاع عن تقدم هذه الحركة الثورية دون الدفاع عن الاتحاد السوفييتى » •

وحقا • كما بين ستالين فى السنة التالية :

« لا شك فى أنه على الثورة فى الاتحاد السوفييتى التزامات تجاه العمال فى جميع البلاد وأن عليها الوفاء بها ، ولكن أيضا على تلك الطبقات العاملة فى كل البلاد بعض الالتزامات المماثلة تجاه دكتاتورية العمال فى الاتحاد السوفييتى » •

وتكون هذه الالتزامات لحماية وتقوية دعائم الاتحاد السوفييتى فيما يلى :

(أ) فى التبشير بأن جيوش الامبرياليين يجب أن تنضم مباشرة الى جانب الدكتاتورية العمالية فى الاتحاد السوفييتى فى حالة وقوع هجوم على السوفييت (١١٣) •

(ب) عند اعلان الحرب (وخاصة فى حالة قيام حرب ضد الاتحاد السوفييتى) ــ أو فى أثناء الحرب كلما سمح الموقف ــ يجب على الشيوعيين اعلان الشعارات للثورة الوطنية واثارة القلاقل ضد الاستعماريين وسرعة تكوين وحدات من الثوار الوطنيين للقيام بحرب العصابات • International, 1928 (١١٤) •

(ح) أوضح ستالين فى سنة ١٩٣٤ : « مثل هذه الحرب لن تشعل نارها فى جبهات القتال فحسب • بل أيضا فى مؤخرة العدو ،

---

١١٣ ــ ١١٤ ــ ستالين « برنامج للكومنترن » خطاب فى الخامس من يوليو سنة ١٩٢٨ •

ولا حاجة لان يشك البورجوازيون فى أن أصدقاءهم العديدين من الطبقات العاملة فى الاتحاد السوفييتى واوروبا وآسية سوف يلقون بضربتهم فى مؤخرة خصومهم » • تقرير ستالين للجنة المركزية فى المؤتمر السابع عشر للحرب الشيوعى ١٩٣٤) •

(د) صرح لينين فى سنة ١٩٢٠ بقوله : « من واجب الاحزاب الشيوعية فى الخارج أن تقوم بدعايات متواصلة لحث العمال على الامتناع عن نقل المواد الحربية لاعداء الجمهوريات السوفييتية » • (مخابرات عن أعمال لينين طبع لندن ١٩٤٣ المجلد ١٠ ص ٢٠٥) •

على ذلك كان الشيوعيون فى الخارج يتلقون التعليمات من السوفييت فى حالة الحرب بالعمل على تحطيم الروح المعنوية بين جيوش بلادهم والقيام بحرب العصابات ضدها ، وبالعمل على قيام الحروب الاهلية ثم نهب المواد الحربية • ومما يبعث على الملل أن نذكر بتصريحات أخرى فى هذا الصدد ، على أننا تدنتبين مما جاء فى التصريح التالى أنه لن يكن هناك ما يعطل من اتخاذ أى وسائل وتدابير أخرى •

(هـ) أعلن فيشينيسكى Vyshinsky فى سنة ١٩٤٨ : أن عضو الدولية الحقيقى هو الذى يوجه عنايته ومشاعره وامكانياته الى أقصى حد من أجل المساعدة العملية للاتحاد السوفييتى بتأييده والدفاع عنه بكل وسيلة وفى أى صورة ممكنة ، والتعاون الفلى مع الاتحاد السوفييتى وامكانيات العمال فى كل دولة هو أن تكون أهدافهم موجهة الى المشكلة الاساسية وهى تقوية دعائم الاتحاد السوفييتى فى جهاده وكفاحه بمعنى أن تكون هناك ثورة عمال دولية من جانب العمال فى الدول الاجنبية ، والدفاع عن الاتحاد السوفييتى ــ بوصفه الوطن الاشتراكى لجميع العمال فى أنحاء العالم ــ هو الواجب المقدس على كل انسان وفى أمين فى كل مكان » • • • •

ولكى يقتنع « كل رجل وفى أمين فى كل مكان » بأن العمل على اضعاف القوة العسكرية فى وطنه ليس بجرم فى شئ بل هو واجب مشرف • يجب أن يوضح له تماما أن جيش وطنه ليس سوى آداة طيعة فى أيدى الرأسماليين والاستعماريين للحط من شأن العامل • ولما كان الشيوعيون أنفسهم

لا يستطيعون أن يثبتوا أن الجيوش الغربية مدربة لاخضاع شعوبهما فلابد من تنوير الاذهان عن طريق التحايل والاغراء تبث روح الكراهية ضد هذه الجيوش ،ويقال أنه على حين أن الجيش الاحمر على تمام الوفاق مع الشعب فان الجيوش الغربية منعزلة عن شعوبها ·

ويفسر ستالين هذا الاتجاه بقوله : « أن أول طابع أساسي لجيشنا الاحمر يتبين فى أنه جيش العمال الاحرار والفلاحين » ····

« وجميع الجيوش التى تواجدت حتى الآن فى ظل الرأسمالية هى الجيوش التى تعمل على تدعيم رأس المال » ···

وفى الحق أن الزعماء الشيوعيين فى كل مكان يعملون فى نشر هذا الرأى :

« لم يحاول الشيوعيون · سواء فى روسيا أو الصين أو الهند الصينية ، لم يحاولوا مطلقا أن يخفوا من حقيقة أنهم يعتبرون جيوشهم وجميع فنونهم وعلومهم العسكرية تختلف تمام الاختلاف عن مثيلاتها فى البلاد الرأسمالية، وفيما مضى ــ منذ أمد طويل ــ قال لينين أن الجيش بالنسبة للشيوعيين هو الطبقة العاملة التى تسير الى الامام معتزة بأفرادها · ويقول ماو · ان الجيش منذ عملية الزحف الطويل هو طبقة الفلاحين يسيرون فى هيئة منظمة · والجيش فى نظر Nam Il ــ هو الشعب يسير الى الامام · وفى نظر هوشى منه · هو مجموع المواطنين يسيرون فى صفوف منتظمة ، حتى اذا توقف الزحف وانتهى الامر ــ كما يقول جميع هؤلاء الزعماء ــ تغير الجيش ولم يعد جيشا بل صار أفرادا من الفلاحين والعمال وسائر المواطنين · وعندما ينتهى سبب تواجدهم فى الجيش يعود كل فرد الى مهنته الاصلية ويزاول نشاطه السابق ، ومن ناحية أخرى نجد أن الحروب الرأسمالية تصر على أن هناك فاصلا محكما بين الجيوش وبين الشعوب · وهذا الاختلاف مصدره الفرق بين الجيش وبين الشعب · كما أن مصدره الفرق بين الاقتصاديات والفلسفة الاشتراكية ــ ذلك الفرق الذى لا معدى عنه منه بين النظامين (١١٥) » ·

وينطبق على هذا قول ستالين : « كانت الجيوش ولا تزال تعمل تحت سيطرة رأس المال فى البلاد الرأسمالية حيث يعمل القوم على اقحام الجيش

---

١١٥ ــ من عرض صحفى فى مجلة شانكرز الهندية الاسبوعية التى تصدر بدلهى عدد ١٦ من مايو سنة ١٩٥٤ ·

فى المنازعات السياسية كسلاح لاخضاع العمال ومن على شاكلتهم . وهل ليس حقا أن الجيش هناك عبارة عن آداة لكسر شوكة العمال . وأنه يعد حصنا يلجأ اليه ولاة الامور ؟ (١١٦) .

ولما كان هذا الفرق لا يتعدى حدود موطنه فان الواجب الاسمى للشيوعيين هو الكفاح مع الجيش الاحمر ضد دول الغرب ، وبمعنى أوضح . بينما ينص دستور السوفييت سنة ١٩٣٦ على أن : « خيانة الوطن والاخلال بيمين الولاء والتخلى عن البلاد أمام العدو والاضرار بالقوة العسكرية للدولة والجاسوسية ضد البلاد . جرائم يعاقب عليها بأقسى مواد القانون باعتبارها أشنع أنواع الجرائم . فأننا نعود الى اقتباس تصريح فيشينيسكى Vyshinsky الذى قال فيه : « أن الواجب المقدس على كل رجل أمين فى كل مكان » هو ارتكاب كل هذه الجرائم ضد بلاده دفاعا من كيان الاتحاد السوفييتى » .

وعلى حين كان يخوض غمار الحروب فى الماضى جنود تدل ملابسهم الرسمية على أنهم من الاصدقاء أو الاعداء . فان الحروب التى لا مسارح قتال محددة يقوم بها المتصيدون من المواطنين الذين لا يمكن التعرف عليهم وهم بملابسهم المدنية ، وزيادة على ذلك فعلى حين أن معظم الدول تستخدم عادة المواطنين فى أعمال التخريب وأوجه النشاط الهدامة . فان الشيوعيين يحاولون اغراء مواطنى الغرب على القتال ضد أوطانهم على نطاق واسع ، ثم أن الدول الغربية التى بها منظمات كبيرة للاحزاب الشيوعية . فان حكوماتها — فى حالة قيام الحرب — لا تقف فى وجه الافراد من الخونة بل تكافح مجموعة منظمة منهم تعرف بالطابور الشيوعى السادس » .

ومن المتعذر القول بمدى تأثير دعوة السوفييت الى الخيانة اذا ما نشبت الحرب ، ولكن مما يستحق الذكر أنه بناء على أمر من موسكو — كما أوضحنا فى الفصل الخامس — قام الشيوعيون الفرنسيون بمساعدة جيوش هتلر فى طريقة الى دخول فرنسا ، ولكن فى سرعة تحول هؤء الفرنسيين فأصبحوا عصب المقاومة ضد هتلر عندما قام بغزو الروسيا .

وكثيرا ما يبلغنا أن مثيرى القلاقل من أنصار العدو لا يتأتى لهم سوى فرص قليلة للعمل فى الغرب لانهم لا يستطيعون تأدية واجباتهم على الوجه

---

١١٦ — ستالين : « الخاصيات الثلاثة للجيش الاحمر » طبع موسكو ١٩٥٢ المجلد ٢ ص ٢٢ — ٢٤ .

الاكمل الا اذا ساعدهم سكان المنطقة التي يباشرون منها مهامهم ، ولكن الشيوعيين الفرنسيين على النقيض من ذلك فقد كان نشاطهم أثناء الليل وكانت مشاعر الفرنسيين ـ بالنسبة اليهم ـ ثابتة لم تتغير ، ونجح الشيوعيون فى عملياتهم ليلا ونهارا ·

وعلى حين يجد المناضلون عونا كبيرا اذا عملوا فى دولة صديقة ولكنهم أيضا يمكن أن يكونوا مصدرا للارهاب والذعر اذا اقتضى الامر ، وفى الحرب الاخيرة كثيرا ما اتضح ذلك فى نشاط المناضلين السوفييت فى الروسيا ، أولئك الذين طالما تواردت الانباء حول مهاجماتهم للقرى والاغارة عليها سعيا وراء الطعام والاغنام والماشية وغير ذلك من المعدات اللازمة ، ثم الاحاطة برئيس القرية والاستيلاء على رهائن يأخذونها معهم ـ مما يدل على أن السكان لم يكونوا على وفاق تام مع أولئك المناضلين الذين ـ لولا تصرفاتهم ـ لوجدوا كل مساعدة يطلبونها ·

وقال السنيور تيراتسينى Terracini العضو الشيوعى فى مجلس الشيوخ الايطالى سنة ١٩٥١ : « اذا نشبت الحرب فان المناضلين فى وقت السلم الذين كانوا مناضلين فى زمن الحرب يدافعون عن الحرية · ليدركوا ويقوموا ما عليهم من الواجبات » · وقد قيل أنه « من المؤكد أنه فى دول كايطاليا وفرنسا سوف تظهر مجموعات كبيرة من المناضلين الشيوعيين » · والامر الوحيد الذى يتبادر الى الاذهان هو هل فى استطاعة الروس انتهاج حرب رجالها من المناضلين على نطاق واسع ينذر بالخطر ، لاشك أنهم سوف يحاولون ذلك · اذ أن هذا الاتجاه يتضح فى حرب العصابات الشيوعية وكان موضع ارتياح العسكريين والمدنيين على السواء · وحتى لو لم يستطع السوفييت تكوين عصابات منظمة فان أفرادهم من العملاء والمخربين سوف يشكلون خطرا علينا ، والفرد الواحد منهم اذا استخدم الاسلحة النووية أو قام بتدميرها فان فى استطاعته أن يحدث أضرارا لا يتصورها العقل · كما أن العملاء والمخربين يستطيعون مباشرة مهماتهم حتى بين سكان بلاد العدو ·

ولا شك أن السوفييت سوف يمارسون أعمال التخريب والتدمير كما نجحوا فى ذلك من قبل ، ومن المحتمل أن تصبح قوات ألمانيا الغربية أهدافا صالحة لذلك · وفى جميع المناقشات حول اعادة تسليح ألمانيا الغربية اذ كان ذلك فى صالحها أو يشكل خطرا عليها · بقى الكثير من الاسئلة لا توجد من يوجهها ولا تجد من يجيب عليها فمثلا : هل فى صراع من الشرق

والغرب سيعتبر الالمان الغربيون أخوانهم في شرق ألمانيا اعداء لهم أم يرونهم ألمانا مثلهم ؟ ان فى استغلال هذا الانقسام فى الولاء يجد التخريب مرتعا خصبا له • كما أن توحيد ألمانيا وفكرة وجود ألمانيا موحدة سوف يظل أهم موضوع فى سياسة ألمانيا الغربية •

وقد يقال ـ بطبيعة الحال ـ أن الروس يواجهون نفس المشكلة في اعادة تسليح ألمانيا الشرقية ، ولكن هذا الامر لا يطابق الواقع • اذ أن تفوق السوفييت فى الايدى العاملة يتيح لهم الاستخدام سوى من يقع عليه الاختيار من المتعصبين لهم فى ألمانيا الشرقية وذلك فى الجبهة الامامية ، وهؤلاء لابد أن يكونوا موضع ثقة لدى القوميسيريين المنتشرين في كل مكان • وأما دول الغرب فانها لا تستطيع الوصول الى حل لهذه المشكلة بما يطابق هذا الوضع •

اذن قد يتبادر الى الذهن أنهمن الخطأ اعادة تسليح ألمانيا الغربية وخاصة لان مساهمتها فى الدفاع أقل شأنا ـ من حيث عدد الجنود ـ من ألمانيا الشرقية فى هذا الصدد !! ولكن هذا الاستنتاج ليس صحيحا لسببين : أولا لان الروس كما نعلم سوف يستخدمون قوات ألمانيا الشرقية على أية حال • وثانيا ـ بينما تقدر دول الغرب أن القوات المقاتلة فى شرق ألمانيا كما تبدو فى نظرهم من حيث العدد والعدد وليس من المتوقع أن تزيد عن ذلك • فأننا نذكر أن الجيش الاحمر قام بمهاجمة القوات الالمانية فى الحرب الماضية عندما أصبح متوافرا لديه أربعة أضعاف جنود العدو •

وكقوة رادعة فان اثنتى عشرة فرقة ألمانية تعتبر اسهاما من ألمانيا فى دفاع الغرب ثم أنها كقوة اضافية لقوات الغرب ، وبذلك يكسب الغرب الكثير مما يكسب الشرق من اعادة تسليح قسمى ألمانيا فى كل جبهة •

ويمتاز الجنود الالمان بالثبات والصبر على القتال بما لا يدع مجالا للشك • ولا تزال فى أذهانهم ذكريات عن الهجوم الاخير على روسيا • وبالرغم من ذلك فان قليلا منهم من يفكر فى محاربة الجيش الاحمر، ولكنهم ـ اذا طلب منهم أن يقاتلوا الروس ـ فانهم سوف يبلون بلاء حسنا •

ثم نعود الى قولنا : هل نحن على ثقة من أن الالمان فى الغرب من الممكن أن يقاتلوا الالمان فى الشرق ؟ لقد مضى وقت طويل منذ أن اشتبك الجنود الالمان فى حروب أهلية ، ولا نعرف الآن مدى اتجاههم فى هذا الصدد ، هذه مشكلة يجب أن تنال ما تستحق من عناية واعتبار فى الغرب •

فاذا قامت الحرب واستطاع السوفييت تنظيم حرب عصـابات وراء خطوطنا فان النتائج تصبح واضحة جليـة وتتغير أنظمة الحرب التقليدية تغيرا جوهريا . ولا حاجة بنا الى أن نعود الى الوراء أكثر من أن نتـذكر الدروس التى تلقيناها من حرب المناضلين السوفييت ضد الالمان فى الحرب الماضية .

فى سنة ١٩٤٤ وجدت المجموعة المركزية للجيش الالمانى قواتهـا فى مركز حرج . فقد كانت تعتمد على خط حديدى واحد لنقل معداتها وكان هذا الخط يمتد خلال منطقة المناضلين الذين كانوا يقومون بمهاجمة السكة الحديد بمعدل أربعين مرة فى اليوم الواحد ، ثم فجأة . وطبقا لاوامر القيادة العليا للسوفييت توقفت تلك الهجمات . وفى نفس الوقت قام الجيش الاحمر بمهاجمة خادعة جنوبى الجبهة الامامية للجيش الالمانى الذى أرسل فى الحال كل ما لديه من القوات الاحتياطية الى الجنوب بطريق السكة الحديد . ولم تلق هذه الحركة أى تدخل من جانب المناضلين .» وبمجرد وصول التعزيزات الالمانية الى الجنوب واذا بالجيش الاحمر يهجم بجميع قواته فى الشمال . وعندما أراد الالمان ارسال الامدادات الى الشمال بطريق السكة الحديد لتعزيز الجبهة الشمالية المتداعية تلقى المناضلين الاوامر من الجيش الاحمر بالقيام بأعمال التخريب على نطاق واسع لم يسبق له نظير ، وكذلك بتدمير خط السكة الحديد تدميرا تاما . وتم القضاء على مجموعة الجيش الالمانى بعد أن فقدت قواتها وحرمت من أية تعزيزات تأتى لنجدتها » .

وهذه الموقعة فى اقاليم منسك ــ أورشا ــ برست Minsk, Orcha Bres تعد مثالية من بين عمليات المنـاضلين للجيش الاحمر حيث ألقيت الضربة القاضية من المؤخرة ، وذلك بشل حركة القوات الاحتياطية بأكملها وعزلها عن الجبهة الامامية التى تحيط بها الاخطار . وكان تدميرها بوساطة المناضلين وراء خطوط القتال قبل هجوم الجيش الاحمر .

ولم تكن عمليات المناضلين وحدهم بل أيضا مخابراتهم مما كان له أثر واضح على طراز الحروب التقليدية . كما رأينا فى الفصل الرابع . كانت مواقع الالمان معروفة لدى الروس فى أغلب الاحيـان . وكذلك تحركات الالمان ومقاصدهم . وفى مثل هذه الظروف لم يتمكن الالمان من استخدام عنصر المفاجأة . وأصبح الامر فى صالح الروس الى حد كبير .

وفى الحرب الماضية استخدم الروس آداتين من أدوات الحرب الجديدة ضد الالمان : **الجاسوسية عن طريق التسلل** ، وحرب المناضلين ؛ ولم تتيسر

مباشرة أعمال التخريب والتدمير على الجبهة الالمانية لان الشيوعية ــ بعد فترة عشر سنوات من الاشتراكية الوطنية ــ أصبحت لا تعد حركة منظمة فى ألمانيا سواء سرا أو علانية • ثم لم يتيسر سوى احداث الانقلابات فى فرنسا ، اذن لا يمكن تطبيق هذه النظرية دون تجربة أو ممارسة من حيث استخدام هذه الاسلحة فى الحرب الجديدة • ولما كان من السهل معرفة حقيقة حيل السوفييت فان ذلك مما يفسح المجال لدول الغرب لانتهاج سياستها الخاصة بها •

ومن الواضح أن أول أهدافها : هو أننا **يجب الا نبالغ فى تقدير الاخطار التى تهدد امن بلادنا ، ثم أن نعيد النظر فى الشكوك التى تساورنا** • ولا حاجة بنا الى القول بأننا نسير على هذا المنوال فى الوقت الحاضر ؛ ولكن هناك وجهة نظر يجب أن نوليها ما تستحق من العناية • وهى الدعاية السوفييتية اذا واصل السوفييت انتهاج الحرب الباردة على عكس ما نتوقعه فى الوقت الحاضر :

ولا يغرب عن البال أن الهدف من هذه الدعاية ليس فقط كسب أعضاء جدد للحزب الشيوعي وانما هو غرض يدل على المهارة فى شيء من الغموض : فهم بمواصلتهم الدعاية للسلام ونزع السلاح وغير ذلك من النزعات الطيبة يحاولون أن يتركوا أثرا فى النفوس بأنهم ليسوا أشد الامم سوءا ، فاذا كان على الانسان أن يختار بين أمرين كلاهماشر فانه يختار شرور السوفييت باعتبارها أقل من غيرها •

على هذا الاعتبار تمكن السوفييت من ضم بعض الالمان الى صفوفهم ضد النازيين فى الحرب الاخيرة عن طريق مناقشاتهم ودعاياتهم • كذلك انضم الى الروس أولئك الذين لم يكونوا من الشيوعيين وانما كانوا يخشون عودة القومية الرجعية والاشتراكية الوطنية فى ألمانيا • ونجد من بين هؤلاء دكتور John وقد يكون Rœssler مثلا آخر • كما لم تكن آثار الدعاية الروسية مقصورة على عدد قليل من الالمان •

ولقد كرر الزعماء فى الغرب أنهم ــ فى حالة قيام حرب ــ سوف يستخدمون الاسلحة النووية ، ونلاحظ أن الروس لم يصدروا تصريحا من هذا القبيل • بل ذهبوا بعيدا عن هذا بأن شجعوا على تحريم صناعة واستخدام تلك الاسلحة كما فعلوا فى « اتفاقية الامس للكتلة الشرقية » بتاريخ ١٤ من مايو سنة ١٩٥٥ ، وكانوا ــ بترديدهم هذا الطلب فى أغلب

الاحيان ـ يحاولون اقناع القوم فى كل مكان بأن القنبلة الذرية فى أيدى الروس تبعث على الاطمئنان بأكثر مما تكون فى أيدى الدول الغربية ، وأن هذا صحيح أيضا فى وقت السلم · وهنا أيضا نجحت الدعاية السوفييتية الى حد ما ·

وسوف يذكر القارىء الموضوع الذى ناقشناه فى الفصل الثانى حول تسرب معلومات خطيرة من اجتماعات مجلس الدفاع الوطنى فى فرنسا سنة ١٩٥٤ ، فقد كان المسئولون رسميا عن تسرب هذه المعلومات من غير الشيوعيين ، ولكن الدوافع النظرية لهم كانت تعد من الشيوعية السرية ، وكان من بين هذه البواعث أنهم كانوا يعارضون أى احتمال لوقوع حرب ذرية ، ونتيجة لهذا تبادر الى الاذهان أن هناك مستندات ذات قيمة كبيرة تتعلق بالدفاع وتحيط بها السرية المطلقة قد وقعت فى أيدى الشيوعيين ·

ولسنا فى حاجة الى تقديم أمثلة أخرى · وحسبنا القول أنه للوقاية من الشيوعية يجب الا نعتمد على الاجراءات السرية وحدها بل أن نحاول حماية أنفسنا أيضا من هذه السموم والجراثيم باتخاذ وسائل وقائية ، ونحن فى الغرب نقتصر فى دعايتنا المضادة على ما نوجهه من اذاعات متنوعة الى المستمعين وراء البحار على حين يجب أيضا أن نفعل شيئا من ذلك لصالح القوم فى بلادنا · وليس هناك من يرغب فى وجود وزارة لتنوير الاذهان كوزارة جوبلز فى أوطاننا ولكن الصحافة والاذاعة فى وسعها أن تفسح مجالا لنشر وجهات نظرنا فى أوقات معلومة ·

وقد يقال أنه لا حاجة لمعارضة الدعاية السوفييتية لان الخونة من ذوى المناصب الكبيرة هم وحدهم الذين يمكن أن يشكلوا خطرا على استتباب الامن فى الغرب · ومثل هؤلاء القوم لا يمكن أن تكسبهم الدعاية السوفييتية الى جانبها ، ومن الصعب أحيانا معرفة السبب فى أن فردا معينا يمكن أن يسمح لنفسه بأن يكون فى صف السوفييت · وعلى أية حال يجب ألا يتجاهل أثر الدعاية السوفييتية المتواصلة والتى يبدو أنها تمكنت من اقناع بعض أعضاء الخلية الالمانية « الثلاثة الحمر » Red Three · ونحن اذا تركنا الدعاية السوفييتية دون أن نتحداها فان الروس سوف يعملون على اختطاف المتحمسين للشيوعية من بيننا وعلى الاقل بعض الطبقات المتنورة الذين لا يقلون خطرا عن غيرهم فيما يتعلق بأمن الغرب ·

والهدف الثانى من سياستنا يجب أن يكون واضحا : وهو أننا ينبغى لنا أن نكون قادرين على الاخذ بثأرنا دون أن نخوض معارك حربية • ونحن لا نستطيع أن نتجنب نشوب حرب عالمية ثالثة الا اذا تعادلنا فى القوة مع الشيوعيين •

بعد ذلك يجب أن ندخل فى اعتبارنا وأن نقدر تماما ما تتطلبه الحرب الجديدة فى كلتا الحالتين • بمعنى أننا لما كنا غير قادرين على تحطيم امكانيات السوفييت فى هذا المجال فلابد لنا من الحصول على نفس أسلحة الحرب الجديدة التى يمتلكها السوفييت مع مراعاة انها يجب ألا تقل شأنا عنها بأى حال •

واذن يكون برنامجنا من ثلاث نقاط :

١ ـ يجب تقدير امكانيات السوفييت التى يخفونها وراء الستار الحديدى •

٢ ـ يجب أن نكون على استعداد لمجابهة هذا الخطر •

٣ ـ كذلك يجب أن نكون قادرين على خوض غمار الحرب التى لا مسارح قتال لمعاركها •••

ملحق الكتاب

- تعليمات الجيش الأحمر ١٩٤٤ .
- البروتوكول « م » .
- نداء الكومنترن أول من مايو ١٩٤٠ .
- مذكرة عن الأهداف السياسية الألمانية فى روسيا السوفييتية .

ملحق رقم ١

تعليمات خدمة الميدان للجيش الأحمر
موسكو سنة ١٩٤٤

فروع الجيش والغرض التكتيكى
تشكيلات القتال والسير
مراقبة القوات
العمل السياسى فى المواقف التكتيكية
أمن القتال للقوات
المعركة الهجومية
المطاردة
الاصطدامات مع العدو
الدفاع
الارتداد والانسحاب من المعركة
القتال للنفوذ من حركة تطويق
استخدام وحدات كبيرة فى القتال بالطائرات
تحركات القوات
أوضاع الراحة واستتباب الامن خلالها
تنظيم مؤخرة القوات ومدها بالعتاد اللازم
عمليات المناضلين

* * *

الفصل السابع عشر ـ عمليات المناضلين

١ ـ تعليمات عامة

٨٥١ ـ حركة المناضلين هى كفاح مسلح تقوم به جماهير المنطقة التى احتلها العدو مؤقتا ضد الغزاة الاجانب • وذلك دفاعا عن الوطن واستقلال البلاد •

٨٥٢ ــ تتركز قوة حركة المناضلين فى طابع الحركة ــ تلك الحركة الوطنية العميقة الجذور • وفى جهاد القوم فى المنطقة المحتلة للتخلص من قيود الغزو ــ تلك القيود البغيضة ويضفى الطابع العام لحركة المناضلين صورا عديدة على جهاد المناضلين فى المدن والقرى •ومن أهم هذه الصور هو الكفاح المسلح لوحدات الانصار واشتراكها مع الجيش الاحمر لسحق العدو وطرده من أرض السوفييت •

٨٥٣ ــ المهام الأساسية للمناضلين هى :

- تدمير الحاميات وما بها من رجال وعتاد • وجنود فصائل العدو ــ ثم الافراد من الجنود والضباط أثناء تحركاتهم • كذلك الفتك بحراس المستودات والمؤسسات ووسائل النقل ومخازن الاغذية • ثم القضاء على المجموعات والعملاء الذين يجمعون الحبوب وعلف الماشية وغيرها من السكان •

- تدمير خطوط امدادات العدو (نسف الكبارى والخطوط الحديدية وتحطيم القطارات • ومهاجمة وسائل النقل الميكانيكية والتى تجرها الحيوانات) • تحطيم اتصالات العدو بالمشرفين على معداته ومخازن الوقود والذخيرة ليصبح العدو عاجزا عن امداد الجبهة الامامية • بعد ذلك نقل الممتلكات الوطنية التى سبق أن استولى عليها العدو •

- تدمير المستودعات وقواعد التسليح والذخيرة والوقود والطعام وغير ذلك ــ ثم تدمير حظائر السيارات وورش الاصلاح •

- تدمير خطوط مواصلات الاشارة على طول السكة الحديد وغيرها من الطرق (التليفون والتلغراف ومحطات الاذاعة) وتحطيم أجهزة مواصلات الاشارة واغتيال المسئولين عنها وكذلك قوات سلاح الاشارة .

- مهاجمة مطارات العدو وتدمير الطائرات والحظائر ومستودعات القنابل والوقود ثم قتل الطيارين والعمال وحراس المطارات •

- اغتيال أو أسر الحكام والاداريين السياسيين والقادة وكبار موظفى العدو ثم الخونة ممن يعملون مع العدو •

- تدمير أو احراق أجهزة القوى الكهربائية والغلايات وموارد المياه والمشروعات الصناعية وغيرها من الاهداف التى لها أهمية حربية أو اقتصادية ٠

- ابلاغ وحدات الجيش الاحمر بمواقع العدو وقوته العددية وتحركاته ٠

٨٥٤ ـ الوحدة الاساسية للتنظيم هى فصيلة المناضلين المستقلة ٠

يتم تنظيم هذه الفصائل فى مؤخرة العدو من الرجال والنساء من السكان القادرين على حمل السلاح وممن هم على استعداد لمحاربة الغزاة الى النهاية وكل فرد من أفراد الفصيلة يحلف يمين الولاء للوطن كما يفعل المناضلون٠

٨٥٥ ـ تختلف القوة العددية للفصائل طبقا للظروف والاوضاع ٠ وينبغى ألا تكون الفصيلة كثيرة العدد بحيث يصعب الاشراف عليها ٠ ويصبح من السهل اكتشاف أمرها ٠ ومن الصعب ادارة شئونها ٠ وفى حالة تدفق الانصار من اللازم تكوين فرق جديدة ٠

٨٥٦ ـ التنظيم الداخلى لوحدة المناضلين يتوقف على حجم الوحدة ونوع نشاطها . يرأس الفصيلة قائد ونائب سياسى له وأركان حرب لها .

٨٥٧ ـ يتولى القيادة العامة للفرقة أفراد من حركة المناضلين ٠

٨٥٨ ـ وحدات المناضلين مسلحة دائما وتتسلم أسلحتها وذخيرتها عادة مما تستولى عليه من معدات العدو ٠ واذا احتاج الامر فانها تأخذ أسلحتها وذخيرتها ومتفجراتها من وحدات الجيش الاحمر ٠

والمصادر المحلية تتولى توفير المواد الغذائية ٠ ويتم تنظيم المستودعات ومراكز التموين مقدما فى أماكن مستترة وتحت حراسة قوية ٠

وقبل كل شيء يتم تموين المستودعات من المواد المستولى عليها ٠ ولابد للفرق أن يكون لديها دائما مراكز احتياطية ٠

٨٥٩ ـ تعمل وحدات المناضلين مستقلة فى حدود مهمتها ٠ وفى بعض حالات خاصة طبقا لما يقتضيه الموقف قد تكون تابعة لقائد الفرقة الكبيرة أو الفصيلة التى تعمل فى مؤخرة العدو بالقرب من المنطقة حيث يعمل الانصار ٠

٢ ـ العمليات التكتيكية

٨٦٠ ـ ميزات وحدة المناضلين المقاتلة هي :

- الاختفاء والقيام بهجمات مفاجئة على العدو في مواقعه الضعيفة والاكثر تعرضا ·

- معرفة مقاصد العدو ومواضعه وتحركاته طبقا لمعلومات استطلاعية وبناء على اتصالات واسعة النطاق مع سكان المنطقة ·

- القيام بالهجوم المفاجيء على أوسع نطاق واستخدام الكمائن والحيل العسكرية والخداع بأنواعه المختلفة ·

- مواصلة القتال بالقاء ضربات مدمرة قصيرة من مسافات قريبة وعدم تكرار الهجوم في نفس الموقع ·

- مواصلة المباغتة أثناء الليل ·

- يتم الانسحاب بسرعة بعد الهجوم الى أماكن تجمع معينة على طرق تكون قد أختيرت من قبل ·

٨٦١ ـ تعاون فرق المناضلين مع وحدات الجيش الاحمر يتم على الوجه الآتي :

- مراقبة واستطلاع عدد قوات العدو ومواقع أجهزة الدفاع وحقول الالغام ·

- تحديد أهداف الطائرات المقاتلة ومدى قوة المدفعية ·

- تدمير مواصلات العدو وتدمير مؤخرته ليختل نظام مراقبة القوات فيما يتعلق بعمليات قواتنا التي تقتضي ذلك ·

- اخطار قائد وحدات الجيش الاحمر عن نتائج القاء القنابل على الاهداف الهامة (الجسور والمطارات والمحطات والمستودعات ومواصلات السكة

الحديد) مما تقوم به طائراتنا • كذلك عن الطرق الوعرة أو التى تشكل خطرا على الدبابات • وعن الاماكن المناسبة لنزول الطائرات وفرق المظلات •

٨٦٢ ـ لابد لقائد الوحدة أن يكون لديه خطة للتنفيذ فى أى حالة حيث قد يتطور الموقف •

٨٦٣ ـ من واجب فصائل المناضلين التى تعمل فى مؤخرة العدو أن تنظم استطلاعات مستمرة من أجل صالح الجيش الاحمر وحركة الانصار •

فصائل المناضلين يجب أن تكون دائما على أهبة الاستعداد للقيام بالاستطلاعات الخاصة بها وأن تستخدم كلا من الانصار والسكان لتنفيذ هذه المهمة •

وبجانب القيام بالاستطلاعات الاستراتيجية والتكتيكية وكل ما يتعلق بالقتال • فان فصائل المناضلين عليها تنظيم هذه الاستطلاعات عن طريق عملاء فى الخفاء يعملون دائما على تحسين وسائلهم للعمليات السرية والاتصالات وادارة شبكات العملاء •

٨٦٤ ـ فى جميع عمليات الاستطلاع التى يقوم بها المناضلون يستدعى الامر :

- ممارسة الرقابة الدقيقة على مواقع وتحركات الجنود والامدادات على طول خطوط السكة الحديد والطرق الرئيسية ومحاولة تقدير عدد قوات العدو ومعرفة أنواع أسلحته واتجاه تحركاته والوقت المحدد لها • ثم معرفة تكوين وقوة فرق أمن العدو وهيئاته ووسائل مواصلاته وقولات نقل معداته •

- معرفة دقيقة بمواقع القوات والموظفين وأسماء وعدد المؤسسات والوكالات للقوات المحتلة •

- التعرف على مطارات العدو وموقع كل منها • وعدد وأنواع الطائرات واذا كانت قواعدها فى المطار بصفة مؤقتة أو دائمة • ثم المعدات الموجودة فى المطار والسيارات الاضافية والخاصة بالمطار • وامدادات الزيت والوقود • كذلك حراس المطارات سواء على أرض المطار أو فى الجو •

- تنظيم التعرف على المدن والاماكن الآهلة بالسكان بقصد معرفة عدد قوات الحاميات (القوة العددية لكل فرع من فروع الجيش من حيث الاسم والرقم والقيادة) • وأوجه الدفاع المضاد للطائرات • ومخازن الجيش وورش الصناعة العسكرية • ثم موقع الادارات العليا • المدنية منها والعسكرية •

- معرفة مواقع خطوط الدفاع التى تم انشاؤها وتنظيمها من الوجهة الهندسية ثم الاسلحةونظام مواصلات الاشارة وعن وجود أو عدم وجود حاميات هناك •

- التأكد من نتائج قذف القنابل من طائرات الجيش الاحمر ومن مدى تأثيرها •

- فى جميع الظروف الممكنة يجب الاستيلاء على الاوامر والتقارير وخرائط العمليات وغير ذلك من مستندات العدو •

البحث وكشف الغطاء عن نشاط العدو وعملائه فى تحويل عقائد الافراد فى مناطق السوفييت وفى وحدات الانصار •

وعلى قيادة المناضلين أن تنقل نتائج الاستطلاع الى الوكالات الرئيسية لحركة المناضلين دون تأخير •

٨٦٥ ـ على وحدات المناضلين أن تعمل على وجود اتصال مستمر (مواصلات الاشارة) :

- بين الجماعات الصغيرة التابعة لها •

- مع الوحدات القريبة منها •

- مع هيئة أركان الحرب للمناضلين •

- مع الهيئات العسكرية فى المنطقة حيث تباشر مهمتها •

تستخدم جميع الوسائل الممكنة كمواصلات للاشارات وحملة الرسائل الذين يمشون على الاقدام • والحمام الزاجل والكلاب والراديو والطائرات •

ونقل التقارير يكون بطريقة الشفرة .

٨٦٦ — يكون موقع وحدة المناضلين وأماكن الراحة فى جهات يصعب الوصول اليها ومخفية عن الانظار سواء فى الارض أو فى الجو .

ويتحتم على الوحدة تغيير مواقعها بقدر الامكان من وقت لآخر .

ويكون مدى نشاط وحدة المناضلين طبقا لمحيط الدائرة التى يعملون بها .

٨٦٧ — ولكي تتمكن من التحذير من هجمات العدو المفاجئة والاستعداد الممكن للموقعة تعمل الوحدة على استتباب الامن والقيام بالاستطلاع فى كل مكان .

٨٦٨ — يجب أن تكون تشكيلات وحدات المناضلين المقاتلة على ثقة من اخفاء تحركاتها فى أى مكان لاتاحة الاشراف على المعركة .

٨٦٩ — فى تحركات الوحدة يجب أن تكون الطرق سبق معاينتها ومراقبتها بدقة وعناية . وعليها أن تعبر المواضع المكشوفة من ناحية حدودها فى انتباه وحذر .

عند ظهور طائرات العدو على القوات أن تختفى وراء ستار خادع . وطبقا لاوامر قائد الفرقة عليها أن تلزم أماكنها أو تنتشر فى كل مكان .

٨٧٠ — المهاجمات المفاجئة يجب اعدادها فى أماكن تصلح للاختفاء ولاطلاق النار على العدو من مسافات قصيرة . كما أن موضع المهاجمة يجب أن يكون فى منأى عن مدى اطلاق النار . وكذلك يجب اخفاء خطوط الانسحاب . ويتوقف عدد الفرقة المهاجمة وأسلحتها على مبلغ العدو وعلى قدرة المهمة التى تقوم بها .

وعلى القوة المهاجمة أن تسمح للعدو بالاقتراب الى مسافة قريبة ثم تطلق النار مباشرة على أن تصيب معظم جنود العدو .

والهجوم على دبابات العدو أثناء تحركها يكون بمباغتتها فى أماكن حيث يصعب عليها الانتقال الى جانب الطريق .

ويسمح المهاجمون لصف الدبابات بالاقتراب ثم يهجمون بطلقات مركزة وزجاجات ملئت بمواد ملتهبة • ويطلقون عليها البنادق المضادة للدبابات • كذلك يجب أن يكون الطريق مملوءا بالالغام قبل كل شيء •

كما يجب أن يشمل الهجوم تدمير الدراجات البخارية التى تسير فى الامام دون احداث ضجة بمد اسلاك عبر الطريق أو بمباغتتها وراكبتيها •

حتى اذا قام العدو بمطاردة القوة المهاجمة فعليها الانسحاب الى جهة بعيدة عن قاعدتها والى مكان قد أعد من قبل للتجمع مرة أخرى •

٨٧١ ــ لابد للهجوم على مواصلات العدو من استعداد تام بأن يسبق ذلك استطلاع مستوف للهدف المطلوب وموقعه والوصول اليه تحت ستار ثم التعرف على ما لدى العدو من اتصالات الاشارة • كما يجب أن يكون الهجوم محكما مفاجئا لا هوادة فيه •

٨٧٢ ــ الهجمات على السكة الحديد يجب أن تركز على الخطوط فى عدة أماكن : على المنحنيات بأنواعها والمرتفعات والجسور التى تمر عليها القطارات • كما يجب أن تكون الاضرار بحيث تسبب انقلاب العربات بحمولتها •

كذلك يمكن الاخلال بمواصلات السكة الحديد بتدمير أهداف متنوعة على الخطوط الحديدية : الجسور بأنواعها وأعمدة الاشارات وتقاطعات الطرق وانابيب المياه وخزاناتها ومجمعات تحويل الخطوط والمنازل وتركيبات المحطات •

٨٧٣ ــ فى الهجوم على منشئات السكة الحديد يجب أولا تدمير مراكز الاتصالات •

وهنا تنقسم الفصيلة الى ثلاث مجموعات : مجموعة للقتال للقضاء على الحراس ومراكز المواصلات فى صمت وسكون • ومجموعة للتخريب فتقوم مباشرة بتدمير الهدف المطلوب • ثم مجموعة ثالثة احتياطية •

كما يجب أن يكون كل جندى على ثقة تامة بواجبه والدور الذى يؤديه فى هذا النشاط •

٨٧٤ ـ فى الهجوم على قطارات السكة الحديد حيث يوجد جنود العدو تكون المجموعات فى مخبأ وعلى استعداد للمباغتة • والمجموعة الرئيسية للفصيلة يجب أن تدبر بحيث يكون موضعها بالقرب من منتصف القطار عند تدميره • وتكون الفرقة التى تحمل المدافع الرشاشة عند مؤخرة القطار على كلا الجانبين من الخط الرئيسى بحيث تتمكن من اطلاق النار على العربات ومن فيها فى سهولة ويسر • ثم أن اطلاق النار أو ايقافها يكون طبقا لامر أو اشارة من قائد الفرقة •

٨٧٥ ـ لتدمير محطة السكة الحديد لابد أن تكون خطة موضوعة من قبل • وفيها يشير قائد الفرقة الى :

- أقسام المحطة حيث ينفذ الهجوم •
- تكوين مجموعات التدمير للقيام بهذه العمليات وتعيين الاهداف المقصودة •
- مواضع مواد النسف اللازمة للتدمير •
- كميات مواد التدمير والامكنة التى توضع فيها لتحقيق كل هدف على حدة • كذلك تتابع الاجراءات وتفجير المواد اللازمة •
- الوقت اللازم لاتمام العمل وموضع الفرقة عند حدوث الانفجار• وكذلك وقت ومكان التجمع بعد ذلك •

حتى اذا تم الاستيلاء على المحطة ترسل مجموعة الى مسافة ثلاثة كيلومترات على جانبيها للقيام بتدمير الطريق وخطوط مواصلات الاشارة •

٨٧٦ ـ عند مهاجمة موظفى ومستخدمى العدو من اللازم أولا القيام باستطلاعات هامة وتعيين أماكنهم بالضبط• ثم التعرف على مواضع الاسلحة النارية ومنازل الحراس والضباط وحيث يوجد الوقود والسيارات الميكانيكية • والتأكد من نقط الحراسة والحراس ومراكز الاستماع وخطوط سير الحراس وكلمة المرور التى يستعملها العدو •

ثم تصادر جميع الاوراق التى توجد مع الاسرى مع الاحتفاظ بالاوراق الهامة واتلاف بقيتها ان لم تكن ذات موضوع •

٨٧٧ ـ عند مهاجمة موضع به عدد من السكان يجب على قائد الوحدة بعد التأكد من الظروف التى تحيط بالمكان ـ أن يضع خطة منفصلة للتنفيذ :

- بأن يرسل عددا من الجنود لتدمير مراكز الحراسة دون احداث جلبة أو ضوضاء فى الاماكن حيث تتسلل الفصيلة ٠
- ويعين بالضبط موعد بدأ التنفيذ ـ على أن يكون ذلك أثناء الليل ٠لكى يتسنى للافراد الفرار الىالغابات (الا اذا كانت المهمة تقتضى الاستيلاء على المكان حيث يوجد السكان) ٠
- يقرر اشارات البدء والانتهاء ومكان التجمع بعد التنفيذ ثم مكان التجمع فى حالة الفشل ٠ ويعين بعض الجنود لنقل الجرحى ٠
- يقرر طريقة ارسال الاشارات وأماكنها ثم يعين نائبا له ٠

٨٧٨ ـ فى حالة هجوم على مطار للعدو أو مكان لنزول القوات يجب تعيين موقع الطائرة بالضبط والطرق الموصلة اليها ومخازن الوقود والذخيرة ٠ وفى وضع خطة للهجوم يجب أن توجه عناية خاصة للقضاء على الحراس فى معسكراتهم أو خيامهم ـ مع القيام من وقت لآخر بتعزيز المجموعات المكلفة بتدمير الطائرة ومخازن الوقود والذخيرة ـ وعلى فرقة التغطية أن تجذب نحوها جميع طلقات الحراس فى أمكنة الحراسة أو فى المعسكرات ٠

كذلك من الممكن اشعال النار فى الحظائر وتدميرها بما فيها من أدوات وقنابل ومستودعات للوقود ٠ مع استخدام البنادق المضادة للدبابات والبنادق العادية والقنابل الحارقة التى تخترق المدرعات وكذلك المواد الملتهبة وغيرها ٠

٨٧٩ ـ يجب الاهتمام بأن يكون تدمير مستودعات العدو ومخازنه بطريق اشعال النار فيها ٠ وعند اشعال النار فى المستودعات يجب أولا تدمير الاسلحة النارية ٠

كما يجب أن يتم تدمير مستودعات المدفعية باستخدام صناديق تحتوى على قنابل ومواد متفجرة مع مواد أخرى ومصهرات للاشعال · أو باطلاق النار على هذه الصناديق باستخدام البنادق المضادة للدبابات والرصاص الذى يخترق المدرعات ·

٨٨٠ ـ يجب مراعاة النظام فى تدمير وسائل العدو من حيث أجهزة الاشارة · وذلك بفضل الاجراءات المتصلة بالميدان وتدميرها · واستثناء أعمدة التلغراف والتليفون ماعدا الاسلاك ثم القيام بتنفيذ الاضرار الاخرى·

ومن المهم بنوع خاص تعطيل محطات الاذاعة والتلغراف والتليفون وأجهزتها · وكذلك باستخدام أية وسيلة ممكنة ·

من بين تعليمات خدمة الميدان يتبع هذا الفصل المتعلق بعمليات الانصار فصول أخرى حول :

المهمات المشتركة بين الجيش والبحرية ·

المهمات المشتركة بين الجيش و River Flotillas

ملحق رقم ٢

بروتوكول M ×

سوف يشهد الشتاء القادم الفترة الحاسمة فى تاريخ طبقة العمال الالمان · اذ أنها باتحادها مع طبقات العمال فى جميع الدول الاوروبية سوف تفوز فى كفاحها للحصول على المراكز الرئيسية للانتاج · وليست هذه مناورة للحصول على مناصب وزارية ولكن ليكون لها المراكز الاولى فى المعركة الاخيرة لتحرير الطبقات العاملة فى العالم · كذلك نظام الرفاق والنشاط الملحوظ لكل عامل مما يمهد الطريق للطبقة العاملة لاحراز النصر النهائى فى أقرب وقت · وما من شك أنه لابد من استخدام جميع الامكانيات

× صدر النص مطبوعا فى صحيفة دير كورير الالمانية عدد ١٥ من يناير سنة ١٩٤٨ ·

لخوض معركة العمال لتحقيق النصر النهائى • فان الاتحاد السوفييتى وهو الوطن الام للاشتراكية فى استطاعته أن يؤيد الكفاح ضد الرأسمالية الاحتكارية بجميع الوسائل •

ويقوم الكومنفورم The Communist Information Central بتنسيق الكفاح المشترك لجميع الحركات الاشتراكية فى أوروبا • والحزب الالمانى • ولو أنه لم يصبح بعد عضوا فى هذه المنظمة — الا أن له مركزا ممتازا فى الحملة المقبلة • فهو يباشر المعركة فى مركز الانتاج فى منطقة الروهر فى أوروبا • وتقوم الطبقات العاملة فى جميع الامم بتوفير الوسائل اللازمة • كما أن الحزب الالمانى من واجبه أن يستخدم هذه الوسائل فى أى مكان دون هوادة بحيث يحقق أكبر فائدة ممكنة •

والغرض من حملة الشتاء هو صد هجوم ما تسمى خطة مارشال وهو الهجوم الاحتكارى الرأسمالى •

وبعد مناقشات واسعة النطاق توصل الرفاق الى القرارات الآتية :

* * *

القسم الأول

مراكز معركة الجماهير هى :

١ — منطقة الروهر ومنتجاتها •

٢ — وسائل النقل فى شمال وغرب ألمانيا •

لاسباب فنية يجب الا يكون الرفاق وأجهزتهم فى الجبهة الامامية فى بدأ الاضرابات • وطبقا للخطة R يتحتم على المسئولين عن الاضرابات أن يكونوا على يقين من أن اضطرابات العمال يجب أن تشمل فى نفس الوقت وسائل النقل والانتاج • كما أن نقابات عمال النقل والحديد والصلب تنفذ حركة الاضراب على التوالى — وفى جميع الظروف يجب على الحزب ألا يتدخل فى أية عمليات مهما كان نوعها • ويدخل فى اعتباره أن امتناعه هذا طبقا لتعليمات السلطات الحربية • ثم أن الخطة لهذا التنظيم الجديد يجب أن تسير فى مجراها باقصى سرعة ممكنة •

وطبقا للتجارب السابقة فانه من المتوقع أن عمال الروهر سوف يلقون معاملة طيبة مغرية مما قد ينشأ عنه التخلى عن فكرة الاضراب لاغراض انتهازية • وعلى هذا الاعتبار نجد أن الامر موكول الى عامل النقل لتأدية واجبه • ثم لابد من الاهتمام بنوع خاص بخطوط السكة الحديد من برمن الى دسلدورف ومن همبرج الى بيلفيلد • كما أن دوتموند هى المركز الرئيسى لاضراب عمال النقل • وأما ايسن فلا يجوز أن تكون لها كفة راجحة خلال الاضرابات الشديدة اذ أن ذلك يشكل خطرا على الخطة بأكملها • ويتضح من نظام سير المواصلات فيما سبق أن السلطات الحربية تقوم بتنظيم نقل السيارات بعد أن يتوقف النقل بالسكة الحديد والسيارات الخاصة • اذن فى هده الحالة يجب التعرف على الخطوط التى قد تتخذها السلطات الحربية والعمل على تخريب خطوط التموين فيما عدا ما يتعلق بنقل المواد الغذائية فان الغرض هو تعطيلها عن وصولها فى مواعيدها المحددة • ثم أن التنسيق بين تأخير وصول المواد الغذائية ـ مما يؤدى الى خسارة فى الانتاج ـ وبين القيام بالاضرابات على نطاق واسع • هى أمور تستلزمها الاجراءات • والرفاق (وهنا تذكر أسماؤهم) يجب أن يكونوا فى الاماكن المعينة ابهم من أواسط نوفمبر فصاعدا كما أعلن عن ذلك من قبل • وقد اتخذت الهيئات المسئولة الاجراءات اللازمة لاستتباب الامن • وعملت على توفير الاعتمادات لدفع الاجور أثناء فترات الاضراب ثم أن المبدأ الرئيسى للقائمين بالاضراب فى جهات أخرى من الغرب يظل كما هو : وهو أن الهدف يجب أن بكون الوحدة بين الطبقات العاملة •

* * *

القسم الثانى

فيما يتعلق بالتنظيم فان هذا موكول الى نقابة عمال الحديد والصلب مع مراقبة موقف المسئول عن الخزينة فى كل نقابة كلما أمكن ذلك •

ولغاية الان كل المحاولات التى بذلت فى هذا السبيل قد باءت بالفشل فاذا لم يتيسر الحصول على عدد كاف من العملاء قبل العوم المحدد يجب أن نتأكد أن المهمة يمكن تنفيذها بمباشرة الرفاق الديمقراطيين الاشتراكيين• وفى هذه الحالة يجب على الحزب أن يحث رجال R-men على السعى للحصول على جدول الاعمال المطلوب ثم العمل على تقييد حرية افراد Schumacher (الديمقراطيين الاشتراكيين) • وهنا يجب أن تصبح وحدة الطبقات العاملة واقعة حتى ولو أدى ذلك الى الاخلال بالنظام التام •

والهيئات المسئولة من واجبها التعرف على أوجه الضعف فى جميع تنظيمات الحزب الديمقراطى الاشتراكى والا سوف يستغلها ذوو الشأن الى أقصى حد ٠

ويجب أن تبدأ فى الحال مفاوضات نقابة العمال الرئيسية لمحاولة أن يكون لها حق التنظيم والاشراف على نقابة عمال الحديد والصلب مع التخلى عن بعض مميزات أخرى ٠

وهكذا يكون قد تم اتخاذ جميع الاجراءات اللازمة ٠ وتم الاتفاق على أن تكون الرفاق (وهنا تذكر أسماؤهم) أعضاء فى اللجنة التنفيذية لعملية الروهر ٠ ويمكن الاتصال بهم فى أى وقت بأسمائهم الحركية ٠

* * *

القسم الثالث

تقوم اللجنة التنفيذية المركزية بالاشراف رسميا على حركة الاضطرابات٠ وتكون أهداف الدعاية هى :

١ ـ خطة مارشال ٠ باعتبارها خطة الرأسماليين المحتكرين فى الولايات المتحدة بقصد الاستعباد ٠

٢ ـ الاضرابات فى الدول التى تسيطر عليها الرأسمالية الاحتكارية ٠ كاشارة الى سرعة حل المجتمع الرأسمالى ٠

٣ ـ النهضة التقدمية السليمة للاقتصاد فى شرق أوروبا تحت اشراف الاتحاد السوفييتى ٠

وجرت العادة أن تراعى الصحف فى مهاجماتها أن تكون شاملة على احتجاجات غير الشيوعيين على حركة التفرقة فى الغرب ٠ وهى بذلك تحاول حماية الاسواق الرأسمالية فى المستقبل ٠

ولما كان لابد من الخطر التام على صحف الحزب فمن الممكن مواصلة اثارة الاضطرابات والحصول على المعلومات اللازمة بطريق اللاسلكى وبواسطة شبكة من حملة الرسائل ٠ كذلك لابد من وضع أجهزة الاستقبال فى مكان أمين بحيث لا يمكن مصادرتها ٠

والهيئات رقم ٧ ، ١١ ، ١٤ المختصة بأعمال الاضطرابات من واجبها اعلان الاستفتاء عن اشتراكية صناعة منطقة الروهر • ومن اللازم القيام بحملة مع الديمقراطيين الاشتراكيين فى اجتماعات عامة لتحقيق هذا الغرض المشترك • كذلك يجب العمل على توجيه الطبقات العاملة بطريق هذه الدعاية المشتركة لعقد استفتاء • ومما توافق عليه اللجنة التنفيذية المركزية عن طيب خاطر هو أن الديمقراطيين الاشتراكيين يجب أن يتقلدوا مناصب هامة فى اللجان التنفيذية المشتركة •

* * *

القسم الرابع

جدول الأعمال :

(أ) حتى نهاية ديسمبر : تنظيم قاعدة مشتركة بين الديمقراطيين

(ب) حتى نهاية فبراير : تنظيم هيئات الاضراب •
الاشتراكيين والحزب الشيوعى لاجراء الاستفتاء •

(حـ) من أول مارس فصاعدا : تنظيم الاضراب العام •

وقد يتغير هذا الجدول اذا لزم الامر • اذ أن اللجنة التنفيذية المركزية تعتبر فى دورة مستمرة وهى على استعداد فى كل وقت لعمل التعديلات واصدار التعليمات كمادعت الحاجة •

* * *

القسم الخامس

هيئات MA لها حق الاشراف • ومن الممكن تطبيق Ando ٤٧ ــ ١٠٥ ، ٤٧ ــ ١٠٩ • ويجب ضمان مواظبة المسئولين من الرفاق على تنفيذ ارشادات الهيئات المذكورة •

لقد قال V.I. Lenin : « ان من يضع أولا فى برنامجه وخططه التكتيكية احداث الاضطرابات السياسية على نطاق واسع بحيث تشمل مجموع السكان ، لا يتعرض الا لأقل المخاطر من ناحية امكان فشل ثورته »

ملحق رقم ٣

نداء الكومنترن بتاريخ أول من مايو سنة ١٩٤٠:

الى العمال والصناع فى جميع أنحاء العالم :

فى هذا الجو الذى ينذر بالشر من نشوب حرب جديدة استعمارية يحتفل العمال بيوم أول من مايو باعتباره يوم التضامن الدولى · ولم يحدث من قبل أن كان لفكرة التضامن الدولى للعمال هذه القيمة الحيوية بالنسبة للعمال فى جميع الدول كما فى هذه الاوقات حيث تشتعل نار الحرب وحيث يعتبر كل من أوروبا وآسيا فوق فوهة البركان ·

والحرب فى أوروبا ما زالت قائمة منذ ثمانية أشهر ولا يمكن التكهن بنهايتها · وما زال مسرح العمليات يتسع شيئا فشيئا · واستخدمت الدول الاستعمارية وسائل العنف فى استدراج الشعوب المستعمرة والتى تحت سلطانها للاشتراك فى هذه الحرب · وطالما استمرت الحرب كلما أصبح من الواضح أن الدول المحايدة ليست سوى رهائن بين أيدى المستعمرين · وردا على الانتهاك الوحشى الذى قامت به كل من بريطانيا العظمى وفرنسا لحياد دول اسكندناوة · شقت ألمانيا طريقها خلال الدينمارك واحتلت مراكز هامة استراتيجية فى النرويج ·

ومرة أخرى يرسل الاشقياء الاستعماريون بالقوم الى مذبحة الاستعمار التى تملأ جوانب العالم ·

والدولة الاشتراكية العظيمة تقف فى وجه دنيا الاستعمار التى أصيبت بحمى القتال · فاشتد هياج تجار الحروب من فرنسيين وانجليز وأتباعهم من الديمقراطيين الاشتراكيين لان الاتحاد السوفييتى وقف على الحياد فى حربهم الاستعمارية · اشتد غيظهم لانهم يرون بأنفسهم تقدم الاتحاد السوفييتى وازدياد قوته بينما يجاهدون بين أنياب العداء الاستعمارى ومواصلة القتال · ولان الاتحاد السوفييتى يضمن منافع السلم لشعوبه ويعيش فى سلام مع ألمانيا كما تعيش كل دولة اشتراكية فى أمان وسلام مع الدول الاخرى التى لا تعتدى على حقوقها ·وبسبب أن الاتحاد السوفييتى بفضل اخلاصه فى سياسة الحياد يعارض فى امتداد الحرب الى دول أخرى ·

ويرجع غضب تجار الحروب الى فشلهم فى استفزازاتهم فى فنلندة بسبب اكتساح الجيش الاحمر الظافر لهذه القاعدة من العمليات التى كانت معدة من زمن بعيد ضد الاتحاد السوفييتى ـ كما يرجع الى أنه بسبب عقد معاهدة الصلح بين الاتحاد السوفييتى وفنلندة أزيح الستار عن تجار الحروب من انجليز وفرنسيين وعن مقاصدهم ونياتهم السيئة وعن خططهم بالنسبة للشعوب ....

أيها العمال فى الدول الاستعمارية الراسمالية ! .

لقد سببت لكم الحرب من الشقاء والحرمان بما لم يسمع به من قبل . ولم يحدث للآن مواقع ومعارك كبيرة ولكن الارض قد تخضبت بدماء الضحايا . وهلك آلاف من البحارة فى أعالى البحار . وفى أوروبا وحدها عشرون مليونا تحت السلاح أخذوا من أعمالهم ومن مساكنهم التى أصبحت مهددة بالجوع والفقر بعد أخذ المسئولين عنها والقائهم فى الخنادق بوساطة البورجوازيين : وتركت الزوجات والامهات والاطفال ليلقوا مصيرهم .

البورجوازى يسرق من أضر به الجوع والفقر . وذلك يرفع أسعار السلع التى لا غنى عنها . وبتحديده الطعام وغيره بالبطاقات للفقراء بينما تفيض مخازن الاغنياء بما يلزمهم من مختلف المواد التى تكفيهم لاقامة الحفلات والولائم . وهؤلاء القوم يقيدون العمال بالاغلال كالمجرمين ويستخدمونهم فى المصانع كالعبيد . فيؤدون واجباتهم هناك ويقضون الساعات فى العمل دون ارتباط بأوقات معلومة أو محددة . ويتقاضون أجورا قليلة تبعث على الخجل على حين يستغلهم أصحاب الاعمال الى أقصى حد ممكن . والبورجوازيون يعملون على خراب القرى بارسال أبناء الفلاحين الى ميادين القتال . وبالاستيلاء على الخيل والماشية والعلف والمواد الغذائية وغيرها . البورجوازيون هم الذين يستولون على ثمار أولئك الذين يعملون فى الارض ويبذلون الجهد والعرق . والاجيال الجديدة تعد ضحايا يموتون جوعا ليستطيع البورجوازى أن يملأ خزائنه . والجنود منهم يرقدون فى الخنادق تساورهم الافكار السوداء ويتساءلون فى لهفة ماذا تخبىء لهم الاقدار فى اليوم التالى وما هو مصير عائلاتهم وذويهم .

ومن وراء ذلك جموع بغيضة من السكارى المنتفعين من الحروب ومن المضاربين الذين جمعوا الثروات على حساب الشعب والذين يجدون فى الحروب مغانم كثيرة وحظا سعيدا اذ يحولون الدماء البشرية والدموع الى أسهم وسندات وأرباح خرافية .

والبورجوازى لا يهاجم العمال وحدهم هجوما شديدا بالانتفاع من صغار وحقارة أمثال « بلوم » و « اتيلى » و « سيترين » بل ويدخل فى كل دولة رأسمالية نظام الرجعية والغموض والظلم والذعر والارهاب وكل أداة لاستعباد العمال • فهو يستخدم الحرب لحرمان العمال فى المدن والقرى من جميع حقوقهم • ويجيب على رغبة الجماهير فى السلام بعقد مجالس الحرب واصدار أحكام قاسية بالسجن والاعدام • وهو يعتبر كل من يجاهد من أجل الحرية ورعاية الشعب خارجا على القانون • وكذلك يلقى بمئات الالوف من الشيوعيين واللاجئين الاسبانيين والمهاجرين السياسيين فى غياهب السجون ومعسكرات الاعتقال •

تلك صورة صحيحة للحرب والحكم البورجوازى •

ولكن • أيها العمال • ماذا يخبىء لكم البورجوازى اذا لم تعملوا على انهاء الحرب ، وأنتم ترون أصحاب رءوس الاموال يشددون قبضتهم عليكم ؟ •

ان أوروبا وآسيا وقد تكون هناك قارات أخرى سوف تشهد مذابح لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الانسانية : سيكون هناك الملايين من القتلى والجرحى والملايين من الارامل واليتامى • وأعباء ثقيلة من جمع التبرعات من الاهالى والاستيلاء على الممتلكات • يضاف الى ذلك دمار واضرار شاملة • ثم كوارث تلحق بالقوم أشد ضراوة من تلك التى تلت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٨ • هذا ما سوف تجلبه الحرب علينا جميعا •

أيها العمال والصناع !

من هم أولئك الذين يساعدون ـ وما زالوا يعضدون ـ البورجوازية على سلب آخر لقمة من العيش من بين أيديكم وأيدى أطفالكم • ويشددون عليكم الخناق ويبثون بينكم مظاهر الرعب والفزع من البورجوازية والدكتاتورية ؟ من الذى أعد هذه الجرائم الدموية فى الوقت الحاضر والتى تشترك فيها البورجوازية ؟

أعد هذه الجرائم زعماء الديمقراطية الاشتراكية وزعماء نقابات العمال الذين يزعمون أنهم مصلحون •

فلولا مساعدتهم للبورجوازيين فى اخماد حركة العمال ضد البورجوازية والرأسمالية بعد الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ لما كان العالم على ما هو عليه الآن •

هم يدافعون عن النظام الرأسمالى ـ وما زالوا ـ وهم في دفاعهم اشبه شيء بكلاب الحراسة • فقد أطلق The Noskes النيران على العمال • وقام Bauers بخداع العمال بأسطورة وخرافة « الديمقراطية البورجوازية » كذلك عمل the MacDonalds على احباط الاضرابات العامة • وال Blums ـ بتعاونهم مع الرجعيين فى أنحاء العالم ـ يطالبون وما زالوا يدعون لقيام حرب صليبية ضد دولة الاشتراكية • وبسياستهم التى تطالب بتعاون الطبقات العاملة مع البورجوازيين قد مهدوا للظلم الرأسمالى •

يزداد العمال ثقة وادراكا أنه ليست هناك وسيلة لتجنب الكارثةالتي أعدها البورجوازيون سوى التصميم على الكفاح ضد الحرب الاستعمارية والرجعية والرأسمالية ومعارضة قيام هذه الحرب في جلاء ووضوح • وهم يعلمون أن هذا أمر يتطلب البذل والتضحية • ولكن ما يفرضه عليهم البورجوازيون لبسط نفوذهم وسلطانهم • يعد أدهى وأمر مئات المرات •

وملايين الناس ـ أولا وآخرا ـ يكررون فيأصوات المغلوبين على أمرهم ما يصرح به الشيوعيون جهرا • واليوم ليس هناك بطل واحد يعارض فى قيام حرب استعمارية • بل هناك مئات الالوف من العمال فى المقدمة فى جميع أنحاء العالم يرفعون العلم المقدس علم البوليتاريا الدولية • وهو العلم المقدس الذى رفعه النواب الشيوعيون فى فرنسا فى أروقة مجلس الحرب • العلم الذى يرفعه مئات الالوف من العمال وهم يكافحون من وراء الستار فى فرنسا •

* * *

ملحق رقم ٤

مذكرة عن الأهداف السياسية لألمانيا فى روسيا الشرقية

تنتهج ألمانيا ـ فى الشرق ـ حربا من ثلاثة أنواع : حرب للقضاء على البولشفية وحرب لتدمير الامبراطورية الروسية العظمى • وأخيرا حرب للاستيلاء على منطقة لاغراض استعمارية وللاستغلال الاقتصادى •

والعامة من الشعب يدركون الاجراءات والواجبات التى تستلزمها الحرب أكثر من الشعوب المغلوبة على أمرها فى الغرب • ولكن العامل

والفلاح ممن تلقوا دروسا لها قيمتها من البلشفية من حيث الاعتداد بالنفس سرعان ما أدركوا أن الالمان لم يعتبروهم متساوين معهم فى الحقوق والواجبات . وأن تقديرهم لم يكن سوى أهداف لاغراضهم السياسية والاقتصادية . فكان ذلك بمثابة قضاء تام على ما فى أذهانهم من خيال وأوهام باطلة وخاصة عندما كانوا يعلقون آمالا كبيرة على ألمانيا .

وكانت الادارة الاساسية لسياسات وزارة الريخ فيما يتعلق بالولايات الشرقية المحتلة على يقين من هذا الموقف من بادىء الامر . وسرعان ما اتضح أن الحرب لن يتقرر مصيرها فى وقت قصير بطريق الاسلحة وحدها . وذلك بسبب الارجاء الشاسعة ولان العدو لديه من الرجال والعتاد شىء كثير يكاد لا يفنى . ولانه ـ كما فى الحروب العظمى فى العصر الحديث ـ لا بد من العمل على خفض الروح المعنوية واذن تصبح الحرب فى النهاية حربا أهلية . كما أن القيادة الالمانية لا تقصد احتلال منطقة السوفييت بأكملها . وكان الانحلال السياسى هو السبب فى انهيار الروس سنة ١٩١٧ والالمان سنة ١٩١٨ ولم يكن ذلك راجعا الى استخدام الاسلحة وحدها ثم ان ماركسية لينين فى روسيا والشروط الاربعة عشر التى وضعها ويلسون والعمل على اضعاف الآثار الماركسية . كل ذلك تحقق فى ألمانيا وفى الاتحاد السوفييتى ـ لدى وصولنا ـ وجدنا قوما قد ضاقوا ذرعا بالبلشفية وأصبحوا يتطلعون الى شعارات جديدة والى مستقبل أفضل . وكان من واجب ألمانيا أن تجد مثل هذه الشعارات ولكنها لم تعرها اهتماما .

وكنا موضع ترحيب من السكان باعتبارنا نعمل على تحرير الشعب ووضعوا أنفسهم تحت تصرفنا طواعية واختيارا . كذلك الاوكرانيون والروس ، والروس البيض . وشعوب البلطيق ممن جندوا بمعرفة القيادة الالمانية العليا أو الشرطة أثبتوا شجاعتهم وقاتلو قتالا عنيفا دون استثناء . وحاولت الادارة الرئيسية للسياسات الاحتفاظ بهذا الكنز الهائل الذى وقع فى أيدينا واستخدامه لتحقيق أغراضنا . لذلك كان من اللازم أن تنفصل الاشتراكية الوطنية عن البلشفية انفصالا واضحا وتفتح أمام الشعب أبواب آمال جديدة وحياة أفضل . وجميع الخطوات التى اقترحتها الادارة الرئيسية للسياسة كانت تتجه نحو تحقيق هذا الغرض الوحيد والاحتفاظ بهذا الكسب . حتى اذا نجحت هذه السياسة فمن المتوقع أن يكون لها أثرها فى قوات العدو .

ولعدة سنوات كانت أجهزة الدعاية السـوفييتية تعمـل على اثارة الشعب ضد الدول المجاورة • حتى سنة ١٩٣٩ كانت الاشتراكية الوطنية هدفا لاشد الهجمات الضارية • وبعد فترة من الوقت بلغ مسامع العمال والفلاحين أن جماهير العمال فى ألمانيا كانوا يعانون أشد أنواع الاستغلال فشعر العمال والفلاحون بالقلق الشديد من ناحية الادارة الالمانية • وفى الحق لم يكونوا على ثقة تامة بالدعاية البولشفية وبالرغم من ذلك فقد كان يخامرهم شيء من الشك فى السلطات الجديدة •

وكما نعلم • فان شعوب السوفييت قد قاست من الشقاء والعـذاب ألوانا • ولذلك لم يكن الناس على بينة من الحقيقة حتى من الناحية السياسية، وكانت أى حكومة لا ترمى الى النهب والسلب والاستغلال وتغضى النظر عن الاتجاهات البلشفية • فى وسعها أن تشعل الحماس وتضع تحـت تصرفنا الملايين من أفراد الشعب • وهذا الشعور فى المناطق الشرقيـة المحتلة كان لا بد له من تأثير على قوة المقاومة فى الجيش الاحمر فكان من السهل أن يتأثر الجندى الروسى فيقول لنفسه : « انى أقاتل من أجل نظام هو أشد سوءا مما أتوقعه فى حالة الهزيمة • وسوف أكون أحسن حالا ــ من أية ناحية ــ بين الالمان مما أنا فيه لغاية الآن » • ولو أن الجندى فى الجيش الأحمر قد اقتنع برفع مستواه لانتهت الحرب فى أقرب وقت •

على ذلك اعتقدت الادارة الرئيسـية للسياسـة أن أول مهمة لها هى تعضيد القوات المقاتلة بكل امكانياتها وذلك بشن حملة للدعاية الغرض منها الحد من قوة المقاومة فى الجيش الاحمر وبالتالى تقصير فترة الحرب • ولتحقيق هذا الغرض كان من بين الاجراءات المقترحة اثنان على قدر كبير من الاهميـــة : القـانون الزراعى وحرية الديانة التى هى ضد مذهب البولشفية •

ونظرا للاهمية الكبرى لموضوع الزراعة فى الاتحـاد السوفييتى • طالبت الادارة الرئيسية للسياسة حتى قبل بدء الحملة الشرقية • بالعمل على حل The Kolchos واعادة نظام الملكية الخاصة • ولكن هذا الاقتراح لم توافق عليه خطة السنوات الاربع باعتبار أن التغييرات الجوهرية لا يصح الاخذ بها خلال فترة الحرب • وهكذا كان الحال حتى أول أغسطس سنة ١٩٤٢ حيث ازدادت الرقعة الزراعية •

وصدر قانون الزراعة الجديد قبل زراعة الربيع بفترة قصيرة • ونشر فى الصحف وتناولته الدعاية فى الادارة الرئيسـية • القسـم الاول •

وشمل ذلك معظم الاقاليم • فقوبل هذا القانون بالارتياح • وانهمك السكان فى العمل خلال زراعة الربيع بقدر الامكان بالرغم من قسوة الظروف التى تحيط بهم • ولكن – بطبيعة الحال – لم يكن لذلك أثر على العدو الذى قام بالدعاية ضد القانون الزراعى بكل وسيلة ممكنة • وكان بطء تنفيذ هذا القانون مما ساعد على هذه الدعاية وعمل على شد أزرها • كما أن نظام التعاون الزراعى لم يكن قد أدخل فى هذه الاقاليم الا منذ فترة قصيرة • وطبقا لارشادات زعيم المزارعين Kœrner لم ينقل الى حوزة الزراع أكثر من ١٠٪ من الاراضى الزراعية حتى شهر أغسطس من هذه السنة • وهذا ما يوضح لنا أن عددا كبيرا من مزارعى أوكرانيا فقدوا ثقتهم فى حقيقة مقاصدنا •

كذلك كان منح الحرية الدينية يستدعى الدعاية على نطاق واسع • وبعد مفاوضات استمرت عدة أشهر تقرر فى النهاية عدم اذاعة الحرية الدينية جهرا بل تأخذ فى الانتشار فى هدوء وسكون • وبذلك لم يكن للدعاية أثر واضح •

ولما لاحظت الادارة الرئيسية للسياسة أن هناك نفورا من ناحية الكنيسة لجأت الى الدعاية بدلا من ذلك : استعادة الملكية الخاصة • ودهش السكان الى حد كبير عندما قررت السلطات الالمانية أن تلعب دور من تسلم المسروقات من الشيوعيين •

ثم اتخذنا سلاحا قويا للكفاح من أجل تفتيت جبهة العدو • سلاح له قيمته • ذلك لان الممتلكات الخاصة التى انتزع البولشفيك ملكيتها دون دفع تعويضات عنها • أثارت الفزع فى دوائر البورجوازيين الروس بما فى ذلك دوائر المزارعين الناجحين وكذلك فى جميع أرجاء العالم المتمدين • ثم ان العالم بما فيه العمال والمزارعون فى الاتحاد السوفييتى ممن تحرروا من البلشفية • أصبحوا يتقعون سياسة واضحة تنتهجها ألمانيا فى هذا الصدد • ولكنها لم تحرك ساكنا فانتهزت دعاية العدو هذه الفرصة فأخذت فى اغراء الشعوب السوفييتية بأن ألمانيا لا تقصد استرجاع الممتلكات الخاصة •

ودائما كان الادارة الرئيسية للسياسة تصر على أن شعوب الشرق يجب أن تكون على يقين ثابت من حيث مستقبلهم • وكثيرا ما كانت تلفت أنظار وحدات القيادة العليا الى ضرورة اطمئنان شعوب الشرق السلاف

على مستقبلهم وذلك عن طريق ارشادات السلطات الالمانية . كما أشارت الى أن أفضل وسيلة هى تكوين حكومة مضادة لستالين وعلى رأسها جنرال من الجيش الاحمر ممن وقعوا فى الاسر . أو اذا أردنا أن نتجنب استعمال كلمة حكومة . يكون على رأسها جنرال ثائر من طراز دى جول . وتم تأييد هذا الرأى من جانب أسرى الحرب الذين قدموا بيانات لا حصر لها يذكرون فيها ـ من تلقاء أنفسهم ـ انهم يخشون كثيرا أسوأ الامور ان ظلت ألمانيا صامتة حول مستقبل روسيا . وكان الكثيرون يفضلون الهجرة ولكنهم لم يعرفوا الى أى جهة يقصدون . وكانوا يرغبون فى الكفاح بشجاعة وعن طيب خاطر ضد العهد البولشفيكى تحت قيادة زعيم معروف بعداوته للثورة .

ورفضت جميع الاقتراحات وما تستلزمه فى هذا الشأن . ثم تصرح بالخدمة فى الجبهة الامامية لمجموعات من الاتراك والقوقازيين فقط . وأخيرا سمح للاستونيين بعد أن رفض ذلك عدة مرات . ولم يسمح بتكوين وحدات من الوطنيين الا فى الاسابيع الاخيرة وكأن ذلك لمحاربة الانصار . ولكن هذه الاجراءات ستظل لا أثر لها بسبب الدعاية الا اذا نشطت الوحدات المقاتلة ووضعت تحت قيادة شخصية معروفة .

وهنا يلى استنكار صريح لسياسة الالمان من حيث تسخير العمال ومعاملتهم لاسرى الحرب . مما أدى مباشرة الى تقوية الجيش الاحمر ومواصلة المقاومة وانتشار خطر الانصار . وتواصل المذكرة تقول :

ان هذا الخطر الذى يهدد الشعب الالمانى اذا توقف فى اللحظة الاخيرة

فمن اللازم اتخاذ الاجراءات الآتية :

١ ـ لا بد من تخاذ سياسة ايجابية بالنسبة لاوكرانيا فيشعر القوم بأن ألمانيا دولة صديقة مخلصة تعمل على تحريرهم ـ كما يجب أن يدرك الشعب الروسى حقائق ملموسة لضمان مستقبله .

٢ ـ اذا قمنا بالتغيير المقترح فى سياستنا فان ذلك سوف يؤدى الى اضمحلال الجيش الاحمر . لان مقاومة الجندى فى الجيش الاحمر سوف تنهار اذا اقتنع بأن ألمانيا سوف توفر له حياة أفضل من التى يعيشها تحت حكم السوفييت .

ثم ان المشكلة شديدة الخطورة لو بقيت دون ايجاد حل لهـا • فهى تتعلق بالشعب الالمانى فى الوقت الحاضر وفى المستقبل من حيث مصيره وقد ثبتت صحة الآراء التى تقـدمت بها الادارة الرئيسية للسياسـة من حيث عدم التمكن من تحقيق نصر سريع بالاسـلحة وحدها بل لا بد من هجوم سياسي واسع النطاق • ولان الهيئات المسئولة عن المناطق الشرقية المحتلة تتكون من موظفين لا صلة لهم بالدوائر الروسـية فان ذلك من الاسـباب التى أدت الى عـدم تنفيـذ هذه الاراء • فهؤلاء قوم يلتمسون طريقهم لحل المشكلة ولكن معظمها فى حاجة الى ايضاح وتفسير • كما أنه من الواضح اليوم أن صغار رجال الادارة فى منطقة أوكرانيا يخشون اتباع السياسة التى يضعها الرؤساء ، ـ وهم فى الوقت ذاته ـ لا يستطيعون التصرف من تلقاء أنفسهم • كذلك لابد من الثقة بآراء الادارة الرئيسية التى توضع طبقا لمعلومات فنية اجتماعية •

وحتى فى هذه الأيام فان الادارة مقتنعة بامكان تحقيق حاسـم سريع تنتهى به الحرب بشرط اتباع ما تدلى به من أفكار وأراء سياسية • •

برلين فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٢

امضاء (بروتيجام)

